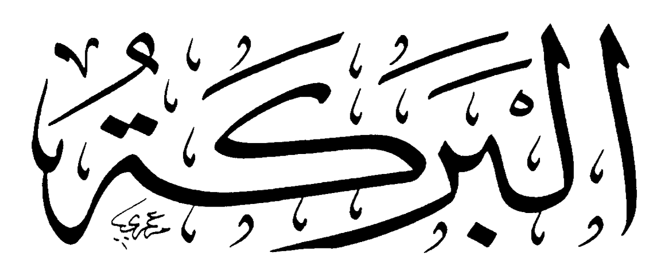


أسبابها - مكانها - طرق جلبها

زمانها وآثارها في حياة الأنبياء والصالحين

في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة

جمع وترتيب

محمد محمود عبد الجواد







ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٦٥٤١

الترقيم الدولي
977-331-434-0





١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٠٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي بنوره تطمئن القلوب، وبفضله وسنته تسمو الأرواح، وتزكو النفوس، وتعم البركات في بعض عباده وبلاده، وتبارك اسمه وتعالى جَدُّه أحمده، سبحانه على ما أنعم به وعَلَّمه عبادَه، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر باتباع صراطه المستقيم، ونهى عن السبل المضلَّة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع هداهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

فإن موضوع البركة من الموضوعات الدينية ذات الإيحاء القوي العميق، والصبغة الإسلامية الخالصة، فقد استخرتُ الله سبحانه وتعالى وعَقَدْتُ العزم على أن أكتب في هذا الموضوع لعدة أسباب:

١ ـ عدم بحث هذا الموضوع في مُؤَلف مستقل متداول في الأسواق حتى يتمكن الناس من الاطلاع عليه.

٢ ـ من المعلوم أن البركة من الأمور المطلوبة والمحبوبة، ولكن البعض قد تجاوز في طلبها وغالى في التماسها.

٣ ـ ولأن البركة مظهر من مظاهر رضا الخالق عن عباده الذين ائتمروا بأوامره وانتهوا عما نهاهم عنه، ومن هنا يتضح أن البركة دليل على وقوع أعمال العبد موقع القبول من الله، فيبارك فيها، ويزيدها له، ويثيبه عليها.

فعكفت على كتاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أقرؤه وأتدبر معانيه على قدر طاقتي وجهد المقل.

فاستعنت بالله على جمع الآيات التي ذُكِرت فيها البركة، وما تصرف منها في القرآن: (**بارك - باركنا - بُورك - تبارك - بركات - بركاته - مبارك - مباركة**).

ورد لفظة البركة وما تصرف منها في مواضع كثيرة من الأحاديث، تقارب مائة وثلاثين مرة، إلا أنها قد وردت بمشتقاتها في اثنين وثلاثين آية من القرآن، ما ذلك إلا تعظيمًا لقدرها وبيانًا لمكانتها في الإسلام، فالبركة إذن إما دينية أو دنيوية، وهي أيضًا بقسميها: إما حِسِّية، أو معنوية.

ومن أعظم ما فيه البركة الدينية والدنيوية معًا القرآنُ الكريمُ، فإن فيه خيري الدنيا والآخرة، ومن ذلك الرسول ﷺ حيث إنه يحصل بسبب طاعته واتباعه الكثير من الأجر، والمزيد من الثواب، وما حصل للصحابة ﷺ من الخير الدنيوي من تبركهم به في حياته، أو شيء من آثاره.

وقد تكون البركة مألوفة واضحة، كأن يبارك الله في الرزق أو التجارة أو الثمار، فتربو وتزيد، لأن العبد أدَّى حقَّ الله فيها إلى عباده المحتاجين.

وقد تبلغ البركة خوارق الأعمال، كما حدث على يد النبي ﷺ من المعجزات المباركة، كتكثير الطعام القليل، وزيادة الشراب الضئيل.

وقد تكون البركة في الأماكن والأزمان، والناس والأعمار، وقد تكون البركة غير محسوسة، ولكن يستشعِر الإنسانُ المؤمن آثارَهَا في نفسه ووجدانه، فتنعكس عليه بالرضا والقبول والسكينة.

وفي الصفحات التالية أحاول أن أحدد مفهوم البركة وأستعرض أنماطها وأنواعها وأتحدث عن موجباتها التي بها تتحقق البركة في الرزق والسعي.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثمانية أبواب، وخاتمة، والله تعالى الموفق، وهو المستعان وعليه التكلان.

الباب الأول
في معاني البركة وأصلها

الفصل الأول
معاني البركة

* معنى البركة في اللغة على معنيين:

١ ـ الثبوت والدوام.　　　　٢ ـ النماء والزيادة.

أولاً ـ جاء في كتاب (معجم مقاييس اللغة)[١]: بَرَكَ: الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرعُ فروعًا يقارب بعضها بعضًا: بَرَكَ البعير، يَبْرُك بروكًا.

قال الخليل: البَرْك: يقع على ما برك من الجمال والنُّوق على الماء، أو بالفلاة من حر الشمس أو الشبع، الواحد باركٌ، والأنثى بَارِكَةٌ، وقال أبو خطاب: البَرْك؛ الإبل الكثيرة تشرب ثم تبرك في العطَن، مَبَرَك الإبل حول الحوض.

وفي اللسان[٢]: البركة مأخوذة من برك البعير، إذا أناخ في موضع فلزمه، وتطلق البركات أيضًا على الزيادة، والأصل الأول.

---

(١) انظر معجم «مقاييس اللغة لابن فارس.　　　　(٢) لسان العرب.

ويُقال: بارك الله الشيء، وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة، وتطلق البركة على السعادة، قاله: الفراء.

وفي كتاب (المفردات)[1] للراغب الأصفهاني - رحمه الله -: بَرَكَ البعير ألقى رُكَبَه، واعتُبر منه معنى الملزوم، فقيل: ابتركوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب.

وفي الصحاح: كل شيء ثبت وأقام فقد برك، والبَرْك أيضًا: الصدر، فإذا أُدخلت عليه الهاء كُسرت بِرْكة، والبِرْكَة أيضًا كالحوض، والجمع البِرَكُ، ويُقال: سُميت بذلك لإقامة الماء فيها، والبَرَاكاء: الثبوت في الحرب والجد، وأصله: البُرُوك.

ثانيًا - وتُطلق البركة أيضًا على النماء والزيادة، جاء في كتاب (جمهرة اللغة)[2]: يُقال: لا بارك الله فيه، أي: لا نمَّاه، وفي معجم (مقاييس اللغة): قال الخليل: البركة من الزيادة والنماء.

فالبركة الزيادة والنماء (بارك) الله تعالى فيه، فهو (مُبارك)، والأصل مُبارَك فيه وجمع جمع ما لا تُعقل بالألف والتاء ومنه (التحيات المباركات) (التبريك)، الدعاء بالبركة، ويُقال: (بَارَكَ) الله لك وفيك وعليك وباركك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ (النمل: ٨).

و(تبارك) الله، أي: بارك، مثل قاتل وتقاتل، إلا أن فَاعَل يتعدى وتَفَاعَل لا يتعدى، و(تبرك)، به تيمن به، وعلى ذلك فإنه: لا يُقال عند التهنئة (مبروك)، فلم تُعرف على هذا الوجه، وإنما يُقال: (مُبارك) لك أو عليك أو فيك.

---

(١) الراغب الأصفهاني (٤٤)، «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٧٤).

(٢) «جمهرة اللغة» لابن دريد، مختار الصحاح (٢٠).



الفصل الثاني

البركة في القرآن الكريم

وردت لفظة (البركة)، وما تصرَّف منها في القرآن الكريم أربعًا وثلاثين مرة في اثنتين وثلاثين آية، على ثمان صيغ: (**بارك - باركنا - بُورك - تبارك - بركات - بركاته - مُبارَك - مُباركة**)، وبعد التأمل في تلك الآيات وتفاسيرها تبيَّن أن المقصود بالبركة، وما يتصرف منها ما يأتي:

١ - ثبوت الخير ودوامه:

وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الأول للبركة (الثبوت واللزوم)، قال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - في (المفردات في غريب القرآن): والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦)، وسُمِّيَ بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير[١].

وقال الخازن - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: فبركاتُ السماء المطرُ، وبركات الأرض النبات والثمار، وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام، والأرزاق، الأمن، والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده، وأصل البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وسُمي المطر بركة، لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض، لأنه نشأ عن بركات السماء، وهي المطر[٢].

---

(١) «المفردات» (ص٤٤).

(٢) «تفسير الخازن» (٢/ ٢٦٦).

٢ ـ كثرة الخير وزيادته:

وهذا يتفق مع المعنى اللغوي الثاني للبركة: النماء والزيادة.

قال الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، جعله مباركًا لتضاعف العمل فيه، فالبركة كثرة الخير، جاء في (تفسير الرازي) لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤): البركة لها تفسيران:

أحدهما ـ البقاء والثبات.

والثاني ـ كثرة الآثار الفاضلة، والنتائج الشريفة، وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالحق سبحانه وتعالى، فإن حملته على الثبات والدوام، فالثابت والدائم هو الله تعالى، وإن فسرنا البركة بكثرة الآثار الفاضلة، فالكل بهذا التفسير من الله[1].

***** قد ورد لفظ البركة بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم على النحو التالي:**

بَارَكَ: وردت مرة في سورة فُصلت، الآية: (١٠).

بَارَكنا: وردت ست مرات في سور: الأعراف: (١٣٧)، والإسراء: (١)، والأنبياء (٧١-٨١)، وسبأ: (١٨)، والصافات: (١١٣).

بُورِكَ: وردت مرة في سورة النمل، الآية (٨).

تَبَارَكَ: وردت تسع مرات في سور: الأعراف: (٥٤)، والمؤمنون (١٤)، والفرقان (١-١٠-٦١)، وغافر: (٦٤)، والزخرف: (٨٥)، وهود: (٤٨).

بركاتٍ: وردت مرتين: في سورتي الأعراف: (٩٦)، وهود: (٤٨).

بركاته: وردت مرة في سورة هود (٧٣).

---

(١) «تفسير الرازي» (١٤/١١٩).

مبارك: وردت أربع مرات في سور: الأنعام: (٩٢-١٥٥)، والأنبياء: (٥٠)، ص: (٢٩).

مباركًا: وردت أربع مرات في سور: آل عمران: (٩٦)، مريم: (٣١)، والمؤمنون: (٢٩)، ق: (٥٩).

مُبَارَكَةً: وردت أربع مرات في سور: النور: (٣٥-٦١)، والقصص: (٣٠)، الدخان: (٣).

* ونذكر بإذن الله وتوفيقه شيئًا من معانيها بإيجاز:

تبارك: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)، أي: هو أهلٌ أن يُجَلَّ، فلا يُعصَى وأن يُكرَّم فيعبد، ويشكرَ فلا يُكْفَر، وأن يُذكَرَ فلا يُنسَى، وأنه تعالى - جَلَّ شَأْنُهُ - في ذاته وصفاته وأفعاله على أتم وجه وأبلغه، وأنه هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمود مُمجَّد في صفاته وذاته، وأنه تعالى وتقدس شأنه سبحانه في علمه الشامل، وقدرته الباهرة رب العالمين.

مبارك: قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص: ٢٩)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (الأنعام: ٩٢)، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠)، فهو صفة القرآن الكريم أنه مبارك، وأنه كثير المنافع الدينية والدنيوية، كثير الخير، غزير النفع لمن آمن به، وعمل به.

باركنا - مباركًا: وتأتي للمكان الكثير الخير والنماء، يكون بزيادة الثواب فيه، والأجر وسعة الرزق لأهله، فَوَصَفَ بها البيتَ الحرام، لما فيه من البركة والهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (آل عمران: ٩٦)، أي: كثير الخير، لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة.

قال ابن عباس ﭭ: وقيل لأنه يُغفَرُ فيه الذنوبُ لمن حَجَّهُ وطَافَ به، واعتكف عنده، وقال غيره: يجوز أن تكون بركته ما ذكر في قوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص:٥٧)، وقيل: بركته دوام العبادة فيه، ولزومها، وقد جاءت البركة بمعنيين: النمو، وهو الشائع والثبوت، ومنه البِرْكَةُ لثبوت الماء فيها، وقيل أي وُضِعَ مباركًا.

قام رجلٌ إلى علي ﭬ فقال: ألا تُحدِّثني عن البيت؟ أهو أول بيت وُضِعَ في الأرض، قال: لا، ولكنه أولُ بيتٍ وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا.

وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم عليه السلام للبيت، وكذلك الشام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ (سبأ:١٨)، وقال ـ جَلَّ شأنه ـ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ (الإسراء:١)، وتلك بركة بالخصب وسعة الرزق من الزروع والثمار، وكثرة الأنهار والأشجار حوله، والتوسعة على أهلها، أو بذلك وبكونها مساكن الأنبياء والصالحين.

وذلك ظاهر على تقدير أن يُراد بمشارق الأرض ومغاربها الشام ونواحيها، واخْتُصَّت هذه الأرض بعموم البركة، لأن أكثر الأنبياء عليهم السلام بُعِثُوا فيها، وانتشرت في العالم شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات، الدنيوية والدينية، ولم يقل التي باركناها للمبالغة بجعلها محاطة بالبركة، وقيل المراد بالبركات النِّعَم الدُّنيوية من الخصب وغيره، والأول أظهر وأنسب بحال الأنبياء عليهم السلام.

قال ابن كثير ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾: يعني: الشام عن الحسن البصري وقتادة، وفي الإرشاد: قَدَّر سبحانه أن يُكثِّر خيرها، بأن يُكثِّر فيها أنواع النباتات، وأنواع الحيوانات التي من جملتها الإنسان، فهو كثير المنافع.

وتأتي ﴿بَارَكْنَا﴾: في مثل قوله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ (الصافات: ١١٣)، أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، بأن أكثرنا نسلهما وجعلنا منهم أنبياءً ورسلاً، ولهذا ثَبَتَ في الصحيح أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله، قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما صلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ**».

فتبارك الله بخيراته التامة المتكاثرة التي من جملتها هبة الأولاد، وتبارك الله: بخيراته النامية في نسلك، وما يقوم به معاشك ومعاشهم، من أنوع الأرزاق، وتبارك الله: بعميم خَيْرِه بالخُلَّة والاصطِفَاء والإمامة.

وتأتي ﴿مُبَارَكًا﴾: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: ٣١)، بمعنى: وجعلني مُعَلِّمًا للخير وفي رواية نافعًا، وقيل: ما بركته، قال: «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان**».

وأيضًا بمعنى: خيرات نامية في نَسْلِكَ وما يقوم به معاشُك ومعاشُهم من أنواع الأرزاق المختلفة، ومن معانيها أيضًا: أي مدعوًا لك بالبركة بأن يُقال: بارك اللهُ تعالى فيك.

وتأتي ﴿مُّبَارَكَةٍ﴾: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: ٣)، وسوف نتعرض لليلة القدر بشيءٍ من التفصيل في وقتها إن شاء الله، ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ من شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ (النور: ٣٥)، أي: كثيرة المنافع بأن رُويت ذبالته بزيتها، وقيل: إنما وُصِفَت بالبركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين.

﴿بُورِكَ﴾: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أن بُورِكَ مَن في النَّارِ﴾ (النمل: ٨)، أي: فلما أتاها ورأى منظرًا هائلاً عظيمًا حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقُّدًا.

ويزداد الشجر الأخضر نضرة، ثم رفع رأسه، فإذا نورها عظيم بعنان السماء.

المراد بالبركات السماوية والأرضية الأشياء التي تُحمد عواقبها، ويَسْعَد في الدارين صاحبها، وقد جاءت البركة بمعنى السعادة في كلامهم، فلتحمل هنا على الكامل من جنس كل شيء في الدنيا.

وفي الحديث الشريف: وردت البركةُ وما تصرَّف منها في مواضع كثير من أحاديث الرسول ﷺ، تقارب مائة وثلاثين مرة بِصيَغٍ متعددة، منها: (**بارك - بُورك - يبارك - بارك - مبارك - مباركة - مباركات - تبارك - تباركت**)، كقوله ﷺ: «**تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[1]، ومعنى البركة في أحاديث الرسول ﷺ هو معناها نفسه في القرآن الكريم، أي: ثبوت الخير ودوامه أو كثرة الخير وزيادته، أو هما معًا.

قال ابن الأثير - رحمه الله - عن شرحه ما جاء في حديث الصلاة على النبي ﷺ: «**وبارك على محمد وعلى آل محمد**»[2]، أي: أَثبِت له وأَدِمْ ما أعطيته من

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الشيخان في صحيحيهما.

التشريف والكرامة، وهو من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه، وتطلق البركة أيضًا على الزيادة والأصل الأول[١].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته له، وثبوته له، ومضاعفته له، وزيادته، هذا حقيقة البركة[٢].

ومن شواهد الحديث الشريف على أنه يقصد بالبركة الخير: قصة جويرية بنت الحارث بن المصطلق رضي الله عنها حين أعتق الصحابة رضي الله عنهم سباياهم من غزوة بني المصطلق لما تزوج الرسول ﷺ بها، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: **«ما رأينا امرأةً أعظم بركة على قومها منها، أُعتِقَ في سببها مائةُ أهل بيت من بني المصطلق»**[٣].



(١) «النهاية» لابن الأثير.
(٢) «جلاء الإفهام» لابن القيم (ص١٨١).
(٣) أخرجه أبو داود والإمام أحمد في مسنده.

الفصل الثالث

أصل البركة الله

أصل البركة ومصدرها هو الله، إن كل شيء يُنسَبُ إلى الله - جَلَّ جلاله -، فهو مبارك، فكلامه مبارك، والبيت الحرام مبارك، والبلد الأمين مبارك.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦).

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾، أي: كلُّ ذلك بيدك وإليك، لا يَقدِرُ على ذلك أحدٌ، لأنك على كل شيء قدير دون سائر خلقك، ودون ما اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأُمِّيين من العرب إلهًا وربًا يعبدونه من دونك، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأُمِّيون ربًا[١].

وأخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في (صحيحه)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: **«يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أَخرِجْ بَعْثَ النار، وقال: وما بَعْثُ النار؟ قال: مِنْ كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين»**[٢].

وأخرج الإمام مسلم - رحمه الله - في (صحيحه) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: **«وَجَّهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رَبِّ العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرتُ وأنا أولُ المسلمين»**، إلى أن

---

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٢).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب «الأنبياء».

قال: «**لبيك وسَعْدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديك، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفرُكَ وأتوب إليك**»[(١)].

مما تقدم من النصوص يظهر لنا جليًا: أن الخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى دون سائر خلقه، فهو القادر على كل شيء، وإذا كانت الخيرات والنِّعَمُ في الدنيا والآخرة من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده، فإن ثبوتَها ودوامَها للناس، وكثرتَها وزيادتَها كل ذلك من الله سبحانه وتعالى، وهو ما يُسمَّى بالبركة.

فالبركة كلها لله تعالى ومنهُ، وهو المبارك - جَلَّ وعلا -، والقرآن الكريم كله، دلالات وإشارات إلى أن البركة من الله سبحانه وتعالى، قوله - جَلَّ وعلا - في قصة نوح عليه السلام: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ**﴾ (هود: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ (هود: ٧٣)، أي: انْزِلْ من الفلك بسلامٍ متلبسًا بسلامةٍ من المكاره جميعًا، أو بسلامٍ وتحيةٍ منَّا عليك وبركات، أي: خيرات نامية في نَسْلِكَ، وما يقوم به مَعَاشُكَ ومعاشُهم من أنواع الأرزاق[(٢)].

﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ**﴾: التي وَسِعَتْ كل شيء واستتبعت كل خير، ﴿**وَبَرَكَاتُهُ**﴾: أي: خيراته النامية المتكاثرة، في كل باب التي من جملتها هبة الأولاد، وقيل: الرحمة: النُّبُوَّة، والبركات: الأسباط من بني إسرائيل، لأن الأنبياء منهم، وكلهم من ولد إبراهيم عليه السلام[(٣)].

ونحو ذلك من أحاديث المصطفى ﷺ ما ورد في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مع النبي ﷺ في سَفَرٍ، فَقَلَّ الماءُ، فأدخل النبيُّ ﷺ يَدَهُ في إناءٍ فيه ماء قليل، ثم قال: «**حيَّ على**

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب «صلاة المسافرين». (٢) «تفسير أبي السعود» (ص٣٩) (ج٣).
(٣) تفسير أبي السعود (جـ٣) (ص٥٢).

الطَّهور المبارك، والبركة من الله»، فَنَبَعَ الماءُ من بين أصابعه ﷺ[(١)]، وجميع الدعاء بحصول البركة، لا تسند إلا لله وحده.

يقول العلامة ابن القيم: كلُّ كمالٍ وخيرٍ في الموجودات، فهو مستفادٌ من خير الله تعالى، وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمدُّ منها، وهي فقيرة إليه، وهو غنيٌّ عنها، كل منها يسأله كماله، فالملائكة تسأله ما لاحياة لها إلا به، وإعانته على ذكره وشكره، وحسن عبادته، وتنفيذ أوامره، والقيام بما جعل إليهم من مصالح العالم العلوي والسفلي، وتسأله أن يغفر لابن آدم، والرسل تسأله أن يُعينَهُم على أداء رسالاته وتبليغها، وأن ينصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومَعَادِهم، وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها، والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يُقيمُهُ، والشجر والنبات يسأله غذَاءَه وما يَكْمُل به، والكون كل يسأله إمداده بمقاله وحاله، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)، فَأَكُفُّ جميع العالم ممتدة إليه، بالطلب والسؤال، ويده مبسوطة لهم بالعطاء والنَّوَال، **«يمينُهُ ملأى لا يَغيضُها نفقةٌ سَحَّاء الليل والنهار»**[(٢)].

وعطاؤه وخيره مبذول للأبرار والفجَّار، له كل كمال، ومنه كل خير، له الحمد كله، وله الثناء كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجَعُ الأمرُ كلُّه، تبارك اسمُه، وتبارك أوصافه، وتباركت أفعاله، وتباركت ذاته، فالبركة كلها له، ومنه لا يتعاظمه خير سُئِلَهُ، ولا تنقُصُ خَزَائِنُهُ على كَثْرةِ عطائِه وبَذْلِه[(٣)].

فللَّه الحمد أولاً، وآخرًا على خيراته الجزيلة وبركاته الدائمة، ونِعَمِه الوفيرة الظاهرة والباطنة وله الفضل وحده في ذلك كله ـ تبارك وتعالى ـ.

---

(١) «صحيح البخاري» في كتاب «المناقب». (٢) في «الصحيحين».

(٣) من كتاب «شفاء العليل» (ص١٨٣-١٨٤)، وكتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص٥٧).

الفصل الرابع

اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة

حيث أن الله تعالى بيده الخير كله، وأن النعم والخيرات الوفيرة منه - جَلَّ وعلا -، والبركة كلها له، فهو سبحانه وتعالى يختصُّ بعضَ خلقه بما يشاء من الفضل والبركة، كالرسل والأنبياء والملائكة وبعض الصالحين، ومما يدل على ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، وقوله تعالى عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ (ص: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ (الصافات: ١١٣)، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: ٣٠-٣١)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥)، وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (آل عمران: ٧٣-٧٤).

وإن كانت البركة كلها لله تعالى ومنه، فهو المبارك، ومن أَلْقَى عليه بركته، فهو المبارَك، ولهذا كان كتابه مباركًا، ورسوله مباركًا، وبيته مباركًا، والأزمنة التي شَرَّفَهَا واختصها عن غيرها مباركةً، وليلة القدر مباركة، وما حول المسجد الأقصى مبارَك، وأرض الشام وصفها بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة، فهو المتبارك في ذاته، الذي يُبارك فيمن شاء من خَلْقِه، وعليه فيصير بذلك مباركًا[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (ص١٨٦-١٨٧).

ولله - عَزَّ وَجَلَّ - المشيئة المطلقة في كل شيء، وهو سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص:٦٨)، أي: المراد بالاختيار هنا: الاجْتِبَاء والاصْطِفَاء، فهو اختيار بعد الخلق، وأن أصحَّ القولين الوقف على قوله، و ﴿يَخْتَارُ﴾، ويكون قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، نفيًا: أي: ليس هذا الاختيار إليهم، بل هو إلى الخالق وحده، فكما أنه المنفرد بالخلق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق، ولا أن يختار سواه، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومَحِل رضائه، وما يصلح للاختيار، مما لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه.

وفي موضع آخر أبان - رحمه الله - السبب في هذا الاصطفاء والاختيار، حيث قال: فذوات ما اختاره واصطفاه من: الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفاتٍ وأمورٍ قائمة بها، ليست لغيرها، ولأجلها، وخَصَّها بالاختيار، فهذا خلقه وهذا اختاره، وهو بهذا يردُّ على من سَوَّى الأعيان والأفعال، والأزمان والأماكن، وأن التفضيل في ذلك لأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها.

ومما أورده في الرد على هؤلاء قوله: والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ (الأنعام:١٢٤)، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:١٢٤)، أي: ليس كلُّ أحد أهلاً ولا صالحًا لتحمُّل رسالته، بل لها مَحَالٌّ مخصوصة لا تليق إلا بها، ولا تصلُح إلا لها، والله أعلم بهذه المحال منكم، ولو كانت الذوات متساوية كما قال هؤلاء، لم يكن من ذلك رد عليهم.

فالحاصل أن الفضل والبركة والخيرات التي توجد في بعض المخلوقات من الذوات أو الأماكن وغيرها، كل هذا من فضل الله تبارك وتعالى، اختصَّ به هذه المخلوقات على ما عداها، لحكمة يعلمها سبحانه، ولصفات اختصَّت بها، أودعها الله تعالى فيها: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (آل عمران:٧٣).

الباب الثاني

أعظم البركات

الفصل الأول

القرآن الكريم

إن أعظم بركة امتنَّ اللهُ بها على أمة محمد ﷺ هي القرآن الكريم، فقد جمع فيه كل ما يحتاجه البشر من خيري الدنيا والآخرة، وقد جعل الله في القرآن العزَّة والرِّفْعَة والمجْد والسؤود، لكل من تعلَّق بأَهْدَابه وتخلَّق بآدابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، هذا وقد وصف الله القرآن الكريم في أربع آيات هي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الإنعام: ٩٢).

أي: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ﴾: تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير إنزال ما بشر به من التوراة، وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء.

﴿مُبَارَكٌ﴾: أي: كثير الفوائد وجَمُّ المنافع الدينية والدنيوية.

﴿مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من التوراة لنزوله حسبما وُصِفَ فيها، أو الكتب التي قبله، فإنه مُصدِّق للكل في إثبات التوحيد، والأمر به، ونفي الشرك والنهي عنه في سائر أصول الشرائع التي لا تُنسَخُ.

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾: عطف على ما دل عليه مبارك، أي: للبركات ولإنذارك أهل مكة، فإنما ذُكِرت باسمها المبني عن كونها أعظم القرى شأنًا، وقبلة لأهلها قاطبة إيذانًا بأن إنذار أهل مكة أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾: وبما فيها من ألوان العذاب للكافرين.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي: بالكتاب، لأنهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمُّل حتى يؤمنوا به[١].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥).

أي: ﴿وَهَذَا﴾: الذي تُلِيَتْ عليكم أوامرُهُ ونواهيه، أي: القرآن الكريم.

﴿كِتَابٌ﴾: عظيم الشأن.

﴿أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: أي: كثير المنافع دينًا ودنيا، صفتان للكتاب، وتقديم الإنزال مع كونه غير صريح، لأن الكلام مع مُنكِريه، أو خبران لاسم إشارة، أي: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ مشتملاً على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصِّلتْ عليكم طائفةً منها، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فإن عظم شأن الكتاب في نفسه، وكونه مُنزَّلاً من جنابه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، مستتبعًا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي إيجاب ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بواسطة اتباعه والعمل بموجبه[٢].

٣ ـ وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

﴿وَهَذَا﴾: أي: القرآن الكريم، أُشير إليه بهذا، إيذانًا بغاية وضوح أَمرِهِ.

﴿ذِكْرٌ﴾: يتذكَّر به من يتذكَّر وُصِفَ بالوصف الأخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مَرَّ في صدر السورة الكريمة.

---

(١) تفسير أبي السعود.

(٢) تفسير العلامة أبي السعود (جـ٢) (ص٢٢٢).

﴿مُّبَارَكٌ﴾: كثير الخير، غزير النفع، يُتَبَرَّكُ به.

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: صفة ثانية لِذِكْر، أو خبر آخر.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص: ٣٠).

﴿كِتَابٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، وهو عبارة عن القرآن أو السورة.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾: صفته.

وقوله تعالى: ﴿مُبَارَكٌ﴾: خبر ثان للمبتدأ، أو صفة لكتاب عند من يُجَوِّز الوصفَ الصريح عن غير الصريح، وقُرِئَ مُباركًا على أنه حال من مفعول أنزلناه، ومعنى ﴿مُبَارَكٌ﴾: الكثير المنافع الدينية والدنيوية.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾: متعلق بأنزلناه، أي: أنزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعْرِبَة عن أسرار التكوين والتشريع، فيعرفوا ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة، وقرئ ﴿لِّيَدَّبَّرُوا﴾: على الأصل، ولتدبروا على الخطاب، أي: أنت وعلماء أُمَّتك بحذف إحدى التاءين.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾: أي: وليتعظ به ذَوُو العقولِ السليمة، أو ليستحضرا ما هو مركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل، فإن الكتب الإلهية مُبيِّنَة لما لا يُعرَفُ إلا بالشَّرع ومُرشِدة إلى ما لا سبيل للعقل إليه[1].

* ويلاحظ على هذه الآيات ما يلي:

١ ـ أن جميعها مكِّية.

٢ ـ أنها وصفت القرآن الكريم بالبركة.

---

(١) تفسير العلامة أبي السعود (جـ٤) (ص٤٣٩).

٣ـ بينت الآية الأولى أن القرآن مصدق لما سبقه من الكتب، وأمرت الآية الثانية باتباعه ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، ونعَت الآيةُ الثالثة على المشركين إنكارَهم له، ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾، وبينت الآية الرابعة الهدف والعِلَّة من إنزال القرآن، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

هذا وللقرآن بركات كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، سنذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر.

قال العلامة ابن القيم الجوزية: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدقٍ وإيمانٍ وقبولٍ تام، واعتقادٍ جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواء كلامَ ربِّ الأرض والسماء، الذي لو أُنزِل على الجبال، لصدَّعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فِهْمًا في كتابه»[١].

قد جرت سُنَّة الله تعالى بأن الباحث عن هذا الكتاب المتمسك له، يحصل له عِزُّ الدنيا، وسعادةُ الآخرة.

وقد قال الفخر الرازي في تفسيره[٢]: قوله ﴿مُبَارَكٌ﴾: أي: كثيرٌ خيرُهُ، دائمٌ بركته ومنفعته، يبشِّر بالثواب والمغفرة، ويَزْجُر عن القبيح والمعصية، ثم فسر ذلك بأن ما فيه من العلوم النظرية فأشرفها وأكملها العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه، وما فيه من العلوم العلمية لا تجد في غير مثله، سواء كانت أعمال جوارح، أو أعمال قلوب.

---

(١) «كتاب زاد المعاد» (٤/ ٢٥٢).

(٢) تفسير فخر الرازي (جـ١٢) (ص ٨٠).

فهو مبارك في أصله باركَـهُ الله، وهو ينزله من عنده، ومبارك في محله الذي علم الله أنه له أهل ـ قلب محمد الطاهر الكريم ـ ومبارك في حجمه ومحتواه من الدلالات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه وفي كل جزء وآية.

بركات القرآن الذاتية

وصف الله تبارك وتعـالى كتابه الكريم الذي أنـزله على عبده ورسـوله نبينا محـمد ﷺ بأنه مبـارك، وقد حَبَـا الله القرآنَ الكريم بخصـائص ومميزات لم يعطهـا لكتابٍ غيـره، وهذا يدل على فضل كـتابنا وبركـة دستورنا، فـمن تلك البركـات: كثرة أسـمائه وصفـاته، فإن كثـرة الأسماء تدل علـى عِظَمِ المسمَّى، وتعدُّد الصفات تدل على شرف الموصوف.

(أ) أسماء القرآن:

١ ـ **القرآن**: وقـد ذكر لفظ القـرآن في القـرآن الكريم أحدى وسـبعين مـرة، وَسمِّيَ القـرآن بذلك، على أنه علم على الكتـاب المنزَّل من عند الله على النبي محمد، كما سُمِّيت التوراة توراة، والإنجيل إنجيل.

٢ ـ **الكتاب**: وقد أُطلِقَ لفظُ الكتاب عَلَمًا على القرآن في بضع وسبعين آية، وسُمِّيَ الكتاب بذلك، لأنه اجتمع فيـه جميع العلوم، أو لأن الله تعالى ألزم فيه التكاليف على الخلق.

٣ ـ **الفرقان**: وقد جاء ذلك في قـوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، سُـمِّي بذلك لأن نزوله كان مـتـفرقًـا في بضع وعـشريـن سنة، وقيل سُـمِّي بذلك، لأنه يُـفرِّق بين الحق والبـاطل، والحـلال والحرام، والمجـمل والمبين، والمحكم والمؤول، وقيل: الفرقـان النجاة، وذلك أن الخلق في ظلمات الضلالات، فبالقرآن تكون النجاة.

٤ - **الذكر**: وقد أُطلِقَ لفظ الذكر مرادًا به القرآن تسع عشرة مرة، وسُمِّيَ بذلك لأنه ذكر من الله تعالى، ذكر به عباده فعرَّفَهُم تكاليفه وأوامره، وأنه ذِكْرٌ وشرفٌ، وفخرٌ لمحمد ﷺ وأمته الذين آمنوا بالقرآن.

٥ - **التنزيل**: وقد أطلق لفظ التنزيل على القرآن في إحدى عشرة آية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٤).

(ب) صفات القرآن:

أما صفات القرآن فكثيرة، منها: ما يشترك بين الله تعالى والقرآن، ومنها: ما يشترك بين القرآن وبين رسل الله، أما الصفات التي يشترك فيها القرآن مع الله - جَلَّ جلاله - مثل:

١ - **المهيمن**: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣).

٢ - **العظيم**: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، وسمى الله نفسه عظيمًا، فقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٣ - **الكريم**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (الواقعة: ٧٧-٧٨)، كما سمى نفسه كريمًا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦).

٤ - **العزيز**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت: ٤١)، كما سمى نفسه عزيزًا، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٩).

٥ - **المجيد**: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١-٢٢)، كما سمى نفسه مجيدًا، فقال: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣).

٦ - النور: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)، فالنور هنا هو القرآن، والله نور، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، وهنا لا يخفى عن كل ذي لُبّ أن هذه الصفات صفات كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأدنى تأمل، وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ هذا القرآن مَأدُبة الله، فتعلَّموا من مَأدُبتِهِ ما استطعتم، إن هذا القرآنَ حَبْلُ الله، فهو النور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يُعوَجُّ فيقوَّم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ عن كَثْرة الردّ، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»** [(١)].

نور القرآن

نجد هنا لطيفة في التعبير القرآني عن التوراة والإنجيل، وما اشتملا عليه من الهداية والنور، وبين التعبير عن القرآن الكريم في ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقال في شأن الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦).

وقال في شأن القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)، وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ (التغابن: ٨)، فأنت ترى الفرق شاسعًا بين الكتابين وبين القرآن الكريم، حيث بيَّن أن التوراة فيها هدى ونور، وكذلك الإنجيل، أما القرآن فهو النور كله، ولا يخفى ما في هذا المعنى من بلاغة وتعظيم للقرآن، ولا

---

(١) رواه الدارمي.

عجب أنه النور الذي أخرج الناسَ من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإيمان الذي تُنالُ به السعادة الحقَّة بالاهتداء بهديه، والالتزام بما جاء به، فقد اهتدت به القلوبُ بعد الضلال، وأبصرت به العيونُ النورَ بعد العمى، واستنارت به العقولُ بعد الجهالة، واستضاءت به الدنيا بعد الظلمات، وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦)، أي: قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يعني: القرآن، فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال، ويهدي به الله من اتبع رضوانه ـ من اتبع رضاه بالإيمان ـ منهم سُبُلَ السلام: طريق السلامة من العذاب، وسبيل الله، ويُخرِجُهم من الظلمات إلى النور بإذنه وبإرادته وبتوفيقه، ويهديهم إلى صراط مستقيم إلى طريق الإيمان والهداية والتوفيق.

* * *

من بركات القرآن

١ ـ الإعجاز.

٢ ـ التعبد بتلاوته.

٣ ـ حفظ الله له.

أولاً ـ الإعجاز

الإعجاز القرآني، أعني: ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز الإصلاحي: التهذيبي الاجتماعي.

إن القرآن منذ نزل من أوَّلِ يومٍ، سَرَى إلى الأذهان نبأ بلاغته على الرغم من أنهم حذقوا البيان، وأجادوا القول، وبرعوا في صفوف البلاغة والفصاحة، بل إنهم لا يُحسِنون مهنة، ولا يُتقِنُونَ عملاً، إلا صنعة برزوا فيها، وتفوَّقوا ووَّجهوا إليها جهدَهم، ألا وهي صنعة الكلام.

فَمَيَّزوا بين الأصيل منه والدَّخيل، النفيس منه والرخيص، وأصبحت للكلمة عندهم سلطة، إن تملكها شاعر تَوَّجُوه، واحتفلوا بميلاده، وفاخروا به، وفاخر بهم، وإن ملكها خطيب قَدَّمُوه في وفودهم ومجالسهم.

وأصبحت للكلمة عندهم أسواق يتبارون فيها، وفي ميدانها، فهذا شاعر يلقي قصيدته، والملأ حوله شَاخِصُون، وهذا خطيب اتخذ ناقتَه منبراً والناس تحته يستمعون، هل أحدثكم عن قيمة الكلمة ومكانتها؟، إنها أعظم مما تتصورون، وأكبر مما تتوقعون.

كيف لا؟، وهم حاربوا الرسول ﷺ وعشيرته لا لشيء إلا لأجل كلمة هي كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة عامًا يدعو قومه إليها: «**يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تُفلِحُوا**»، يقولها في أسواقهم، وفي أماكن تجمعهم عند البيت الحرام، وفي أنديتهم.

فكان قمة التحدي أن يكون فيما يُتقِنُون، ألا هو فن الكلام، دهشوا لوقوفهم هذا الموقف من كلام هو من جنس كلامهم، وعلى نسق نَظْمِهِم، وطريقة تأليفهم، ولكن بينهم وبينه مسافة لا يمكن تجاهلها وتخطِّيها.

فكلام الله سبحانه وتعالى في القمة من البيان تتعاقب عليه الأجيال والأزمنة والأمكنة والقُوى، لكن هذا الإعجاز الذي تضمنه كلام الله القرآن الكريم بتحديهم، وكرَّر التحدي حتى يُسمِعَ من لم يسمع، ونوَّعَهُ حتى لا يبقى عُذرٌ لعاجز، فتحدى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، وتحدى مرة أخرى، أن يأتوا بعشر سور مثله، وتحدى ثالثة: أن يأتوا بسورة مثله، وتحدى رابعة: أن يأتوا بحديثٍ مثله، إن القرآن لم يَسُدَّ على خصومه باب المعارضة، بل فتحه على مصراعيه وأزال كل عقبة أمامهم وتدرَّج بهم في التحدِّي، لم يطالبهم بأحسن منه، ولم يكلِّفهم بشيءٍ جديد عليهم، بل طالبهم أن يأتوا بمثله منقولاً مزعومًا لما كانوا يدعون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣-٣٤)، فقد أخبرهم عجزهم عن الإتيان بمثله، وما ذاك إلا لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد، فلما تكشَّف أمرهم، وصَغُر قدرُهم وسَاءَ حالُهم، نزل بهم إلى أن يأتوا بعشر سور مثله. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، أي: فأتوا أنتم بعشر سور مثله في البلاغة، وحسن النَّظْم، وهو نعت لسور، أي: أمثاله باعتبار مماثله كل واحدة منها: ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: صفة أخرى لسور ليظْهِرَ عجزهم وقعودهم عن المعارضة، وذكر مفتريات على نهج

المساهلة وإرخَاء العَـنَان، فإن صحَّ أنِّي اختلقتهُ من عندي، فـإنكم أقدر على ذلك منِّي لأنكم عرب فُـصحاء بُلغَـاء قد مارسـتم مبادئ ذلك من الخطب والأشـعار، وحـفظتم الوقائع والأيام وزاولتم أسـاليب النظْم والنثْـر، وادْعُوا من اسـتطتعـتم دُعَاءَه، والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون أنها مُمِدَّة لكم في كل ما تأتون وما تذرون، والكهنة الذين تلجئون إلى آراءهم في الملمات ليسَانِدُوكم فيها[1].

فلما أثبت عجـزهم طلب منهم سورة واحدة، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٣-٢٤)، وبهذا بعد أن يرخي لهم العنان إلى هذا الحـد يدعوهم إلى مـعارضـته كله، على مـا بهم من النقص أو العـيب يدعوهم إلى معـارضة عـشر سور مـثله، ثم أخيـرًا وبعد هذا الفشل يدعوهم إلى معارضة سورة واحدة، وفي خلال ذلك يناشدهم أن يستعينوا بالأنصار والأصحاب والأصـدقاء والأهل، حتى إذا ما أُغلقَت من دونهم الأبواب لم يكن هناك من بُدّ أن يسجِّل عليهم تلك الـنتيجة المزرية، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨).

وحينما يتحـدَّى لا يتحـدَّى تحدِّي الوَجِل الخائف من بطلان تحديه، بل تحدي المستعلي الواثق من عجز خصومـه، وإن كان هذا التحدي يُلهِب صدور خصومه ويستـفزُّهم لذلك، ويُجْهـزُ عليهم بالحكم القـاطع الناهي بأنهم لا يستطيـعون، ويتوعـدهم بالنار إن أصرُّوا على عنادهم بعد عـجزهم، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤).

---

(١) تفسير أبي السعود (ص١٣).

وايم الله لو كان فيهم قدرة على ذلك، ما آثروا الصمت وهم أهل اللجاج، وما آثروا طأطأة الرأس، وهم أُباة الضيم الأعزَّاء، كيف وقد أصاب منهم موضع العِزَّة والشرف، ألا إنهم رفعوا رؤوسهم يبحثون عن فجوة فما وجدوها.

وأتمَّ الله نزول القرآن، وانقطع الوحي، والتحدي ما زال قائمًا لم ينقطع، ولم ينته أمده، فهو لقوته أمتد زمنًا حتى شمل آباده، وامتد مكانًا حتى انتظم آفاق الأرض، وما زالت عجلة الزمن تدور وتطوي الفروق قرنًا فقرنا، ومسافة العجز تطول وتتَّسِع وتتشعب، وما زادهم عجزًا انحراف الألسنة، وشيوع اللحن، واختلاط الأنساب فحسب، بل زادهم أن وجوه الإعجاز تتجدد وتتولد كل يوم، فما أن يترك وجه من وجوه الإعجاز، حتى يظهر نجم إعجاز جديد معلنًا أن التحدي في القرآن ليس لعصر دون عصر، ولا لأمة دون أمة، ولا يزال هذا دأب القرآن في التحدي حتى يَرِثَ الله الأرض وما عليها.

الإعجاز العلمي

والإعجاز العلمي أحد وجوه الإعجاز القرآني التي لا يمكن تجاهلها، كما أجمع العلماء والمفكرون كلهم على الإقرار والاعتراف بأن القرآن العظيم لم ولن يصادم حقيقة علمية واحدة، كما وقع في الكتب السماوية السابقة.

والقارئ للقرآن الكريم أو المستمع للمصحف المرتل، يمكنه أن يستخرج العديد من الحقائق العلمية، والاكتشافات العصرية التي لا تتصادم مع آيات الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، بل تؤيدها وتؤكدها، فقد عرض القرآن الكريم الكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية، كخلق السموات والأرض، وخلق الإنس والجن والملائكة، وسَوْق السحاب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر،

وتحدث عــن الكواكب والنجوم والشُّــهُب، والصعــود في السمــاء، وعن أطوار الجنين، وعن النبــات والحيــوان، والبحــار والجبــال، وما تحت الثَّــرَى، وعرض لمعارف شتَّى، وعلوم متعددة، ومع هذا كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته.

ولم يصادم جزئية من جزئياته، مما جعل للقرآن مكانة لم يشاركه فيها كتاب من قبله، ولا من بعده، فــما من كتاب عرض لمثل مــا عرض له القرآن الكريم، إلا وكشف الزمن زَيْفَــهُ، وأبطلت الحقــائق العلمية الثــابتة خطأ نظرياته، حــاشا القرآن الكــريم، فما زالت آياته عــالية، لا يطالهــا شيء من ذلك، لا لشيء إلا لأنها كلامُ مَنْ وَسِعَ كُلَّ شيء عِلْمًا، وكفى بهذا إثباتًا لإعجاز القرآن الكريم.

الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي

ومن إعجاز القرآن ما تضمنه ألوانًا من التشــريع لا يمكن لمصلح اجتماعي مهما بَلَغَ من العلم والحكمــة والفطْنة والذكاء والعــقل والفكر والسيــاسة والحزم والبــصر والذوق أن يأتي بمثلها في علاجها للأمراض وقضــائها على المشاكل وطبها للنفوس، وتقويمها للطبــاع، وقد انتقل بالعرب في أقرب مدة من أمة مــفككة ممزقة، حيث لا اقتــصاد قائم ولا سيــاسة مرسومــة ولا نظام محكم ولا حكومة عــادلة نزل القرآن الكريم، فانتشلها من ركام الجاهلية وظلماتها إلى شموخ الإسلام.

وما كــان لأحد أن يفلح في هذا الأمر في هذا المجــتمع في هذه السنوات، لولا منهج في الإصلاح فــريد سلكه القرآن، ما كان لأحد من البــشر أن يسلكه وما كان في قــدرته أن يفعله النظام التشريعي المحكم الذي أذهل عــقول أساطين الفقه والقانون، وعقدت لأجله المؤتمرات الفقــهية في المجامع الفقهية، والندوات المتعددة والمؤلفات، بل الموسوعات والمعاجم الــضخمة الشاملة، فهذا كله حق لا

ينكر للقرآن، فالمنهج الذي سلكه القرآن الكريم لتحويل هذا المجتمع بصفاته السابقة إلى مجتمع آخر على الضدِّ منه تمامًا، فحوله من مجتمع مشرك بكل رزاياه إلى مجتمع مسلم بكل مزاياه.

هذا المنهج خاص بالقرآن الكريم، لم يسلكه كتاب من قبله، ومهما حاول المصلحون من بعده أن يسلكوا مسلكه، فإنهم وإن حرصوا، لابد مقصرين ومفرطين.

فقد يملك بعض الناس الفكرة الحسنة، لكنه يغمطها حقها بسوء التعبير عنها، فلا تصل إلى أذهان الناس حيَّة وقَّادة كما هي في واقعها، فتقع في القلوب موقع القبول، وتُطْرِبُ الأسماع لها، فبذلك يجني المفكِّر على فكرته من حيث لا يدري، وقد يملك بعض الناس فكرة سامجة، فيصبغها بأحسن الأساليب، ويدهنها بلامع الكلمات، وصقيل الألفاظ، وينمق العبارة، فيُدلِّس بها على القلوب، ويخدعها حسن الأسلوب، فيعميها وقع العبارة عن التأمل في الفكرة، فتظفر من القبول بما لا تستحقُّ.

لكن القرآن جمع الحُسْنَيين، فعبَّر عن الفكرة بأحسن عبارة، وسلك من الأساليب ما يأسِر السمع، ويملك القلوب، وهذا لاشك وجْهٌ قوي ومَسْلَكٌ أصيل للإصلاح، وهو الإقناع حين يسوق القرآن الكريم عقيدة من عقائده، أو حكمًا من تشريعه؛ فإنه لا يقف عند هذا فحسب، بل يُورِد من البراهين والأدلة، ما لا يُبقي عذرًا لمستمع، بل وينعي على أولئك الذين لا يعلمون عقولَهم، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢)، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، لذلك نجد الآيات: ﴿لعلكم تعقلون﴾، و ﴿لقوم

يتفكرون﴾، و ﴿لقوم يفقهون﴾، و ﴿أفلا يسمعون﴾، و ﴿قليلاً ما تذكرون﴾، و ﴿أنى يؤفكون﴾، و ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

وأمثالها كثيرًا ما تَرِدُ في القرآن الكريم، داعية إلى التفكر والتأمل والتدبر في الأدلة والحجج والبراهين وقضايا العقيدة وأحكام الشريعة، حتى يقف المسلم على المحجة الواضحة الظاهرة، فالله ركب في الإنسان روحًا وجسدًا ووازن في تشريعه بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وجاء القرآن على هذا النهج السليم والتشريع القويم في الموازنة بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، فنال الجسد مطالبه المباحة، وحظيت الروح بمطالبها المشروعة، وحين تتحقق هذه المطالب فلا يملك الإنسان إلا الاستجابة، ويكن هذا عونًا على إصلاح المجتمع إن يُسر الشريعة لا يُنكَر، ورفع الحرج فيها لا يُجحَد.

النصوص في ذلك امتلأ بها القرآن، وامتلأت بها السُّنة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولاشك أن يسر الشريعة هذا رغب الناس في اتباعها، لأنها شريعة اليسر والتفاوت في الأحكام، ففي الأوامر درجات: ركن، فرض، واجب، سُنة مؤكدة، سُنة.

والنواهي درجات: شرك أكبر، شرك أصغر، كفر مخرج من الملة، كفر غير مخرج من الملة، نفاق، كبائر، صغائر، حرام، مكروه، وبينهما درجة المباح.

وقد قال الزرقاني - رحمه الله تعالى -: إن وضع التشريع على هذا الوجه فيه متسع للجميع، وفيه إغراء للنفوس الضعيفة أن تتشرف باعتناق الإسلام، ولو في أدنى درجة من درجاته، حتى إذا أَنِسَت به وذاقت حلاوته، تدرجت في

مدارج الرُّقي، فمن إسلام إلى الإيمان، إلى آداء ركن، إلى آداء فرض، إلى آداء واجب . . إلخ، ومن ترك شرك، إلى ترك نفاق إلى ترك كبيرة(١) .

وهنا لابد لنا أن نتحدث عن مصدر التشريع في هذه الأمة، إن المجتمع المسلم منذ قيامه على يد رسول الله ﷺ قد قام على تحكيم شريعة الله في الأرض، ومضى على ذلك الخلفاء الراشدين والتابعون من بعدهم من السلف الصالح، وأما ما جَدَّ في حياة المسلمين لأول مرة في تاريخهم، وهو تنحية شريعة الله عن الحكم ورميها بالرجعية والتخلُّف، وأنها لم تعد تواكب التقدم الحضاري والعصر المتطور فهذا مخالف لشريعة الإسلام.

إن الأمر لم يقتصر على تلك الدعاوى التافهة، بل تعداه إلى إقصائها فعلاً عن واقع الحياة، واستبدال الذي هو أدنى بها، فحل محلها القانون الفرنسي أو الانجليزي أو الأمريكي، أو غير ذلك من النظم العلمانية، إن إقصاء الشريعة الربانية وإحلال أهواء البشر محلها، هذا الذي أخرج العلماء قديمًا وحديثًا فاعلها عن الإسلام لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤)، إنه سبحانه وتعالى باعتراف الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم هو خالق السماء والأرض، فهو أيضًا صاحب الأمر والسلطان والحكم والسيادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتاب (منهاج السُّنة): ولاريب أن من لم يعتقد وجوبَ الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحلَّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله، فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كعادات وتقاليد أهل البادية، وكانوا الأمراء المطاعين، ويرون أن هذا هو الذي

---

(١) «مناهل العرفان» الزرقاني (جـ٢) (ص٢٦٨).

ينبغي الحكم به دون الكتاب والسُّنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لايحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلزموا ذلك، بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار[١].

وهنا أمر يجب التفطُّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون كفرًا ينقل من الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرًا: إما مجازيًا، أو إما كفرًا أصغر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وإنه مخير به أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا، أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده، واستفرغ وسعَه في معرفة الحكم، وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور[٢].

وأسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا، ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه، ونسأل الله أن يعود شرع الله في أرضه.

ثانيًا - التعبد بتلاوة القرآن

التعبد بتلاوة القرآن سِمَةٌ من سِماته، ولا تكون لسواه، فلا يجوز لإنسان أن يتعبد في صلاته بغير القرآن، كالحديث القدسي، أو الحديث النبوي، وقد علَّم النبي ﷺ المسيء صلاته، فقال: **«إذا دخلت في الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسَّر معك**

(١) «مجموع التوحيد» الرسالة الثانية عشرة (ص٢٧٨).
(٢) «شرح الطحاوية» (ص٤٤٦).

من القرآن .. إلخ»[1]، وقد يظن البعض أن التعبد بتلاوة القرآن، والثواب لقارئه، ولمستمعه شيء واحد، والحق أنها غير ذلك.

فالتعبد بتلاوة القرآن أخص من ثواب القراءة، ذلكم أنا نقصد بالتعبد بتلاوته، أن من العبادات الشرعية ما لا يتم إلا بتلاوة القرآن الكريم، وهي الصلاة عمود هذا الدين.

أما الثواب على التلاوة فيحصل سواء كان في صلاة أو في خارجها، وقد أطلق الله القرآن على الصلاة، لأنه أهم أركانها، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)، المقصود بذلك: هي صلاة الفجر.

لذا يُسَنُّ طولُ القراءة في صلاة الفجر أخذًا من هذه الآية، وكذلك يجوز تلاوة القرآن في جميع أوقات الإنسان، إذا قرأه على وجه التَّبَتُّل والخشوع لله، وهذه ميزة القرآن الكريم وليست لكتاب غيره، وقد أمر الله نبيَّه أن يتلوَ القرآن في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والتلاوة المقصودة هنا: تلاوة على سبيل البلاغ والتعبُّد، وقد امتثل النبي أَمْر ربِّه، بتلاوة كتابه، كما قال الله مخبرًا عنه: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ (النمل: ٩١-٩٢).

وقد أرشد الله نبيه وأُمته إلى كيفية تلاوته، فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤)، فالترتيل: جعل الشيء مرتلاً، أي: منسقًا ومنظمًا، وقيل: تبيين حروف القرآن عند القراءة، والتأنِّي في آدائها ليكون أدعى إلى فهم معانيها، وأخرج الآجُرِّي في (حَمَلَة القرآن) عن ابن مسعود ﷺ: «لا تنثروه نثر الدَّقل،

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة.

ولا تهذوه هذَّ الشعر، قِفُوا عند عجائبه، وحَرِّكوا به القلوب، ولا يكون هَمَّ أحدِكم آخرَ السورة».

وروى البخاري في صحيحه عن أنس أنه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مدًّا»، ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ الله، ويمدُّ الرحمن، ويمدُّ الرحيم».

قال في (شرح المهذب): واتفقوا على كراهية الإفراط في الإسراع قالوا: واستحباب الترتيل للتدبر، لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيرًا في القلب.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: إن لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل بشرط أن يكون المسرِعُ لا يخلُّ بشيءٍ من الحروف والحركات والسكون والواجبات، فلا يمتنع أن يفضِّل أحدهما عن الآخر وأن يستويا، فإن من رتَّل تأمل، كمن تصدَّق بجوهرةٍ واحدةٍ مثمنة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها واحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكبر من قيمة الأخريات، وقد يكون بالعكس، إن ثواب قراءة الترتيل أجلُّ قَدْرًا وثواب الكثرة أكثر عددًا، لأن بكل حرف عشر حسنات.

في (البرهان) للزركشي: كمال الترتيل تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وأن لا يُدغَمُ حرفٌ في حرفٍ، وقيل: هذا أقلُّه وأكمله أن يقرأ على منازله، فإن قرأ تهديدًا لفظ به لفظ التهديد، أو تعظيمًا لفظ به لفظ التعظيم، وليس معنى هذا: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، أن يقرأ بطريقة فيها تلحين وترطيب، يُغيِّر من ألفاظ القرآن، ويُخِلُّ بالقراءة الصحيحة من حيث الأداء ومخارج الحروف، والغنة والمد والإدغام والإظهار، وغير ذلك مما تقتضيه القراءة السليمة للقرآن الكريم، وإنما يقرأ بصوت جميل، وبخشوعٍ وتدبُّرٍ والتزامٍ تامٍ للقراءة الصحيحة.

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما أمره بصلاة الليل أمره بترتيل القرآن حتى يتمكَّن الخاطر من التأمُّل في حقائق تلك الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، حينئذٍ يستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني، لأن النَّفْسَ تَبتَهجُ بذكر الأمور الإلهية الروحانية، ومن ابتهج بشيءٍ أحبَّ ذكره ومن أحبَّ شيئًا لم يمر عليه بسرعة، فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة[1].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُقالُ لصاحبِ القرآن اقرأ، ورتِّلْ كما كنتَ ترتِّل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»**[2].

وقال ﷺ: **«أفضل عبادة أُمَّتِي قراءة القرآن»**[3].

وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلونَ كتابَ الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده»**.

فقد جمع هذا الحديث أربعة أنواع من ثواب تلاوة القرآن، ومدارسته:

١ـ تنزل عليهم السكينة.

٢ـ تغشاهم الرحمة.

٣ـ تحفُّهم الملائكة.

٤ـ يذكُرهم الله فيمن عنده.

---

(١) تفسير الفخر الرازي (جـ٣٠) (ص١٧٤).
(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي.
(٣) أخرجه البيهقي من حديث النعمان بن بشير.

وثواب الاستماع إلى القرآن الكريم فيه الأجر والثواب، حتى قال الليث بن سعد ـ رحمه الله تعالى ـ يُقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مُستَمِعِ القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

تدبر معنى قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾، ولم يقل: فاسمعوا، ذلكم أن الاستماع هو الإصغاءُ والإنصاتُ، والاستماع مع ترك الكلام، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«من استمع إلى آيةٍ من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة، ومن تَلاها كانت له نوراً يوم القيامة»**[1].

ولاشك أن هذا الثواب الجزيل، والأجر العظيم، لدارس القرآن، وتاليه ومستمعه، أنه خاص بالقرآن، لا يُدانيه ثوابُ تلاوةٍ أو استماع لغيره، فأيُّ كلامٍ يُنال تاليه بالحرف الواحد عشر حسنات، وأكثر غير القرآن.

ثالثاً ـ حفظ الله له

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، لقد تولى الله حفظ كتابه وصيانته من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان بما ليس في كتاب آخر.

القرآن وحده هو الذي تعهد الله بحفظه أما التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة، فقد أَوْكَلَ حفظَهَا إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤)، لو ذهبنا نستعرض الأحداث العظيمة، والأهوال

(١) «مسند الإمام أحمد» (جـ٢) (ص٣٤١).

الجسيمة والعوامل الخطيرة، والأحوال الخطـيرة التي اخترقها القرآنُ، حتى وَصَلَ إلينا كمـا أنزله الله، وسيخـترق ـ بإذن الله ـ أحوال المجـتمع الإسلامي المعـاصر، وظروفه وملابساته، والقوى المعـادية لكل ما هو إسلامي ويَصِل إلى من بعدنا ومن بعدهم إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها، ليتم الله نوره ولو كره الكافرون.

إن أعداء هذا الديـن سواء كانوا من الفـرق الضالَّة المنتَّسبـة للإسلام أم من غيرهم، الذين يتربصون بالإسلام، ويكـيدون لأهله، أمتدت أيديهم الأثيمة إلى أحـاديث النبي ﷺ ، فـأدخلوا فيـهـا ما ليـس منها، وبذل العـلماء العـدول الضابطون ما بذلوا من جهود لتنقية السُّنة النبوية، مما فعله هؤلاء الأعداء، وأفنوا حياتهم في خـدمه سُنة الحبيب المصطفى يدافعـون عنها، ويذودون عنها، ولكن هؤلاء الأعداء لم يقدروا على شيءٍ واحدٍ، وهو إحْداث شيءٍ في هذا القرآن مع أنهم وأشباههم في الضلال، قد أحدثوا ما أحدثوا في الكتب السابقة.

لقد تكالب الأعـداء عليه منذ أول إشعاعة له، وتداعـت الأمم عليه، وتآمر المتآمـرون، وخطط المخططون، لولا أن هناك قوة أكبـر لا يستطيعهـا بشر تولت حفظ هذا الكتاب.

أول ما نزل كان المشركون يَلْغُونَ عند تلاوته، ويطاردون صاحبه، ويحاربون أتباعَـه، ويصرفون الناس عن سمـاعه، وما تركـوا من وسيلة إلا سلكوها، ولا مَطِيَّةٍ إلا ركبوها، خابوا وخسروا.

وحين اتسعت رُقْعَة الدولة الإسلامية، حـسبت طائفة أن المهمة انتهت، وأن العقيدة انتشرت، ووصل مداها أقصى المشرق والمغرب، فركنوا إلى الدَّعَة وآثروا السكون، فالتمس أعداء الإسلام هذه الغفلة، فتداعوا عليهم، وجيشوا الجيوش، وجمعوا الجموع.

وصبوا غضبهم على العالم الإسلامي في أرضهم، يدمرون بيوتهم ومساكنهم، وفي أرواحهم يقتلونهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، كبارًا وصغارًا، وفي تراثهم يحرقون كتبهم ومؤلفاتهم وعلومهم، صليبيو اليوم والغد، وتتار ومغول وباطنية، وملاحدة، ثم استعمار بأبشع صورة، يستولي على العقول، فيسلخها من الدين، ويُجردها من الأخلاق، وينشر الفسق، والمجون، والبدع، والمنكرات، وصورًا من الجهل، والدجل والشعوذة.

حتى أعجزوهم عن حماية أنفسهم أو عقيدتهم أو أرضهم أو أعراضهم أو أخلاقهم، حتى عقولهم، باعوها بالرخيص لأولئك، فقلدوهم في مساوئهم، ولم يدركوا الأخذ بمحاسنهم، إن كان فيهم محاسن.

بلبلوا أفكارهم، ورموهم في متاهات العقول، وراجت بينهم الشعارات البراقة الخداعة: التقدم، التطور، العلمانية، الحداثة، التحرر، التجديد، القومية، الاشتراكية، الشيوعية . . آخرها النظام العالمي الجديد.

شعارات جوفاء يرددونها لا يفقهون لها معنى، أو لا يدركون لها مرمى، مع كل هذا التفكك في العالم الإسلامي، وكل هذا التأثير من الأعداء، فإنهم لم يستطيعوا تحريف أو تبديل أو أدنى تغيير في هذا الكتاب، كل هذه الأحداث وكل هذه القدرات والمحاولات، والمكر والكيد لم يستطيعوه، ألا وهو زيادة حرف أو نقص حرف، فضلاً عن الكلمة أو تقديم جملة على جملة، أو تغيير عبارة بأخرى في هذا القرآن لم يستطيعوه، ولم يدركوه، ولو اجتمعوا له.



صور من تيسير حفظه وتلاوته

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).

قال مجاهد: يسرنا: هوَّنا قراءته وما أكثر صور هذا التيسير لحفظ القرآن الكريم.

* أرأيتم ذلك الصبي يرسله والده إلى الكُتَّاب، لا يعرف للحروف شكلاً، ولا يملك من اللسان العربي إلا كلمات محدودة، يرسله والده إلى الكُتَّاب، فيقرأ القرآن، ثم لا يلبث إلا زمنًا يسيرًا، فإذا به قد حفظ القرآن كله، وأجاد تلاوته، واستقام به لسانه، وحسن به نطقه، وهذَّب خُلُقَه وكَسَاه وقارًا، وزاده سكينة.

* انظر إلى صورة أخرى للرجل الأعجمي الذي لا يعرف من اللسان العربي كلمة، ولا يفهم لها معنى، يقرأ القرآن فيرتِّله ترتيلاً، يُخرِج حروفه من مخارجها، حتى لتحسبه جاءك يسعى من القرن الأول، حيث فصاحة اللسان، ووضوح المنطق، وما أن ينتهي من التلاوة حتى تستبين لك حقيقته، فتراه إن عرف شيئًا من العربية نطقه بلُكْنَةٍ ظاهرة أو كلمات لا تستقيم.

* تأمل مدارس تحفيظ القرآن في العالم الإسلامي، نشأت منذ نزول القرآن وما زالت يلتحق بها في كل بلدٍ الآلاف يتلون القرآن، ويحفظون منه ما شاء الله، أرأيتم لو كان في حفظه مشقة، هل سيلتحق بها أحدٌ، أو يُلْحِق ابنَه مع أنه لا دافع يدفعهم إلا دافع الإيمان، ولا مُلْزِم لالتحاقهم بها إلا حُب القرآن، ولو لم تكن تلاوته مُيسَّرة لانفضُّوا، فقد يسر الله القرآن الكريم حتى يقبل الناس على تلاوته، فأقبلوا يتنافسون في تلاوته، ويقومون به آناء الليل وأطراف النهار، ما كلُّوا ولا ملُّوا، وما فترت هِمَمُهم عن تلاوته وتدبُّرِه.

وتلاوة القرآن مُيسَّرة في توفر المصاحف، فلم يُكتب مكتوبٌ، ولم يُطبع مطبوعٌ مثلَ القرآن، وتوفرت تسجيلاته الصوتية، فكم من قارئ سجَّل القرآن بصوته ملتزمًا أحكام التلاوة، مصاحف كاملة، ومصاحف مُجزَّأة أرباع وأسداس وأثمان وأعشار، وكل جزء على حِده، وما ذاك إلا تيسيرًا لتلاوته، وأخيرًا المصحف الإلكتروني القرآن بالصوت والصورة.

وما زالت المسيرة مستمرة، يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم حتى في هذا العصر، ومع تكالب الأحوال على المسلمين، واضطراب المعيشة ومغريات الحضارة، وتوافر الموانع، وانحسار الدوافع، نجد كثرة من حُفَّاظ القرآن، ونجد إقبالاً لا يخطر ببالٍ، ولا يحلم بمثله أهل الكتاب، وتيسر حفظ القرآن وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن، حيث قال النويري: الوجه الثامن: أن الله تعالى يَسَّرَ حفظه لمتعلميه، وقَرَّبه على متحفظيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ٢٢)، فلذلك فإن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها، وإن لازم قراءتها، وداوم مدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسَّر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدَّة القريبة والنسوان، وقد رأينا من حفظه على كِبَرِ سِنِّه، وهذا من معجزاته[1].

وقال أيضًا: الوجه السابع لإعجاز القرآن، فقال: أن قارئه لا يملُّ قراءته، وسامعه لا تمُجُّه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيدُه حلاوة ومحبة، لا يزال غضًّا طريًّا، وغيره من الكلام، ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة، يُمَلُّ مع الترديد، ويُسأم إذا أُعِيد، وكذلك غيره من الكتب، لا يوجد فيها ما فيه من ذلك.

---

(١) «نهاية الأرب» النويري (جـ ١٨) (ص٣٠٧).

وعَدَ السيـوطي من وجوه إعجازه: أن قارئه لا يملُّه، وسامـعه لا يمجُّه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له مـحبة، وغيره من الكلام يُعادى إذا أُعـيد، ويُملُّ مع التـرديد، ولهذا وصف ﷺ القـرآنَ بأنه لا يَخْلَقُ على كثرة الرد[١].

ويقول الماوردي ـ رحمـه الله تعالى ـ: الوجه الحادي عشـر من إعجازه: أن تلاوته تخـتص بخمـسة بواعث عليـه، لا توجد في غـيره، أحـدها: هشـاشة مخرجه، والثاني: بهجة رونقه، والثالث: سلاسة نظمه، والرابع: حُسْن قبوله، والخـامس: أن قـارئه لا يَكَلُّ، وسـامعـه لا يَمَلُّ، وهذا في غـيـره من الكلام معدوم[٢].

إن سلامة القرآن من أي تحريف وتيسير تلاوته وحفظه، رغم حرص الأعداء على تحريفه، ورغم ما أصاب المسلمين من أحداثٍ جسام، ورغم تطاول القرون، والدهور، والأحـداث، دليلٌ ساطع على أن هناك قـوة خارقـة خارجـة عن قوة البشر قد تولَّت حـفظَ هـذا القـرآن، وهذه القوة هي قوة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ولا يماري في ذلك إلا العنيد الجهول، فهذه بركة من بركات القرآن.



(١) «الإتقان في علوم القرآن» السيوطي (جـ ٢) (ص١٢٣).
(٢) «أعلام النبوة» الماوردي.

الفصل الثاني
بركات القرآن الدينية

بركات القرآن الكريم الدينيـة كثيرة، يصعب علينا عـدَّها، ويكفينا أن نذكر بعض تلك البركات:

١ ـ إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

القرآن الكريم من بركاته أنه يخـرج الناس من الظلمات إلى النور، وذلك لما اشتـمل عليه من الأدلة الواضحة والحـجج الباهرة على توحيـد الله، وإبطال ما عداه من الأنداد والأضداد.

كمـا بين ما تستحـقه الذات العليا من الجـلال والكمال ما يليق به سبـحانه وتعـالى، كل ذلك برهان صادق ممـا يزيل الشكوك من النفـوس القلقة، وينيـر القلوب المظلمة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١).

والمعنى: هذا كتاب جليل الشأن، عظيم القـدر، أنزلناه إليك يا محمد لكي تخـرج الناس من ظلمـات الكفر والجـهـالة والضـلال، إلى نور الإيمان والعلم والهداية، وهذا الإخراج إنما هو بإذن ربهم ومشـيئته وإرادته، وقوله: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَى النُّورِ﴾.

أي: لتـخرج الناس من ظلمـات الكفر والضـلال إلى طريق الله ﴿الْعَزِيزِ﴾، أي: الذي يغلب ولا يُغلب، ﴿الْحَمِيدِ﴾، أي: المحـمـود بكل لسـان، وأسند سبـحانه الإخـراج إلى النبي ﷺ باعتـباره المبلِّغ لهـذا الكتاب المشتـمل على الهداية، وشبه الكفر بالظلمات.

كما يقول الإمام الرازي: لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية، وشبه الإيمان بالنور، لأنه نهاية ما ينجلي به طريق هدايته(١).

وفي جمع ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ وإفراد ﴿النُّورِ﴾: إشارة إلى أن للكفر طرقًا كثيرة، وأما الأيمان فطريق واحد.

وقوله سبحانه: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: احتراس لبيان أن نقل الناس من حال إلى حال، إنما هو بإرادة الله تعالى ومشيئته، وأن الرسول ما هو إلا مُبلِّغ فقط، أما الهداية فمن الله وحده.

٢ - *هداية القرآن إلى الصراط المستقيم:*

جمع الله في القرآن الكريم ما يحتاجه الإنسان من أمور الدنيا والآخرة، بما يغنيه عن أي كتاب آخر، فقد اشتمل الدستور القرآني على العقائد الدينية والعبادات البدنية، والمعاملات الدنيوية، والآداب النفسية والاجتماعية الملائمة للعقول في كل عصر وجيل وشعب وقبيل.

كما حذَّر القرآن من الرذائل الخُلُقية والقبائح الاجتماعية والشرور الدنيوية، وغير ذلك من كل ما يخل بالمروءة الشرف، فالقرآن الكريم هو أحقُّ كتاب أن يُتبع، وأولى الدساتير بالعمل، قال ﷺ في وصف كتاب الله: «**فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدَل، ومن دَعَى إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم**»(٢).

---

(١) تفسير فخر الرازي (جـ ١٩) (ص٧٢).

(٢) رواه الترمذي.

قال تعالى في وصف القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، والمعنى: أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى عليك يا محمد ﷺ، يرشد الناس ويدلهم ويهديهم في جميع شئونهم الدينية والدنيوية إلى المِلَّة التي هي أقوم الملل، وأعدلها، وهي مِلَّة الإسلام، فمنهم: من يستجيب لهذه الهداية، فيظفر بالسعادة، ومنهم: من يُعرض عنها، فيبوء بالشقاء لا ينفك عنه.

قال صاحب الظلال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية، ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشقُّ التكاليف على النفس حتى تمل، ولا تسهَّل حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادًا وأزواجًا وحكومات وشعوبًا ودولاً وأجناس، ويهدي للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل[١].

٣ ـ المنزلة العالية لأهل القرآن في الدنيا والآخرة:

أعدَّ الله تعالى لمن قرأ القرآن الدرجات العالية والمراتب السَّامية في الدنيا والآخرة، فهو في الدنيا ينتسب إلى الله، ومن كان منتسبًا لله ربح كل شيء،

---

(١) «ظلال القرآن» (جـ ١٥) (ص٢٢١٥).

قال ﷺ : **«إن لله أهلين من الناس»**، قيل: «من هم يا رسول الله»، قال: **«أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصَّته»**[(١)] .

من أراد الحصول على المنازل المادية ليسخرها لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ كالجاه والغنى والقوة، فعليه بتلاوة القرآن، وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ : **«من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن»**.

وقال ﷺ : **«من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يُوحى إليه»**[(٢)]، وهذا يدل على عظم منزلة صاحب القرآن في الدنيا، أما في الآخرة: **«يجيء القرآنُ يوم القيامة، فيقولُ: يا ربِّ حلِّه، فَيُلْبَسَ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ زِدْه، فيلبس حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ ارْضَ عنه، فيرضى عنه، فيقول له: اقرأْ وارْقَ، ويُزادُ بكُلِّ آيةٍ حسنةً»**[(٣)] .

وقد دخلت أم الدرداء على عائشة رضي الله عنها، فقالت لها: «ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة»، فقالت عائشة رضي الله عنها: **«إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن»**، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى يوم القيامة للملائكة: **«يا ملائكتي أين جيراني قربوهم مني، فتقول الملائكة: ومن جيرانك يا رب العزة، فيقول الله لهم: قارئي القرآن، وعمار المساجد»**، هذه المنزلة العليا لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، فأحل حلاله، وحرم حرامه.

أما من قرأ القرآن ابتغاء الرياء والسُّمعة، ولم يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، فالقرآن محجة عليه، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«والقرآن حُجَّة لك أو عليك»**.

---

(١) رواه الحاكم والنسائي وابن ماجه. (٢) رواه الحاكم.
(٣) رواه الترمذي.

وحق لأهل الله وحملة كتابه أن يعتزوا بأنفهسم، فالعزة التي يتسمون بها هي العزة التي كتبها الله لعباده المؤمنين الصادقين، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨)، فأهل القرآن استغنوا بالقرآن عن الناس، فلا يُحنون جبهتهم لمخلوق، وكيف لا، وقد أعطاهم الله القرآن غنى لا فقر بعده، وعِزًّا لا ذُلّ معه، فهم أعلى الناس وأفضلهم لا تدانيهم منزلة ولا تساويهم درجة.

قال ﷺ: **«من آتاه القرآن، فظن أن أحداً أوتيَ خيراً منه، فقد صغَّر ما عظَّمه الله تعالى، وعظَّم ما صغَّره الله تعالى»**، ولاشك أن اعتزاز أهل القرآن بأنفسهم يكسبهم المهابة في قلوب الناس، لأن القرآن أثَّر فيهم، يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، وهذا يُكسبهم رِضى اللهِ عنهم، ويفتح الأبوب المغلَّقة أمامهم، وهيبة الناس لهم، واحترام الناس إياهم.

نفعنا الله بالقرآن وجعله لنا في الدنيا إمامًا، وفي القبر مُؤنسًا، وفي القيامة شفيعًا، وعلى الصراط قائدًا، وفي الجنة رفيقًا، إنه أكرم مسئول.



الفصل الثالث

بركات القرآن الدنيوية

شفاؤه لأمراض القلوب والأبدان

في الاستشفاء بكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - غنى تام، فهو الشفاء لما في الصدور، والوقاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمنين من الأحياء، وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبر آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكل دواء.

خواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا مَنْ عقيدته واهية، ولكن لا يعقلها إلا العالمون، لأنها تذكرة، وتعيها أذن واعية، والله الهادي الموفق للحق.

وقد تحدثنا بالتفصيل عن شفاء القرآن في كتابنا (البلسم الشافي في العلاج بالقرآن الكريم)، وقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ (الإسراء: ٨١).

قال الفخر الرازي: ﴿مِنَ﴾ هنا ليست للتبعيض، بل هي للجنس، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ (الحج: ٣٠)، والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن، ما هو شفاء، فجميع القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

ومما لاشك فيه أن قراءة القرآن والعمل بأحكامه وآدابه وتوجيهاته شفاء للنفوس من الوسوسة والقلق والحيرة والنفاق والرذائل المختلفة ورحمة للمؤمنين من العذاب الذي يحزنهم ويشقيهم، إنه شفاء للنفوس من الأمرض القلبية،

كالحسد والطمع والانحراف عن طريق الحق، وشفاء لها من الأمرض الجسمانية، والقرآن الكريم كله شفاء أو بعضه شفاء، لكن الآية تشير إلى أنه كله شفاء، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧).

قال ابن القيم: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوى به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواءُ كلام ربِّ الأرض والسماوات، الذي لو نزل علي الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها.

فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه، وقال: من المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مُجربَّة، فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام، كفضل الله على خلقه، الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادي والرحمة العامة الذي لو نزل على جبل لتصدع من عظمته وجلاله[1].

* واختلف العلماء في كونه - أي: القرآن - شفاء على قولين:

أحدهما - أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل.

الثاني - أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرُّقَى والتعوُّذ، وقد روى الإئمة - واللفظ للدارقطني - عن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله ﷺ في

---

(١) «الطب النبوي» لابن القيم.

سرية ثلاثين راكبًا، قال: فنزلنا على قوم من العرب نسألهم أن يضيفونا، فأبوا، قال: فَلُدِغَ سيِّد الحي، فأتونا، فقال: أفيكم أحد يرقي من العقرب؟، قال: قلت: أنا، نعم، ولكن لا نفعل حتى تعطونا، فقالوا: فإنا نعطيكم ثلاثين شاة، قال: فقرأت عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سبع مرات، فَبَرَأَ فبعثوا إلينا بالنزل، وبعثوا إلينا بالشياة، فأكلنا الطعام أنا وأصحابي، وأبوا أن يأكلوا من الغنم، حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: **«ما يدريك أنها رقية؟»**، قلتُ: يا رسول الله شيء ألقي في روعي، قال: **«كلوا وأطعمونا من الغنم»**[1].

ومن هنا نجد أن قرآءة القرآن والعمل بما فيه من هدايات وإرشادات وتشريعات كل ذلك يؤدي ـ بإذن الله تعالى ـ إلى الشفاء من أمراض القلوب، ومن أمراض الأجسام والأبدان، وكون القرآن شفاء للأجسام، يحتاج من الإنسان إلى زيادة في الإيمان، وقوة في اليقين، وثقة في الله تعالى، حتى يتحقق له ذلك.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»**[2].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الدواء القرآن»**[3].

وأخرج البيهقي عن واثلة بن الأسقع: أن رجلاً شكا للنبي ﷺ وجع حلقه، فقال: **«عليك بقراءة القرآن»**.

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري: قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: «إني أشتكي صدري»، فقال له: **«اقرأ القرآن؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾»**.

---

(١) تفسير القرطبي (جـ ١٠) (ص١٠٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه.
(٣) أخرجه ابن ماجه.

* فمراتب الشفاء المعنوي قسمان:

١- عام.　　　　٢- خاص.

أما الشفاء العام- فالقرآن في جميعه بجملته شفاء، لقوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾، وقوله ﷺ: **«عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»**.

وأما الشفاء الخاص- فهو بعض من القرآن يكون شفاء خاصًا للمؤمنين فقط، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، والقرآن يزخر بالأسرار التي لا يبلغ منتهاها إلا العزيز الغفار، وهو الشفاء والرحمة والنور والضياء، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤)، أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية.

وفي الحديث: **«ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء»**[(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: أذهب البأسَ رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يُغادر سقمًا»**[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«رخَّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة»**[(٣)].

والحمة: التي تحم الإنسان هي كل ذات سُمٍّ، والنملة هي القروح تخرج في الجنب، ونجد في هذا الحديث بيانًا لمشروعية الرقية من كل مرض يصيب

---

(١) رواه البخاري.　　　　(٢) مسلم «باب السلام» (٤٦).

(٢) مسلم (ص٥٨).

الإنسان، وليس معناه تخصيص جوازها بهذه الثلاثة، إنما معناه أنه سُئِلَ عن هذه الثلاثة فأذن فيها، ولو سُئل عن غيرها لأذن فيه، وقد أَذِنَ لغير هؤلاء، ورقى ﷺ في غيرها.

يتضح مشروعية الرقى مالم يكن فيها شرك: فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟، فقال: **«اعرضُوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك»**.

وعن جابر رضي الله عنه قال: لدغت رجل منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله أرقي، قال: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه، فليفعل»**[١].

قال ابن القيم: الأذكار والآيات والأدعية التي يُستشفى بها ويُرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة هِمَّة الفاعل، وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفَعِل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسِّية، فإن عدم تأثيرها قد يكون قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام، كان انتفاع البدن به، بحسب ذلك القبول[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) ابن القيم «الجواب الكافي».

المانع من تأثير القرآن في العلاج

ولعل ما يمنع من إجابة الدعاء هو المانع من أن يكون للقرآن أثره في العلاج، وهو كثرة الذنوب والمعاصي، وأهمها أكل الحرام، فإذا كثرت الذنوب والمعاصي من العبد، غطت على قلبه، قال ﷺ : **«إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تغلق قلبه»**، فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)، وفي الحديث: **«ثم ذكر الرجل يُطيل السفر، أشْعَث أغبر، يَمُدُّ يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنى يُستجاب له»**[١].

فالذنوب والمعاصي مانعة من إجابة الدعاء، وكذا الانتفاع بالقرآن الكريم في الهداية والعلاج، فأما صغائر الذنوب، فتجلوها الحسنات والعبادات وأهمها الصلاة، وأما كبائر الذنوب فتجلوها التوبة، وإن كان الذنب يتعلق بحقوق العباد، فلابد من رد الحقوق لأصحابها.

قال الزركشي عن الاستشفاء بالقرآن: لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتَدَبَّر الكتاب في عقله وسمعه، وعَمَّر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره وتمسَّك به وتدبره[٢].

وقال ابن القيم: الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحدِّه فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد قوي، والمانع

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) «البرهان في علوم القرآن» (جـ ١) (ص٤٣٦).

مفقود، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر[١].

وأنا لم أجد أشد مانع من الذنوب والمعاصي يمنع الشفاء.

أهمية العلاج بالقرآن الكريم

فقد عُلم بالأدلة النقلية والعقلية أن السحر والمس موجود، والواقع خير دليل يثبت ذلك، وأن الذهاب إلى الدجَّالين والعرَّافين والسَّحرة، مُحرَّم بنص الحديث: **«من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد»**، فما هو البديل؟: العلاج بالقرآن الكريم.

هذا البديل الإسلامي الذي لا يلجئنا إلى غيره من البدائل التي تخبط الناس فيها من الدجل والشعوذة، وكل من وجد في نفسه قدرة على أن يكون نصابًا أو محتالاً، والله لا يصلح عمل المفسدين، فأصبح العلاج بالقرآن واجب على المسلمين، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ويقول النبي ﷺ: **«ما أنزل اللهُ داءً إلا أنزل له شفاء»**[٢].

فالعلاج بالقرآن من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض، سقطت عن الباقين، وإذا لم يقم بها أحد أَثِمَ الجميع، ولقد ظهرت بركة القرآن الكريم، ونما أثره الطيب، فقد زلزل الأرض من تحت أقدام الدجالين، فأوهن كيدَهم وأحبط خططهم، وكشف زيفهم، وقاوم جشعهم، وأظهر ضلالهم، وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ: ٤٨-٤٩).

---

(١) ابن القيم «الجواب الكافي».
(٢) رواه البخاري.

ولقد نجَّا الله تعالى بالقرآن الكثير من المسلمين الذين مسهم الشيطان بالضر في عقائدهم، كالشرك بالله ـ والعياذ بالله تعالى ـ، ذلك لأن الممسوس كثيرًا ما يحمل عقيدة الشيطان الذي اقتحم بدنه، ولقد قابلتنا حالات كثيرة أغواها الشيطان، وأضلها عن سواء الصراط، وجعلها ترتكب كثيرًا من المعاصي والذنوب والآثام، وقد جعلنا الله سببًا في شفاء كثير من هذه الأمراض والحمد لله، كم من كربات فرجها الله عن المكروبين بفضل بركة القرآن الكريم، وكم من أمراض استعصت على الأطباء وفي ساعة رضا من الله على عباده جاء الشفاء التام ببركة القرآن، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

* من أهمية العلاج بالقرآن أنه سُنَّة أحيا الله بها سُنن كثيرة، فكم من إنسان التزم بفرائض الإسلام بعد تركها، وبالآداب النبوية بعد هجرها، وهؤلاء هم ممن عاشوا التجربة علاجًا أو مشاهده.

فبدلت نفوسًا مريضة، بنفوس صحيحة مستقيمة، وأخذت بأيديهم إلى جادة الحق، وطريق الصواب، فكان ذلك إلى الهدى نبراسًا لحياتهم التي استقبلوها، وكان فيها هدى رسول الله ﷺ مسيطرًا، وسننه واضحة المعالم في سلوكهم، في نومهم، ومطعمهم، ومشربهم، وملبسهم، ودخولهم، وخروجهم، والحمد لله رب العالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العلاج بالقرآن: وهذا فرض على الكفاية مع القدرة؛ ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .. إلخ**»؛ فإن كان عاجزًا عن ذلك، أو هو مشغول بما هو واجب أو قام به غيره لم يجب، وإن كان قادرًا، وقد تعين عليه، ولا يشغله عما هو أوجب منه

وجب عليه، أما قول السائل، هل هذا مشروع؟ فهذا من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين، فإنه ما زال الأنبياء والصالحون، يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله ورسوله، كما كان المسيح، يفعل ذلك، وكما كان النبي ﷺ يفعل ذلك[١].

ويكفي أنك تُدخل السرور على أخيك، وتفرج كربه، وفي الحديث: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة»**[٢]، وقال ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله - عزَّ وجلَّ - سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا»**[٣].

شفاء القرآن للأبدان

ومن صور التداوي بالقرآن في الأمراض البدنية:

* ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: **«إن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقلُ عليه، كنت أنفثُ عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها»**[٤].

* وحديث الرقية بالفاتحة الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من الأحياء فلم يُقْرُوهُمْ، فبينما هم

---

(١) «إيضاح الدلالة» لشيخ الإسلام (ص٤٠).
(٢) رواه البخاري، «كتاب المظالم والغصب» (٢٤٤٢)، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه.
(٣) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٦)، و«الصحيحة» (٩٠٦).
(٤) صحيح البخاري، «كتاب الطب»، باب الرقى بالقرآن.

كذلك، إذ لُدغَ سيِّد أولئك، فقال: هل معكم من دواء أو راقٍ، فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجلعوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاة، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بُزَاقَهُ ويتفل، فبَرِأَ، فأتوا بالشاة، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل رسول الله ﷺ فسألوه فضحك، وقال: **«وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»**[١].

* وقصة المعتوه التي راوها خارجة بن الصلت التميمي عن عمه قال: أقبلنا من عند رسول الله ﷺ فأتينا على حيٍّ من العرب، فقالوا: إنا أنبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم من دواء أو رقية، فإن عندنا معتوها في القيود، قال: فقلنا: نعم، قال: فجاءوا بمعتوه في القيود، قال: فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام، غدوة وعشية، كلما أختمها أجمع بزاقي، ثم أتفل، فكأنما نشط من عقال، قال: فأعطوني جُعلاً، فقلت: لا، حتى أسأل رسول الله ﷺ، فقال: **«كل فلعمري من أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق»**[٢].

* وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة، أو جرح، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا ـ ووضع سفيان سبابته بالأرض، ثم رفعها ـ: **«بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا، بإذن الله»**[٣].

---

(١) رواه البخاري (جـ ٣) (ص٢٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (جـ ٥) (ص٢١١)، وسنن أبي داود (جـ ٤) (ص١٤-١٥). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٧/ ٢٤) «كتاب الطب»، و«صحيح مسلم» (٤/ ١٧٤).

قال جمهور العلماء: «تربة أرضنا»: المراد بأرضنا هنا: جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: الريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح ـ والله أعلم ـ.

* وفي صحيح مسلم أيضًا عن عثمان بن أبي العاصي الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: **«ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»**[1].

ومع هذا النفع العظيم، والبركة الظاهرة لهذه الرُّقى الشرعية، إلا أن الكثير من المسلمين اليوم للأسف، قد غفل عن الانتفاع بها، مع أنه لو لم يكن فيها إلا فضل الالتجاء إلى الله تعالى والاستعانة به، وصرف عبادة الدعاء له وحده وفضل تلاوة القران الكريم، والاقتداء بالنبي ﷺ في فعل الرقى، لكفى هذا فقط انتفاعًا ومصلحة.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٢٨/٤).

القرآن شفاء للأمراض النفسية

ما أحوج مجتمعنا المعاصر إلى التداوي بالقرآن لهذا الداء العضال، في عالم تتنازعه الأهواء المادية، والشهوات الجسدية والملذات الدنيوية.

فلقد أصبح الهم والقلق سمة هذا العصر، وليس هذا نِتَاج فقر أو بحث عن قوت، إذًا لوجد لصاحبه عذر، فهذه (السويد) أكثر دول العالم حوادث انتحار، مع أن دخل الفرد فيها من أعلى الدول، ولكنه الخواء الروحي، فهم قد أشبعوا الجسد غذاء، ولبوا مطالبه، وأهملوا كل الإهمال مطالب الروح، فسُلِبُوا من حيث يدرون، أو لا يدرون نعمةَ الأمن، وحين تُسلَبُ هذه النعمة من مجتمع، فإن الآفات النفسية تدُبُّ فيه دبيب النار في الهشيم، فيجد الإنسان أنه بحاجة ماسَّة إلى النفاق حتى يكفل لنفسه بعض الأمن وسينتابه الغضب والطمع والغرور والحقد والحسد واليأس والقنوط، وحينئذٍ تستولى عليه الأمراض النفسية، والقلق والوساوس والاكتئاب، الهم والغم، الصرع، العين، والسحر، ثم الجرائم أو الانتحار، وأحسب أن الأمراض النفسية أخطر من الجسدية، فحين يصاب الإنسان بمرض جسدي، فسيجد من يداويه طال الزمن أو قصر، وإن لم يجد فلن يعدم وسيلة تُخفِّف عنه آلامه، ويستمتع بما بقي من صحته، أما المرض النفسي، فليس من السهل أن يجد العلاج المناسب في وقت قصير، وقد يصبح نهبًا للوساوس والأوهام، ولن يستمتع بحياته كما يستمتع بها المريض في جسده، ولذا فقد يشعر الإنسان بسعادة غامرة، رغم فقره وفاقته، ومرضه الجسدي، ولكنه لن يكون كذلك، إذا ما كان يعاني مرضًا نفسيًا.

فخســارة أولئك الذين أنكروا الدين أو حادوا عن الصراط المستقـيم، خسارة جسيمة دونها كل خسارة.

أما نحن المسلمين، فنعـتقد أن في القرآن الكريم الشـفاء التام من كثـير من الأمراض الجسدية والنفـسية، وإنما تحدث الأمراض النفسـية حين يُعرض الإنسان عن القـرآن، وعن ذكر الله، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤)، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، أما الطمأنينـة التي يطلبها الإنســان، فهي قـرينة الإيمان والذكر: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وهذا رسول الله ﷺ يصف عـلاجًا قرآنيًا لإذهاب الحزن والـهم، فقال: **«اللهم إني عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أواستأثرتَ به في علِم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآنَ العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي، إلا أذهبَ الله حزنه وهمَّه، وأبدله الله مكانه فرحًا»**، وفي حديث آخر قال ﷺ: **«دعوة ذي النون، إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت:** ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) **لم يَدع بها رجلٌ مسلم في شيءٍ قط، إلا استُجيبَ له»**[(١)].

وقد وردت في السُّنة أدعـية قـرآنية كثـيرة يقرؤها المسلـم عند كل شأن من شؤونه عند نومـه، وعند يقظته، عند سـفره، وعند وصوله، عـند دخوله وعند خروجه، في مرضه وفي صحته، وهي ثابتة في كُتُب السُّنة والأدعية.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (جـ ١) (ص ١٧٠).

حكم كتابة القرآن أو الذكر في إناء، ثم شربه

أي: هل يجوز كتابة شيء من القـرآن الكريم، أو الذكر المشروع في إناء ثم يغسل ويُسقى به المريض للتبرك أو الاستشفاء؟.

اختلف العلـماء ـ رحمـهم الله تعالى ـ في حكم ذلك، فـقال جمـاعة من السلف لا بأس به، وكرهه بعضهم.

وقد رُوي عن ابن عبـاس ﵄ أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسَّر عليـها ولادتها آيتين من القرآن، وكلمات ثم يُغسل وتسقى.

وممن أفتى بجـواز ذلك من العلماء شـيخ الإسلام ابن تيـمية، حـيث قال: ويجوز أن يُكتب للـمصاب وغيـره من المرض شيء من كتـاب الله وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، ثم استشهد على هذا بما رُوي عن ابن عباس ﵄ عند عُسْرِ الولادة على المرأة.

ثم ذكـر عن عبـد الله بن أحمـد ـ رحـمه الله ـ أنه قـال: رأيتُ أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظـيف، وفي موضع آخر علَّق ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ على فعل ابن عباس، وهذا يقتضي أن لذلك بركة.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز باز ـ رحمه الله ـ: فقد أفتى أنه لا حرج في ذلك إذا كان القائم به من المعروفين بالخير والاستقامة.

وهذا ما أفتى بـه أعضاء اللجنة الدائمة للبـحوث والإفتاء في السـعودية: أما كتابة سورة أو آيات من القرآن في لوح أو طين أو قرطاس، وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما، وشـرب تلك الغسالة رجاء بركة، أو استـفادة علم، أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك، فلم نعلم عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو لغيره، ولا أنه أَذِنَ فيـه لأحدٍ من الصـحابة، أو رخَّص فيـه لأمته، مع وجـود الدواعي التي

تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثرٍ صحيح فيما علمنا من أحد من الصحابة ﷺ أنه فعل ذلك أو رخَّص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه وأن يُستغنى عنه بما ثبت في الشريعة من الرُّقية بالقرآن، وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها، مما يُعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله بما شرع رجاء للمثوبة، وأن يفرج الله كربته، ويكشف غَمَّه، ويرزقه العلم النافع، ففي ذلك الكفاية ومن استغنى بما شرع الله أغناه عما سواه، والله الموفق.

حكم تعليق التمائم من القرآن أو الأذكار للتبرك بها

التمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم لدفع العين، أو غيرها من الآفات بأي شيء كان.

حكم تعليق التمائم أو الخروز:

إذا لم تكن من القرآن أو الأذكار فهي حرام، بل هي من أنواع الشرك، ويدل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه: **«إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلَة شركٌ»**[1].

«التمائم»: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تُعلِّقها على أولادهم يتقون بها العين، و«التولة»: شيء يصنعونه يزعمون أنه يُحبِّب المرأة إلي زوجها والزوج إلى امرأته، وإنما جعلها شركًا لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله، الذي هو دافعه، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن الكريم، أو الأدعية المباحة تبركًا واستشفاءًا فقد اختلف العلماء في حكمه.

جاء في كتاب (تيسير العزيز الحميد): اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته.

---

(١) أخرجه أبو داود (جـ٤) (ص٢١٢)، وابن ماجه، والإمام أحمد في مسنده (ص٣٨١).

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وغيره وهو ظاهر ما رُوي عن عائشة، وبه قال أحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم الشركية أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته، كالرقية كذلك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس، وغيرهما، وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم به المتأخِّرين، واحتجُّوا بحديث: «**إن الرُّقى والتمائم والتِّولَة شركٌ**» وما في معناه، فإن ظاهره العموم، ولم يفرق بين التي في القرآن وغيرها بخلاف الرُّقى، فقد فرق فيها، بما يدل على جواز الرُّقى بشروطها، قول الرسول ﷺ لما سئل عن الرقى: «**اعرضوا عليَّ رُقَاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[1].

أما الرقى بالقرآن الكريم، أو أسماء الله وصفاته، ودعائه والاستعاذة به، وحده لا شريك له، فليست شركًا ممنوعة بل مستحبَّة وجائزة.

* وذكروا وجهين لعدم جواز ذلك:

أحدهما - سد الذريعة، فإنه يفضي إلي تعليق ما ليس كذلك.

الثاني - صَوْن القرآن عن إهانته، إذ قيل قد يحمل غالبًا على غير طهارة، أو حال قضاء الحاجة.

ويقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - في معرض كلامه عن التمائم وأعمال أصحابها: ثم ههنا شؤم يقعون فيه، وهو أنهم بعض الأحيان يتخذون مصحفًا صغيرًا تميمًا، فيدخلون به المحال القذرة، فيجعلون المصحف

---

(١) أخرجه مسلم.

كالأمتعة، وكفى بهذا القول ضعفًا، أن يكون من فروعه اتخاذ مصحف يُعلَّق في الرقبة، ويعلقه الجنب والحائض، وبناء على ما تقدم، فإن القول بمنع تعليق التمائم المذكورة هو الأقرب وهو الأحوط ـ والله أعلم ـ.

حكم كتابة أو تعليق الآيات أو الأذكار على الجدران ونحوها للبركة

لقد نص جماعة من علماء السلف ـ رحمهم الله ـ عند كلامهم على الآداب الخاصة بالقرآن الكريم، على كراهة كتابة القرآن على الجدران في المساجد وغيرها، أو على الثياب ونحوها، على سبيل الإطلاق، ولم يستثنوا ما كان ذلك للتبرك.

وبناء على هذا فإن كتابة آيات القرآن الكريم على الجدران ونحوها، أو كتابتها على أورق أو ألواح أو أوانٍ ونحوها، ثم تُعلَّق لقصد التبرك، بجلب خير أو دفع ضُرٍّ، فإن التبرك بالقرآن على هذا الوجه ليس مشروعًا، بل هو مبتدع، ومخالف لهدي الرسول ﷺ، وهدي الصحابة وأئمة السلف ﷺ.

وكذا إذا كان المكتوب أو المعلَّق مِن الأذكار الشرعية، كالأحاديث النبوية أو أسماء الله الحسنى وصفاته، يُقصد التبرك بها، فهذا لا ينبغي أيضًا.

وقد نصَّ بعض العلماء على كراهية كتابة ذكر الله تعالى على الجدران والثياب ونحوها، وإذا كان التبرك بالقرآن الكريم على هذه الوجه غير مشروع، كما سلف؛ فإن التبرُّك بالأذكار غير مشروع من باب أولى ـ والله أعلم ـ.

حكم وضع المصحف في مكان للبركة

أي: أن يوضع المصحف الشريف كبيرًا كان أو خفيفًا، في موضع للبركة بالقرآن الكريم، لجلب خير أو لدفع آفة، مثل وضعه داخل السيارة، أو الطائرة، ونحوهما لمنع الحوادث، وأو طرد الشيطان، أو دفع العين، ونحو ذلك، أو أن يُوضَع المصحف على واجهة المتجر مثلاً للبركة به لاستجلاب الرزق ونحو ذلك من المواضع الآخرى، وهذه الأعمال منتشرة في بعض البلاد الإسلامية تبركًا بالقرآن الكريم.

وهذا العمل أيضًا مخالف لهدي الرسول ﷺ وصحابته ﵃ والأئمة من بعدهم، فيكون غير مشروع، كما يظهر على ضوء ما ذكرنا، بل إن حكم هذا أشد، ولاسيَّما وقد انتشر طبع المصاحف بأحجام صغيرة جدًا إلى درجة عدم إمكان القراءة فيها، أو بأحجام كبيرة جدًا، بحيث لا تُقصد للقراءة فهي للبركة، فحسب، ولاشك أن في هذا تلاعبًا بكتاب الله الكريم.

فالتبرُّك بالقرآن كلام الله ليس على مثل هذه الصور المبتدعة، إنما بتلاوته وتدبُّره والعمل بما فيه، والاستشفاء به على الطريقة المشروعة.

الباب الثالث

المبارك من الأشخاص

الفصل الأول

الرسول ﷺ

لا يشك مسلم في أن نبينا محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء، وسيد الأولين والآخرين، ذلك أن الله تعالى اختاره من بين سائر خلقه، واصطفاه من البشر كلهم ليكون أفضل أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، وهذا فضل الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء.

مما يدل على هذا: ما رواه الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفوع»**، ولنبينا محمد ﷺ فضائل عظيمة ومزايا كريمة، أنعم الله تعالى عليه بها، فزادته شرفًا وفضلاً وبركة، وفضائل النبي ﷺ، وخصائصه أُفرِدَت كتب كثيرة في أخلاق النبي وخصائصه، بما لا يسعه كتب كثيرة، إنما أردنا أن نتحدث أن من فضائله ﷺ بركاته الكثيرة المتنوعة.

---

(١) «صحيح مسلم» «فضائل النبي ﷺ».

(٢) «صحيح مسلم» (ص١٧٨٢).

أنواع بركاته ﷺ
بركات معنويَّة، وبركات حِسِّيَّة

أولاً - البركات المعنوية

والمقصود بها ما يحصل من بركات رسالته ﷺ على أتباعه في الدنيا والآخرة، ويمكن بيان ذلك بتوضيح أهداف رسالته ﷺ ومزياها، وبيان خصائصها الشمولية الكاملة للوفاء بحاجة البشرية، وتحقيق السعادة الحقيقية لها، وانقاذها من مهاوي الضلال.

خصائص الرسالة المحمدية:

ختم الله سبحانه وتعالى الشرائع السماوية بشريعة الإسلام، تلك الشريعة العظيمة التي بعث بها المصطفى ﷺ، لإسعاد البشرية، وتحقيق الخير لها في الدنيا والآخرة، وإنقاذها من مهاوي الضلال، ومستنقعات الفساد، الذي تخبطت به، ولا زالت تتخبط به كلما بَعُدت عن منهج الحياة.

والشريعة الإسلامية هي وحدها الكفيلة بتحقيق السعادة الكاملة للبشرية، إذا ما التُزمت بها دستوراً ومنهاج للحياة، لما تمتاز به عن غيرها من الشرائع السماوية الأخرى، والنظم الوضعية، فهي الشريعة الشاملة الكاملة، التي أكمل الله بها الشرائع السماوية السابقة، وصحَّح بها ما طرأ عليها من التحريف والتبديل.

* والمتأمل في هذه الشريعة يقف على مزاياها الفريدة، وخصائصها المتميزة:

أولاً - أنها شريعة إلهية:

الشريعة الإسلامية مُنزَّلة من عند الله سبحانه وتعالى على نبيِّه ﷺ، أفضل خلق الله وأعظمهم بركة، إنها شريعة الله في الأرض المتصف بصفات

الكمال كلها والجلال العليم الخبير بما فيه مصلحة العباد في العاجل والآجل، قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وبهذا فهي تختلف عن غيرها من الشرائع الوضعيَّة اختلافًا جوهريًا، لأن مصدر تلك الشرائع البشر الضعفاء المتَّصِفون بالعجز والنقص والجهل.

أما شريعة الإسلام فهي شريعة عادلة لا ظلم فيها، كاملة لا نقص يَشُوبها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، أما النظم الصادرة عن البشر ناقصة جائرة كأصحابها.

إن شريعة الإسلام هي دين الله الخالد الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده وأوجب عليهم الالتزام به، والسير على نهجه، ولا يقبل منهم دينًا غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

ولهذه الشريعة باعتبار صدورها عن الله سبحانه وتعالى أثر كبير وسلطان عظيم على نفوس المؤمنين بها في كل زمانٍ ومكان، يحترمونها ويلتزمون بما فيها عن طواعية ورضى بخلاف النظم الوضعية، فليس لها ذلك السلطان وتلك الهيبة، مما يجعل الناس يتجرأون عليها بالمخالفة كلما استطاعوا الإفلات من رقابة الدولة وسلطة القضاء، أما شريعة الإسلام فحَظِيت باحترام الجميع وخوفهم من مخالفتها لما تغرسه في النفوس من الوازع الديني الذي يُربِّي النفوس من الداخل، ويُوقظُها لتكون رقيبًا على صاحبها في السرِّ والعلن، ومن الأمثلة الواضحة التي تؤكد سلطان الشريعة العظيم على نفوس اتباعها، بخلاف النظم الوضعية:

تحريم الخمر: فقد جاء الإسلام والعرب في الجاهلية مولعون بشرب الخمر، يحبونها حبًا شديدًا، ولا تكاد تفارق مجالسهم، فما أُنزِلَ القرآن بتحريمها بعد

التدرج في أحكام التحريم، حتى سارعوا إلى امتثال الأمر وطاعة الله، وبادر الجميع إلى إراقة ما عندهم منها، حتى سالت بها أزقة المدينة، وبهذه الطريقة من الشارع الحكيم، اقتُلعت عادة مُستحكمة في المجتمع العربي، الذي عرف نور الإسلام، وبركات الإيمان.

ولنرى في المقابل تجربة الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين، عندما أرادت منع شعبها من تعاطي الخمور، لما لها من أضرار كثيرة، فشرعت في سنة ١٩٣٠م قانونًا يقضي بمنع الخمر، ومهَّدت له بدعاية واسعة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وقامت بطبع العديد من الكتب والمنشورات التي تبين مضار الخمر، مُوثَّقةً بالإحصائيات والبحوث العلمية والطبية، وقد بذلت الأموال الطائلة من أجل ذلك، إذ بلغت تكاليف الدعاية (٦٥) مليونًا من الدولارات.

لكن ماذا كانت النتيجة، لقد دلَّت الإحصائيات للفترة الواقعة بين تاريخ تشريع القانون ١٩٣٠م وإلغائه ١٩٣٣م، أنه قُتِلَ في سبيل إلغائه مائتا شخص، وسجن نصف مليون، وغَرِمَ المخالفون الملايين من الدولارات، وصودرت أموال تقدَّر بأربعمائة مليون، وكان آخر المطاف أن اضطرت الحكومة إلى إلغاء القانون ١٩٣٣م، وهذا يدل على ضعف سلطان القانون الوضعي، وقوة النظام الربَّاني.

ثانيًا - أنها شريعة عالمية:

أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ بالقرآن ليكون منهاج حياة للبشرية جمعاء، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، ولغاتهم، وبيئاتهم، ويقول الحق سبحانه وتعالى مبينًا الغرض من إرسال نبيِّه محمد ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي: أرسله رحمةً لهم كلهم، فمن قَبِلَ هذه الرحمة وشكَرَ هذه النعمة سَعَدَ في الدنيا والآخرة، ومن ردَّها وجَحَدَها خسر الدنيا والآخرة[1].

ويقول العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ: إن الله أرسله رحمة للعالمين، فأمهل عصاة أمته، ولم يعاجلهم إبقاءً عليهم، بخلاف من تقدمه من الأنبياء، فإنهم لما كذبوا عوجلوا بذنوبهم[2].

فمن آمن بالنبي ﷺ وأطاعه حَصُلَ على سعادة الدنيا، ثم على سعادة الآخرة في الجنة، وذلك ببركة اتباع الرسول ﷺ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سبأ:٢٨)، فليست هذه الشريعة لقريش خاصة ولا للعرب، بل لكل البشر بخلاف سابقاتها من الشرائع التي كانت تخص بزمان معين ومكان معين، وأقوام معينين، وبخلاف النظم الوضعية التي توضع لتنظيم شؤون دولة معينة، ولما كانت هذه الشريعة عالمية جاءت مبادئها وقواعدها عامة كلِّية، صالحة لكل زمان ومكان، وإنها عامة إلى الإنس والجن، والناس كافَّة في كل زمان ومكان.

ثالثًا ـ أنها شريعة ثابتة خالدة:

شريعة الإسلام خالدة ثابتة، كتب الله لها البقاء أبد الدهر الدهر، فلم يلحقها النسخ، ولا تقبل التغيير، أو التبديل مطلقًا، بخلاف الشرائع السماوية السابقة، والتشريعات الوضعية، فقد نُسِخَت الشرائع السابقة بشريعة الإسلام،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٣) (ص٢٠٢).

(٢) «رسالة منية السول في تفضيل الرسول ﷺ»، للإمام عز الدين بن عبد السلام (ص٣٢).

ولحق بها أيضًا التبديل والتغيير من قبل رجال الدين الذين وكَّل الله لهم حفظها، وكذلك النظم الوضعية غير ثابتة، بل دائمة التغيير والتبديل، بحسب أهواء واضعيها، ومصالح الطبقة الحاكمة المترفة، وقد تكفل الله بحفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وأعظم معجزاته التي اختُصَّ بها ﷺ كتاب القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه وبقائه هدى ونورًا ورحمة للناس أجمعين.

يقول العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ أثناء عرضه لوجوه تفضيل الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ومنها: أن معجزة كل نبي انصرفت وانقضت، ومعجزة سيد الأولين والآخرين هي القرآن العظيم، باقية إلى يوم الدين.

ولما كانت الشريعة الإسلامية متميزة بثباتها، وعدم تغيرها، جاءت أحكامهم قطعية في العقائد والمبادئ العامة، وأصول التشريع، وجاءت مرنة في أحكامها الشرعية، تستوعب كل جديد، وتواكب كل تطور وتتلاءم مع مختلف الظروف وتساير الزمان والمكان.

رابعًا ـ أنها شريعة ملائمة للفطر السليمة:

جاءت أحكام الإسلام ملائمة للفطر السليمة بكل رغباتها وأشواقها، فهي تعترف بحاجات الإنسان الروحية والمادية، وتنظر إليه على أنه روح ومادة وتبني أحكامها على الموازنة بين متطلبات الروح، ومتطلبات الجسد دون تنمية لأحدهما على حساب الآخر، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، ولهذا جاءت أحكامها واقعية ومن السهولة واليسر في التشريع ورفع الحرج والمشقة عن هذه الأمة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

وهذه الأمور من أبرز معالم الشريعة الإسلامية، ذات الأحكام المرنة، الصالحة لكل زمان ومكان، فهي أكمل الشرائع وأفضلها، بينما تعاليم الكنيسة الوضعية تهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب المادي، وفي كلتا الحالتين تحدث الفوضى والاضطراب، ولا يجد الإنسان طعم السعادة ولذة العيش، وهذا سر الجنوح الذي تحياه البشرية، وخاصة المجتمع العربي.

خامسًا - أنها شريعة الأخلاق:

تتضمن الشريعة الإسلامية مبادئ أخلاقية رفيعة غاية في الكمال والجمال ترتكز على الوازع الديني من رقابة الله سبحانه وتعالى، ورجاء في ثوابه، وخوف من عقابه.

لقد حثت شريعة الإسلام كثيرًا على مكارم الأخلاق ودعت إليها ليرتقي الإنسان بها، ويسمو ويستقيم سلوكه، وليست الأخلاق أدبًا نظريًا يتحلى به صاحبه، بل هي التزامات عملية، يوجبها الدين، وتلزمها العقيدة السليمة، وهي غاية تربوية، وثمرة للعبادات تنعكس لتكون ترجمة عملية في حياة الأفراد والأمم، وهي تختلف عن النظم الوضعية التي لا اعتبار فيها للأخلاق مطلقًا، لأن الأخلاق من محاسن العادات في حياة الأفراد.

والقانون نظام يقضى به فيما يكون بين الناس من الخصومات، لذا فهو يهمل المبادئ الأخلاقية، ولا يُعاقب إلا على ما فيه ضرر مباشر للأفراد أو إخلال بالأمن، فلا يُعاقِب على الزنا، إلا إذا كان فيه إكراه، لأنه لا يعتبر الزنا في حد ذاته جريمة، كما لا يعاقب على شرب الخمر، إلا إذا وجد سكران في الطريق العام، لأن القانون لا يعتبر شرب الخمر رذيلة في حد ذاته، حتى يعاقب عليه، فالقانون لا يقوم على الأخلاق بخلاف شريعة الإسلام التي تعتبر الأخلاق جزءا من نظامها، وتبني أحكامها عليها، وتدعو إليها، وتعاقب على مخالفتها.

ولذلك تدعو شريعة الإسلام إلي مكارم الأخلاق، وتربي الناس عليها، وتدعو إلى ترك الرذائل والمنكرات، وتنفير الناس منها، وكذلك تدعو إلى كل ما فيه إصلاح المجتمع، وتنظيم شؤونه، ونشر العدل بين أفراده فهي تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣).

ومن أعظم أهداف شريعة الإسلام المباركة إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بدعوتهم إلى عبادة الله وحده، مخلصين له الدين، وترك ما يضاد ذلك من جميع أنواع الشرك، والكفر، والوثنية، ثم بيان الأحكام التشريعية من عبادات ومعاملات وأخلاق.

سادسًا - أنها شريعة كاملة شاملة:

تتصف شريعة الإسلام بالكمال، لأنها مُنزَّلة عمن يتصف بالكمال وحده الكمال المطلق، وقد كَمُلت قبل وفاة الرسول ﷺ، وانتهت إلى الغاية التي أرادها الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وهي شريعة شاملة، تعنى بتنظيم جوانب الحياة المختلفة، وتقيم أحكامها على أصول عقيدة سليمة، ثم تنظِّم صلة الإنسان بخالقه، وصلته بنفسه، وبالمجتمع من حوله، سواء في الجوانب الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الدولية أو العسكرية أو الجنائية أو القضائية.

*** وتنقسم الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول - الأحكام الاعتقادية: وتتضمن قضايا الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، من الله تعالى.

القسم الثاني ـ الأحكام الخلقية: وهي التي تتعلق بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة وصلة الرَّحِم والأُخوة.

القسم الثالث ـ الأحكام العملية: وهي التي تتصل بالأقوال والأفعال الصادرة عن الإنسان في علاقاته مع خالقه ومع غيره، وهي العبادات من: صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ونذر، ويمين، واعتكاف.

والمعاملات كالأحكام المتعلقة بالأسرة والمعاملات المالية، والقضاء، وموارد الدولة، ومصارفها، ونظام الحكم وقواعده، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول إلى غير ذلك من الأحكام، إن شريعة الإسلام نظام حياة متكامل الجوانب، انبثق من مجتمع مسلم نظيف تربطه، أواصر المحبة والأخوة والمساواة بين أفراده، والتعاون بينهم على الخير، ذلك المجتمع الذي يتلقَّى شريعة الله بالقبول والرضى ويتقيَّد بتعاليمها، فتعمُّه البركات وتغمره الرحمات، هذه الخصائص التي اختصَّت أمة الرسول ﷺ بها عمن قبلها، بخصائص عظيمة، ونِعَم جليلة، زادتها شرفًا، ورِفْعةً وخيرًا، وكل هذا ببركة نبيها ﷺ، فهي في أصلها إكرام من الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ.

ثانيًا ـ البركات الحسية

والبركات الحسِّية للنبي ﷺ نوعان: بركة في أفعاله، وبركة في ذاته، وآثاره الحسية المنفصلة عن ﷺ.

أولاً ـ البركة في أفعاله:

مما أكرمه الله تعالى به من خوارق العادات التي حصل منها الخير الكثير والنفع العظيم محسوسًا مشاهدًا، ولقد ورد من هذا النوع أنواع كثيرة جدًا من الأحاديث الصحيحة يعجز الإنسان عن حصرها، وسأكتفي بذكر نماذج فقط مما رواه الصحابة ﷺ في هذا الأمر.

١ ـ تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة ﷺ:

* قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ قد تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي.

* وقال العلماء: ولم يُسمع بمثل هذ المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه.

* وقال ابن عبد البر عن المزني: أنه قال: نَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ، أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضرب موسى عليه السلام بالعصا، فتفجَّرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

* عن جابر قال: عَطِشَ الناسُ يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركْوَةَ[١]، فتوضَّأ منها، ثم أقبل على الناس نحوه، فقال: **«مالكم؟»**، قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركْوَتِك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يَفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضَّأنا، فقلتُ لجابر: كم كنتم يومئذٍ؟، قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[٢].

* عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ كان بالزوراء، فأُتيَ بإناءٍ فيه ماء لا يغمر أصابعه، فأمر أصحابه أن يتوضأوا، فوضع كفَّه في الماء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه، حتى توضأ القوم، فقلت لأنس: كم كنتم؟، قال: كُنَّا ثلاثمائة[٣].

---

(١) إناء صغير من الجلد يوضع فيه الماء. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب المغازي».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب «الفضائل»، والبخاري في «صحيحه» كتاب المناقب (ح٧٢) (ص٣٥).

* عن عبد الله قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اطلبوا مَن معه الماء**»، ففعلنا، فأُتي بماء فصبَّه في إناء، ثم وضع كفَّه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه، ثم قال: «**حيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله**»، فملأتُ بطني منه واستقى الناس[1].

* عن ابن عباس قال: أصبح رسول الله ﷺ وليس في العسكر ماء، فأتاه رجل، فقال: يا رسول الله، ليس في العسكر ماء، قال: «**هل عندك شيء؟**»، قال: نعم، قال: «**فآتني به**»، قال: فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعلَ رسولُ الله ﷺ أصابعَه في فم الإناء، وفتح أصابعه، فانفجرت من أصابعه عيون، وأمر بلالاً، فقال: «**نادِ في الناس الوَضُوء المبارك**»[2].

* وروى البخاري عن البراء بن عازب ﷺ: أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا النبيَّ ﷺ، فأتى البئرَ، وقعد على شفيرها، ثم قال: «**ائتوني بدَلْوٍ من مائها**»، فأُتيَ به، فبصق فدعا، ثم قال: «**دعوها ساعة**»، فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا[3].

* عن أنس بن مالك ﷺ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوَضوء، فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضَّئوا منه، فرأيتُ الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضَّئوا من عند آخرهم[4]، وفي رواية: كانوا ثمانين، وفي رواية: كانوا ثلاثمائة.

---

(١) أخرجه البخاري. (٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (جـ١) (٢٥١).
(٣) «صحيح البخاري» كتاب «المغازي» باب: غزوة الحديبية (جـ ٥) (ص٦٢-٦٣).
(٤) البخاري في «المناقب» باب: علامات النبوة.

* أخرج مسلم عن معاذ بن جبل ﷺ: فذكر حديث جمع الصلاة في غزوة تبوك، إلى أن قال: وقال: يعني رسول الله ﷺ: «**إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحِيَ النهارُ؛ فمن جاءها منكم، فلا يمسَّ من مائها شيئًا حتى آتيَ**»، فجئناها، وقد سَبَقَنَا إليها رجلان، والعين مثل الشِّرَاكِ تَبِضُّ بشيءٍ من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مَسَسْتُما من مائها شيئًا؟**»، قالا: نعم، فَسَبَّهُمَا النبيُّ ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ماءَ ها هنا مُلِئَ جِنانًا**»[1].

٢ ـ تكثيره ﷺ الطعام:

* روى البخاري ومسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ في (صحيحهما) عن أنس ابن مالك ﷺ قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم، قد سَمِعْتُ صوتَ رسول الله ﷺ ضعيفًا أَعرِفُ فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أَخَذَتْ خمارًا لها، فلفَّت الخبز ببعضه، ثم دسَّته تحت ثوبي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبتُ به، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ جالسًا في المسجد معه الناس، فقمتُ عليهم: فقال رسول الله ﷺ: «**أَرْسَلَكَ أبو طلحة؟**»، فقلتُ: نعم، فقال: «**الطعام؟**»، فقلتُ: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**»، قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتىٰ جئت أبا طلحة، فأخبرتُه، فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سليم، قد جاء رسول الله

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل (٤/ ١٧٨٤) برقم (٧٠٦).

ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نُطْعِمُهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ ، فأقبل رسولُ الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ : **«هلُمِّي ما عندك يا أم سُليم»**، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وعصرت عليه أُمُّ سُليم عكة لها فأدَمته[1]، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: **«ائذن لعشرة»**، فَأَذِنَ لهم، فأكلوا حتى شَبِعُوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذن لعشرة»**، فأَذِن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذن لعشرة»**، حتى أكل القوم كلهم، وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون[2].

* عن عمر بن الخطاب، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقلتُ: **«يا رسول الله، خرج إلينا الروم وهم شِباعٌ، ونحن جِياعٌ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم»**، فنادى مُنادي رسول الله ﷺ في الناس: **«من كان عنده فَضْلُ زادٍ فليأتنا»**، فحزرنا جميع ما جاؤوا به، فوجدوه سبعًا وعشرين صاعًا، فجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فدعا فيه، ثم قال: **«أيها الناس خذوا ولا تنتهبوا»**، فأخذوا في الجرب والجرائر، حتى جعل الرجل يَعْقُدُ قميصَه فيأخذ فيه، حتى صدروا، وإنه نحو ما كانوا يحرزون[3].

- وفي رواية أخرى: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: **«خُذوا ما في أوعيتكم»**، قال: فأخذوا في أَوعِيَتِهِم، حتى ما تركوا في العسْكَر وعاء إلا ملأوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فَضْلَةٌ، فقال رسول الله ﷺ : **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسولُ الله، لا يلقى اللهَ بها عبدٌ غير شاكٍ فيها، فيُحْجَبُ عن الجنة»**[4].

---

(١) أي: خلطته وجعلت فيه إدامًا يؤكل.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب «المناقب»، ومسلم في كتاب «الأشربة».
(٣) أخرجه مسلم، والإمام أحمد في «المسند» (جـ ٣) (ص١٩٥).
(٤) اللفظ لمسلم.

* وروى أيضًا الإمام مسلم - رحمه الله - عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يستطعمه، فأطعمه وسق[(١)] شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما، حتى كاله، فأتى النبي ﷺ، فقال: **«لو لم تكله، لأكلتم منه، ولقام لكم»**[(٢)].

* وحديث جابر ﷺ أنه صنع للنبي ﷺ صاعًا من شعير وطعامًا، وطلبه خامس خمسة، فنادى في أهل الخندق، وكانوا ألفًا جياعًا، فأكلوا من ذلك كلهم حتى انصرفوا، قال - جابر -: وأُقسم بالله إن بُرْمَتَنَا لتغطُّ كما هي، وإن عَجِينَتْنَا لتخبز، وكان النبي ﷺ بَصَقَ في البُرْمَةِ والعجين[(٣)].

* وحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر عند قدومهما في الهجرة ما يكفيهما، فقال النبي ﷺ: **«ادع ثلاثين من أشراف الأنصار»**، فدعاهم، فأكلوا حتى تركوا، فقال: **«ادع ستين»**، فدعاهم، فأكلوا حتى تركوا، فقال: **«ادع سبعين»**، فدعاهم، فأكلوا حتى تركوا، قال أبو أيوب: فأكل من طعامي ثمانون ومائة رجل، وما خرج أحدٌ منهم حتى أَسلَم وبايع[(٤)].

* وحديث عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، قال: كنَّا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فَعَجَنَ صاعًا (من طعام)، وذبحتُ شاةً، فشوى سوادَ بطنها، أي: كبدها، وأمره النبي ﷺ أن يَحُزَّ لهم منها: قال: وايم الله، ما في الثلاثين

---

(١) الوسق مقداره ستون صاعًا.
(٢) «صحيح مسلم» (جـ ٤) (ص١٧٨٤) كتاب «الفضائل».
(٣) «صحيح البخاري» (جـ ٥) (ص١٣٩)، كتاب «المغازي»، «صحيح مسلم» (جـ ٣) (ص١٧٨٤)، كتاب «الفضائل».
(٤) «صحيح البخاري» (جـ ٣) (ص٢١٤)، ومسلم (جـ ٣) (ص١٦٢٦).

والمائة إلا وقد حَزَّ النبيُّ ﷺ له حُزَّة من كبـدها، ثم جعل منها الطعام واللحم قصعتين، فأكلنا منها أجمعون، وفضل منها فضلة، فحملته على البعير[١].

* وعن جابر ﷺ أن أباه تُوُفِّيَ وعليه دَيـنٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنَّ أبي ترك عليه دينًا وليس عندي مـا يُخرجُ إلا نخلةٌ، ولا يَبلُغُ ما يخـرجُ سِنينَ ما عليه، فـانطَلِقْ معي لكي لا يُفـحِشَ عليَّ الغُرماءُ، فـمشى حولَ بَيْـدَرٍ من بَيَادِرِ التَّمْـرِ فدعا، ثم آخـرَ، ثم جلس عليه، فـقال: «انزعوه»، فأوفاهم الذي لهم، وبَقِيَ مثلُ ما أعطاهم[٢].

٣ ـ إبراؤه المرض وذوي العاهات:

شفاء الناس من الأمراض أمرٌ يحصل بإرادة الله وقَدَرِه، ولا يمكن لبشر شفاء أي مريض إلا بإذن الله ومشيئته، وقد يتوصل الطبيب إلى معرفة أسباب المرض، فيصف للمـريض العلاج المناسب، ولكن الشفاء لا يحصل لعدم إرادتـه سبحانه وتعالى، وما أُثِرَ عن نبينا محمد ﷺ من شفائه للمرضى وذوي العاهات، بغير الأسباب المعهودة، وطرق العلاج المعروفة، ما هو إلا أمر خارق للعادة أَجْرَاهُ اللهُ على يده ليكون شـاهدًا على نُبُوَّتِهِ وعلى اخـتيار الله له لتـبليغ رسالتـه، وحمل الأمانة للناس كافة.

* فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيـحيهما عن سهل بن سعد ﷺ: أنه سـمع النبيَّ ﷺ يقول يوم خـيبـر: «**لأعطينَّ الراية رجلاً يفـتح الله على يديه**»، فقـاموا يرجـون لذلك أيهم يُعطى، فغَـدَوا وكلُّهم يرجو أن يُعطَى، فـقال: «**أين**

---

(١) رواه البخاري (جـ ٣) (ص٢١٤)، ومسلم (جـ ٣) (ص١٦٢٦).

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٨٠).

علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه، فأمرَ به فدعى له، فَبَصَقَ في عينيه، فبَرِأَ مكانه، حتى كأنه لم يكن به شيء[١].

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري في (صحيحه) من قصة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه حين انكسرت سَاقُه، فعصبها بعمامة، وانتهى إلى النبي ﷺ، فقال له: «ابسُط رجلك»، يقول عبد الله: فبَسَطتُ رجلي، فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[٢].

* وروي إيضًا عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيتُ أثَرَ ضربة في ساق سَلَمَةَ، فقلتُ: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟، قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أُصيبَ سلمة، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فنفث فيها ثلاث نفثاتٍ فما اشتكيتُها حتى الساعة[٣].

* وروى أبو نعيم في (الدلائل) عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان أنه سقطت عينُه يوم أُحدٍ، فردَّها رسولُ الله ﷺ، فكانت أحسنَ عينيه وأَحَدَّهُمَا[٤].

* وروى أن طفيلاً العامري جاء إلى النبي ﷺ، فَشكا إليه الجزام، فدعا بركْوَةٍ ثم تَفَلَ فيها، وأمَرَهُ أن يغتسل بها، فاغتسل، فقام صحيحًا[٥].

وهكذا أمكن الله نبيَّه من شفاء المرضى، وإزالة ما ألمَّ بهم من آلام، حتى إن الواحد منهم يعود إلى حالته السليمة، كأن لم يكن به شيء، وهذا إكرامٌ من الله لنبيه ﷺ، وإثباتٌ لنبوته، وتصديقٌ لدعوته، وهذا ببركته ﷺ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٤٢)، ورواه مسلم رقم (٢٤٠٦).
(٢) رواه البخاري (جـ٥) (ص٢٧) «كتاب المغازي».
(٣) رواه البخاري (جـ٥) (ص٢٧) «كتاب المغازي» (ص٢٦).
(٤) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ص٤١٨).
(٥) «أعلام النبوة» للماوردي.

٣ ـ بركته ﷺ في إجابة دعائه:

* من ذلك دعاؤه ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه حينما طلبت منه أُمُّهُ ذلك، بقوله ﷺ: **«اللهم أكثر ماله وولده»**، قال أنس: **«فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم»**[١].

وفي هذا الشأن يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: كان ﷺ كُلَّما دعا الله في شيء أجابه فيه، وظهرت بركاتُ دعوته على المدعو له، وعلى أهل بيته.

* ومن ذلك: دعاؤه ﷺ لبعير جابر بن عبد الله، فقد رُوي أنه غزا مع رسول الله ﷺ، وقال: فتلاحق بي النبي ﷺ وأنا على ناضِحٍ لنا قد أَعْيا، فلا يكاد يسير، فقال لي: **«ما لبعيرك؟»**، قالَ: قلتُ: أعْيَا، قال: فتخلَّف رسولُ الله ﷺ، فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: **«كيف ترى بعيرك؟»**، قلتُ: بخير، قد أصابته برَكَتُكَ[٢].

* فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناسَ سَنَةٌ (يعني: الجدب والقحط) على عهد رسول الله ﷺ، فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادعُ اللهَ أن يسقينا، قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة[٣]، قال: فثار السحاب أمثالُ الجبال، ثم لم ينزل عن منبره، حتى رأيت المطرَ يتَحَادَرُ على لحيته، فمُطِرْنا يومنا ذلك، وفي الغد ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجلٌ غيره، فقال: يا رسول

---

(١) أخرجه مسلم (جـ ٤) (ص١٩٢٩) «فضائل الصحابة».

(٢) أخرجه البخاري (جـ٦)، كتاب الجهاد والسير، باب: استئذان الرجل الإمام.

(٣) القزعة: القطعة من الغيم.

الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة[1]، حتى سالَ الوادي قناةً شهرًا، قال: فلم يَجِئ أحدٌ من ناحية إلا حَدَّث بالجود[2].

* وروى البخاري عن شبيب بن غرقدة قال: سَمِعتُ الحي يتحدثون عن عروة أن النبي ﷺ أعطاه دينارًا، يشتري له به شاةً، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، وجاءه بدينار وشاةٍ، فدَعَا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى الترابَ لَرَبِحَ منه[3].

فقد أيَّدَ الله نبينا محمدًا ﷺ باستجابة دعائه على الدوام، فكان لا يدعو دعاءً، ولا يطلبُ من الله أمرًا، إلا ويُستجابُ له فيه، سواء كان دعاء بالخير والبركة، كما دعا لأصحابه بذلك، أو دعاء بالهلاك على أعدائه.

وهذا لم يكن لأحد من البشر، إلا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، إذا توجَّه أحدٌ من البشر إلى الله بالدعاء، فقد يُستجاب له، وقد لا يُستجاب له لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، وقد أثر عن نبينا محمد ﷺ مواقف عِدَّة، دعا فيها لأقوام بالبركة والخير، وتحقَّق ما دعا به، وكيف لا وهو خير الخلق، الحبيب إلى ربه القريب منه، صلي اللهم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ.

---

(١) **الجوبة**: بالفتح: هي الحفرة المستديرة الواسعة، أي: حتى صار الغيم والسحاب محيطًا بالمدينة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: من تمطَّر في المطر حتى تحادر على لحيته، برقم (١٠٣٣)، ومسلم (٢/ ٦١٤)، كتاب صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء، برقم (٨٩٧).

(٣) البخاري كتاب «المناقب» (جـ٦).

٤ ـ التبرك به ﷺ في حياته:

مما لاشك فيه أن نبينا محمد ﷺ مبارك في ذاته وآثاره، كما كان مباركًا في أفعاله ﷺ، وهذا مما أكرم الله تعالى به أنبياءه ورسله جميعًا عليهم الصلاة والسلام.

ولاشك أن آثار رسول الله ﷺ، صفوة خلق الله، وأفضل النبيين، أثبتُ وجودًا، وأشهى ذكرًا، وأظهرُ بركة، فهي أولَى بذلك وأحرى(١).

ولهذا فإن صحابة الرسول ﷺ وﷺ شملتهم بركة النبي، تبرَّكوا بذاته ﷺ، وبآثاره الحِسِّيَّة المنفصلة منه ﷺ في حياته، وأقرُّهم ﷺ على ذلك، ولم يُنكِر عليهم، ثم إنهم ﷺ تبرَّكوا ومن بعدهم السلف الصالح، بآثار الرسول ﷺ مما يدل على مشروعية هذا التبرك، ولا يوجد شيء من هذا التبرك من جهة الصحابة، ومن بعدهم من السلف الصالح يعارض أو يناقض توحيد الألوهية أو الربوبية، وأن هذا الفعل ليس من باب الغلو المذموم، وإلا لنبَّه على ذلك الرسولُ ﷺ صحابتَه ﷺ، كما نهاهم عن بعض الألفاظ الشركية، وحذَّرَهم من ألفاظ الغلو، فيُنظَر إذن إلى هذا على أنه تكريم، وتشريف من الخالق سبحانه وتعالى لصفوة خلقه في بدنه، وما ينفصل عنه، من آثاره: الحسية، حيث وَضَعَ تبارك وتعالى في ذلك البركة والخير(٢).

تبرك الصحابة بأعضاء جسده ﷺ:

* مما يدل على بركة أعضاء جسده الشريف ﷺ:

---

(١) من كتاب «تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ»، محمد الطاهر الكردي (ص٦).
(٢) كتاب «التبرك وأنواعه» د. ناصر عبد الرحمن.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أُسيد بن حُضَير ﵁ رجلاً صالحًا ضاحكًا مليحًا، بينما هو عند رسول الله ﷺ، يُحدِّث القوم ويضحكُهُم، فطعنه رسول الله ﷺ في خاصرته، فقال: أوجعتني، قال: **«اقتص»**، قال: يا رسول الله، إن عليك قميصًا، ولم يكن عليَّ قَمِيص، قال: فرفع رسولُ الله ﷺ قميصَه، فاحتضنه، ثم جعل يقبل كشحه[1]، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردت هذا[2].

* وروى الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﵁ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة، جاء خَدَمُ المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها[3].

* وروى البخاري عن أبي جحيفة ﵁ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ، ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وفيه: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه، فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبردُ من الثلج، وأطيبُ رائحةً من المسك[4].

---

(١) كشحه: الموضع الذي بين الأربط والخاصرة، يعني: جنبه.

(٢) رواه أبو داود في «كتاب الأدب» باب: في قبلة الجسد، والحاكم في «المستدرك» (٥٢٦٢)، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٤٦٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل) باب: قرب النبي ﷺ من الناس» (٤/ ١٨١٢)، برقم (٢٣٢٤).

(٤) البخاري، وفي كتاب «المناقب» (جـ ٤) (ص١٦٥).

* وأخرج ابن اسحاق عن حبان بن واسع كان النبي ﷺ في بدر يعدل الصفوف ويقوم بتسويتها، لكي تكون مستقيمة متراصَّة، وبيده عصى يعدل بها الصف، فرأى رجلاً اسمه سواد بن غزية، وقد خرج من الصف، فطعنه ﷺ في بطنه، وقال له: «**استو يا سواد**»، فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «**اسْتقِد**»، فاعتنقَه، فقبَّل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟!**»، قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ثالثًا ـ التبرك بما انفصل منه ﷺ:

التبرك بشعر النبي ﷺ:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الصحابة ﷺ كانوا يتبرَّكون بشعر النبي ﷺ، وأنه أقرَّهم على ذلك، بل إنه ﷺ قسَّم شعره بينهم.

* ففي صحيح مسلم عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ أتى مِنًى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزِلَه بمنًى ونَحَر، ثم قال للحلاق: «خُذْ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

ـ وفي رواية: فبدأ بالشق الأيمن، فوزَّعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال: «**بالأيسر**»، فصنع به مثل ذلك، ثم قال: «**ههنا أبو طلحة**»، فدفعه إلى أبي طلحة.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: من فوائد الحديث التبرك بشعره ﷺ، وجواز اقتنائه للتبرك[1].

---

(١) «صحيح مسلم» (جـ ٢) (ص٩٤٧)، كتاب «الحج».

وكان الصحابة يحرصون على اقتناء شعره الشريف ﷺ.

* ففي (صحيح مسلم) أيضًا عن أنس رضي الله عنه قال: «**لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا في يَدِ رجلٍ**»[1].

وقد ذكر النووي من أحكام هذا الحديث: «**تبرُّك الصحابة بشَعْرِ رسول الله ﷺ الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع منه إلا في يد رجلٍ سبق إليه**»[2].

التبرك بعرق النبي ﷺ:

عُرِف ﷺ بطيب رائحته، حتى أنه لو سلك طريقًا لعُرِفَ أنه سلكه من آثار الرائحة التي تبقى في ذلك الطريق.

* قال أنس رضي الله عنه: «**ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كفِّ النبي ﷺ، ولا شَمَمْتُ ريحًا قط أو عُرفًا قط أطيبُ من ريح أو عرق النبي ﷺ**».

- وفي رواية: «**ولا شَمَمْتُ مسكة أو عبيرة أطيب رائحة من رائحة رسول الله ﷺ**»[3].

* وكانت أم سُليم تجمع عرق النبي ﷺ، وكان ﷺ كثير العرق، فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «**يا أم سُليم، ما هذا؟**»، قالت: عرقك، أدوف[3] به طيبي نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أصبت**»[4].

- وفي رواية: نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.

تلك حاله ﷺ من طيب الرائحة، وإن لم يمس طيبًا، وقد قال الإمام النووي: باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، وقد أقرَّها النبي ﷺ بقوله: «**أصبت**».

---

(١) «صحيح مسلم» (جـ ٤) (ص١٨١٤)، كتاب «الفضائل».

(٢) شرح النووي لـ«صحيح مسلم» (جـ ١٥) (ص٨٢).

(٣) أدوف: أي: أخلط. (٤) «صحيح مسلم» (جـ ٤) (ص١٨١٥).

التبرك بريق النبي ﷺ:

في (الصحيحين) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها هاجرت إلى المدينة وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير، قالت: فأتيتُ المدينة، فنزلتُ بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، فمضغها ثم تفل فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنَّكه بالتمرة[1].

* وجاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية: أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه: عن أصحاب النبي ﷺ: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئه رجاء بركته ﷺ.

* وأخرج البيهقي عن الزهري: قال: حدثني من رأيتهم من الأنصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخَّم ابتدروا نُخَامته، فمسحوا بها وجوههم وجلودهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لم تفعلون هذا؟**»، قالوا: نلتمس به البركة[2].

التبرك بماء وضوئه ﷺ:

* جاء في (الصحيحين) عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأُتي بوَضُوءٍ فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسَّحون به[3].

وأما المقصود بفضل وضُوئه ﷺ: فقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسَّحون به، ويحتسونه، وكادوا يتقاتلون على ذلك.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري ومسلم. (٢) «كنز العمال» (جـ ٨) (ص٢٢٨).
(٣) رواه البخاري ومسلم.

بل إن الرسول ﷺ أرشد أصحابه ﷺ أحيانًا إلى شيء من هذا القبيل، وساعدهم عليه، لأنه يريد الخير والبركة لأمته.

* ففي (الصحيحين) عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه، ومجَّ فيه، ثم قال: **«اشْرَبا منه، وأفرغا على وجوهكما ونُحوركما وأبشِرا»**، فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادتهما أم سلمة من وراء الستر، أفضلا لأمكما مما في إنائكما، فأفضلا لها منه طائفة[١].

التبرك بشرب دمه ﷺ:

* أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن مالك بن سفيان ﷺ لما أُصيب رسولُ الله ﷺ في وجهه يوم أحد مَصَّ دم رسول الله ﷺ وازدرده (يعني: ابتلعه)، فقيل له: أتشرب الدم؟، فقال: نعم، أشرب دم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«خالط دمي دمه، لا تمسه النار»**[٢].

* وأخر الطبراني عن سفينة ﷺ: قال: احتجم النبي ﷺ، ثم قال: **«خذ هذا الدم، فادفنه من الدواب والطير والناس»**، فتغيبت، فشربته، ثم ذكرت ذلك له، فضحك[٣].

* وأخرج أبو يعلى والبيهقي في (الدلائل) عن عامر بن عبد الله بن الزبير ﷺ أن أباه حدَّثه أنه أتى النبيَّ ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: **«يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد»**، فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) قال الهيثمي: لم أر في إسناده من أجمع على ضعفه.

(٣) قال الهيثمي (جـ ٨) (ص ٢٧٠): رجال الطبراني ثقات.

الدم فشربه، فلما رجع قال: «**يا عبد الله، ماذا صنعتَ بالدم؟**»، قال: جعلته في أخفى مكان علمتُ أنه يخفى على الناس، قال: «**لعلك شربته؟**»، قال: نعم، قال: «**ولم شربت الدم؟ ويل للناس منك، ويل لك منك وويل لك من الناس**»، قال أبو موسى وقال أبو عاصم: فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم[1].

- وفي رواية: قال أبو سلمة: فيرون أن القوة التي كانت في ابن الزبير رضي الله عنهما من قوة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعًا - التبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته:

حصر تركة النبي ﷺ:

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلاب الدنيا طرفة عين، ولو أراد أن تكون بطحاء مكة ذهبًا وفضة لكانت، وخُيِّرَ صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكًا نبيًا، وبين أن يكون عبدًا نبيًا، فاختار أن يكون عبدًا نبيًا، إذا وجد ما يأكله حمد الله، وإذا لم يجد صبر.

* عن عمرو بن الحارث - ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث - قال: ما ترك صلى الله عليه وسلم عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة[2].

* وعن عائشة قالت: «**ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا أمةً ولا عبداً، ولا شاة ولا بعيراً**»[3].

* وسُئل ابن عباس ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحين.

---

(١) كذا في «الإصابة» (جـ ٢) (ص ٣١٠)، وأخرجه الحاكم والطبراني.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الوصايا».

(٣) رواه أحمد (ص ١٨١٠).

* وعن هشام عن أبيه عن عائشة قال: تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ، وما في بيتي من شيء يأكُلُه ذو كَبِد إلا شَطْرَ شعير في رَفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طَالَ علي، فَكِلتُهُ ففني[1].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ودرعُه مرهونةٌ عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير.

- حدثنا الأعمش، وقال: رهنه درعًا من حديد[2].

* وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقْتَسِمُ ورثتي دينارًا ما تركتُ بعد نفقة نِسَائي، ومَئونَة عَاملي فهو صدقةٌ»**[3].

* وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«لا نُورَثُ ما تركنا صدقةٌ»**[4].

* وعن عائشة رضي الله عنها: أن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر، يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: **«لا نُورَثُ ما تركنا صَدَقةٌ»**[5].

تبرك الصحابة بآثار الرسول وما تركه ﷺ:

تحدث الإمام البخاري - رحمه الله - في (صحيحه) كتاب (فرض الخمس)، باب بعنوان: «ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته، وما استعمله الصحابة بقصد البركة، وغيرهم بعد وفاته، ثم ساق البخاري جملة من أحاديث هذا الباب:

---

(١) رواه البخاري «فرض الخمس».
(٢) رواه البخاري في كتاب «الجهاد».
(٣) رواه البخاري في كتاب «فرض الخمس».
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

* عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين[١] لهما قبالان[٢]، فحدثني ثابت البُناني بعد أنس: أنهما نعلا النبي ﷺ[٣].

* وعن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدًا، وقالت: «في هذا نُزِعَ روح النبي ﷺ»، وفي رواية أخرى: أخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن، وكساءً من هذه التي يسمُّونها الملبدة[٤].

* أخرج البخاري - رحمه الله تعالى - في (صحيحه) أيضًا في موضع آخر عن عاصم الأحول، قال: رأيتُ قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك، وكان قد انصَدَع، فسلْسَلَه بفضة، قال: هو قدحٌ جيدٌ عريضٌ من نُضار، قال أنس: لقد سقيتُ رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا[٥].

* وجاء في (صحيح مسلم) - رحمه الله -: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أخرجت جُبَّةً سوداء، وقالت: هذه كانت عند عائشة، حتى قُبِضَت فلمَّا قُبِضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يُستشْفَى بها[٦].

* جاء في (صحيح البخاري) - رحمه الله -: عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة[٧].

ولاشك أن ما تركه ﷺ بعد موته من أدواته الخاصة قليل، وقد فُقِدَ كثيرٌ من آثار الرسول ﷺ على مدى الأيام والقرون، أو بسبب الحروب والفتن.

---

(١) **جرداوين**: الأجرد الذي ليس على بدنه شعر، فمعنى جرداوين: أي: لا شعر عليهما.
(٢) **القبال**: زمام النعل، وهو السير بين الأصبعين.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب «الفرائض».
(٤) متفق عليه البخاري ومسلم.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب «الأشربة».
(٦) «صحيح مسلم»، كتاب «اللباس والزينة».
(٧) «صحيح البخاري» (جـ ٢) (ص١٨٦).

تبرك التابعين بآثار ﷺ وما تركه:

كانوا يتبـركون بآثار المصطفى ﷺ الصحابة ﷺ ، والتـابعين من بعدهم، وسوف نورد بعض النماذج التي صحَّ فيها:

* حرصهم على اقـتناء شعر الرسول ﷺ ، وقد أقرهم بذلك، بل قـسَّمَهُ عليهم ﷺ ، حُفِظَ عن بعض الصحابة أنهم احتفظوا بشعره للتبرك به.

* ففي (صحيح البخاري) - رحمـه الله تعالى - عن ابن سيرين - رحمه الله تعالى -: أنه قـال: قلت لعبيـدة: عندنا من شعر النبي ﷺ ، أَصَـبْنَاهُ من قِبَلِ أنس أو من قِـبَلِ أهل أنس، فـقال: لأن يكون عندي شـعـرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها[١].

وكانوا يتـبركون بالـشعرات الكريمة عند إصـابتهم بالعين ونحـوها، قال ابن حـجر - رحـمه الله -: والمـراد: أنه كان من اشـتكى أرسل إناء إلى أم سلمـة، فتجعل فيه تلك الشعرت وتغسلها فيه، وتعيده فيشربه صاحب الإناء، أو يغتسل به استشفاءً بها، فتحصُلُ له بركتها[٢].

كمـا كان التابعون - رحـمهم الله تعالى - يتـبرَّكون بالشـرب في قدح النبي ﷺ ، فقـد عقد الإمـام البخاري - رحمـه الله تعالى - في (صحـيحه) كـتاب (الأشربة) بابًا بعنوان: «باب الشرب من قـدح النبي ﷺ وآنيته»، ثم ذكر هذا القول: وقـال أبو بُردة: قال لي عبـد الله بن سلام: ألا أُسقِيكَ في قـدحٍ شرب النبي ﷺ فيه؟[٣].

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب «الوضوء» (جـ ١ (ص ٥٠).
(٢) «فتح الباري» (جـ ١٠) (ص٣٥٣).
(٣) «صحيح البخاري» (جـ ٦) (ص٢٥١-٢٥٢).

* فقد رُويَ عن أبي حازم ـ رحمه الله ـ عن سهل بن سعد ﷺ، وفيه أن سهل بن سعد سقى الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ بقدحٍ، قال أبو حازم: فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، وقال: ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له[(١)].

* وفي موضع آخر من (صحيح البخاري)، روي عن عاصم الأحول ـ رحمه الله ـ أنه قال: في شأن قدح النبي ﷺ الموجود عند أنس بن مالك ﷺ: رأيتُ القدح وشربتُ فيه[(٢)].

* فقد جاء في (الصحيحين) البخاري ومسلم عن ابن عمر ﷺ أنه قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من وَرِقٍ، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس نَقْشُهُ محمدٌ رسول الله[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبيُّ ﷺ في بركته، لما آمنوا به وأطاعوه، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمنٍ آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلا الله.

ومن هنا يتضح أن التبرك بآثار النبي ﷺ مشروع في حياته وأقره ﷺ كما بينَّا في الأحاديث وقد اختص النبي ﷺ بهذا التبرك دون سواه، ما عدا الأنبياء عليهم السلام.

(١) «صحيح البخاري» كتاب «الأشربة».
(٢) «صحيح البخاري».
(٣) متفق عليه.

فقد اختص الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين بخصائص شريفة لا توجد في غيرهم، ومنها وجود البركة في ذواتهم وآثارهم تشريفًا وتكريمًا لهم دون سواهم، فالأنبياء هم أفضل خلق الله على الإطلاق.

وعلى أي حال، فإن التبرك الأسمى والأعلى بالرسول ﷺ هو اتباع ما أُثِرَ عنه من قولٍ أو فعلٍ، أو إقرارٍ والاقتداء به، والسير على منهاجه ظاهرًا وباطنًا، وإن في هذا كله الخير، كما تحدثنا عن بركات النبي ﷺ المعنوية.

أحب أن أنبه على أن حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ باقٍ على مشروعيته لا يقتصر على الصحابة ﷺ، أو التابعين فقط ـ رحمهم الله تعالى ـ، فإن بركة آثار الرسول ﷺ باقية فيها ما بقيت هذه الآثار وليس هناك ما يرفعها.

الباب الرابع

بركات الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨).

لقد اختار الله تعالى من الناس صنفًا واصطفاهم لنفسه، وربَّاهم على عينه واجتباهم وفضَّلهم وهداهم إلى الصراط المستقيم، وجعلهم أهلاً لحمل أمانته، وأداء رسالته، ألا وهم الأنبياء والمرسلون.

واختيار الله لهم إنما هو محض إرادته، وفعل مشيئته، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥)، كذلك فضَّل الله بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: ٥٥).

فاختص الله بعض أنبيائه بمزيد بركته، وفيض من رحمته، فقد اشتهر الأنبياء والمرسلون بالأخلاق الفاضلة العالية، وبالسِّيرة الحسنة الكريمة، فهم أكمل الناس خُلقًا وخَلقًا، فالنُّبوة أجلُّ مراتب الحياة الإنسانية، وأعظم منازل المقربين عند الله، والله تعالى في جلال عزِّه وكبرياء قدسه لا يصطفي لنبوته ورسالته من الناس إلا أكملهم عقولاً، وأقواهم نفوسًا، وأنورهم قلوبًا، وأثبتهم جأشًا، وأقدرهم على القيام بحق ما اختيروا له من النبوَّة والرسالة.

فالأنبياء والرسل عليهم السلام يتصفون بالأمانة في أقوالهم وأعمالهم، فلا خيانة فيهم، ومن صفاتهم الصدق، فالكذب يستحيل عليهم، فإن الرسول إذا عُرِفَ بالكذب على غير الله لم يُسلِّم له الناس بدعوى الرسالة، وقد تفضَّل الله على عباده، فأرسل إليهم رسلاً كثيرين للهداية والإرشاد للتهذيب والإصلاح، ومن وظائف الرسل: التبليغ المبين.

ويتضح من ذلك أنه يجب للرسل إجمالاً كل كمال بشري كالعدل والوفاء بالعهد والشجاعة والمروءة والكرم وعلو النسب، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق، ويجلب لهم الصدق والأمانة، والتبليغ والفطانة.

* * *

الفصل الأول

نــــوح عليه السلام

ذكر الله نوحًا في القرآن ستًا وثلاثين مرة، وهو أول رسول إلى أهل الأرض كما جاء في الصحيح.

قصته:

أرسل الله نوحًا عليه السلام إلى قومه عبدة الأصنام، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، وسلك في ذلك طُرقًا شتَّى في سبيل إقناعهم، لكنهم أصروا على طغيانهم، ومضوا في جحودهم، وكانوا كما حكى القرآن الكريم عن نوح وقومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٥-٩)، وحيال تلك الدعوة الدءوب، وصَّى قوم نوح بعضهم بعضًا بالعكوف على أصنامهم: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ (نوح: ٢٣-٢٤).

ومن ضلالهم: أنهم اتهموا نبيهم نوحًا بالجنون، وسخروا منه وهزءوا به، بل توعَّدوه بالرجم إن استمر في دعوته، وكل ذلك سجله القرآن عليهم، فلما يئس منهم دعا عليهم فأمره الله بصنع السفينة، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، ومن آمن من أهله والمؤمنين معًا، حتى إذا فار التنور وعم الطوفان الأرض، وصارت السفينة باسم الله مجراها ومرساها، حتى إذا أغرق الله الكفار

صدر الأمر الإلهى إلى الكون أرضه وسماءه، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤).

دعاء نوح عليه السلام

وكان طلب نوح ودعاؤه الله سبحانه وتعالى عندما استوى على ظهر السفينة بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩)، ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

أي: قال الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام: يا نوح اهبط من السفينة مصحوبًا منَّا بالأمان مما تكره، وبالخيرات النامية والنعم الثابتة عليك وعلى أتباعك، وأتباع أتباعك المؤمنين، وهناك أمم سنمتعهم بنعمنا في الدنيا، ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة، بسبب جحودهم لنعمنا، وعدم شكرنا عليها.

ويقول الإمام الرازي: قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الذي بيده ملكوت كل شيء وعالم الغيب والشهادة، ومدبر أمر العالم كله لنوح بعد انتهاء أمر الطوفان، وإقلاع السماء عن أمطارها، وابتلاع الأرض لمائها، وإمكان السكنى والعمل على ظهرها: يا نوح اهبط من السفينة، أو من الجودي الذي استوت عليه إلى الصف المستوى منها، ملابسًا أو مزودًا وممتعًا بسلام من عظمتنا ورحمتنا الربانية، وهو التحية والسلام من الفتن والعداوة التي أحدثها المشركون الظالمون فيها.

وقال الرازي: أنه تعالى وعده عند الخروج بالسلامة لأمرين:

الأول ـ أنه تعالى أخبر أن نوحًا عليه السلام تاب من زَلَّته، وتضرَّع إلى الله بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(هود: ٤٧)، فكان نوح عليه السلام محتاجًا إلى أن

يبشره الله تعالى بالسلامة من التهديد والوعيد، فلما قيل له: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ حصل له الأمن من جميع المكاره المتعلقة بالدين.

الثاني- أن ذلك الغرق لما كان عامًا في جميع الأرض، فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان، فكان كالخائف في أنه كيف يعيش، وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب، فلما قال الله تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾، زال عنه ذلك الخوف، لأن ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات، ولا يكون ذلك إلا مع الأمن وسعة الرزق[١].

البركات لنوح عليه السلام

الوعد الثاني من الله لنوح عليه السلام عند هبوطه من السفينة هو حصول البركات، وحصول البركات لنوح عليه السلام هي:

١- بركات في المعايش، وسعة الرزق.

٢- أنه تعالى صيَّر نوحًا أبًا للبشر، لأن جميع من بقي كانوا من نسله، فالخلق كلهم من نسله، وذريته، والدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٧٧)، إذن فهذه من البركات التي وعده الله بها.

٣- الثناء الحسن على نوح عليه السلام على طول الزمان، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الصافات: ٧٨)، أي: تركنا عليه الثناء الحسن، وأبقيناه له فيمن بعده إلي آخر الدهر، وهذا قول ابن عباس.

٤- دعاء الناس لنوح عليه السلام بالبركة.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (جـ ١٨) (ص٦).

قال الألوسي: والبركات أي: خيرات نامية في نَسْلكَ وما يقوم به معاشُك ومعاشُهم من أنواع الأرزاق، أومباركًا عليك، أو مدعواً لك بالبركة، بأن يُقال: بارك الله تعالى فيك، وهو مناسب لكون السلام بمعنى التسليم (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

٥ ـ السلام من الله ومن الناس عليه، قال تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات: ٧٩).

قال الألوسي في تفسير الآية ﴿سَلامٌ﴾: معمول لقول مقدر: ﴿قلنا سَلامٌ﴾.

وقال أبو حيان: مستأنفة سلَّم الله تعالى عليه ليقتدي بذلك البشر، فلا يذكره أحد بسوءٍ.

قال الشهاب: معمول بقول مقدر، أي: تركنا قولهم سلام على نوح، وقوله يسلمون عليه تسليمًا، إشارة إلى أنه إذا كان اسم المصدر من التسليم كان منصوبًا على المصدرية على الأصل، وإذا كان سلامًا من الله لا مِنَ الآخرين، فتقديره ﴿قلنا سَلامٌ﴾.. إلخ.

٦ ـ وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وفي ذلك يقول الحق: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (الحديد: ٢٦).

قال الرازي: بيَّن الله أنه تعالى يشرِّف نوحًا وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ بالرسالة، ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فما جاء أحد بعدها بالنبوة إلا وكان من أولادهما، وإنما قدَّم النبوة على الكتاب، لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع[1].

٧ ـ أن جعل الله التعفُّف عما في أيدي الناس، والترفُّع عن عطاياهم، والتماس الأجر من الله، هو خير سلاح لأهل الإيمان إنْ أجري فيما أدعوكم

---

(١) الفخر الرازي (جـ ٢٩) (ص٢٤٤).

إليه، إلا على رب العالمين الذي خلقني وخلقكم، ورزقني ورزقكم، فاحمدوا الله تعالى حيث نجَّاكم من القوم الظالمين، وأفاض عليكم بفضله وكرمه، بأن أنزلكم مكانًا مباركًا مليئًا بالخيرات.

فهذه هي جملة البركات التي أنعم الله بها على نوح ﷺ، وقوله: ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (هود:٤٨)، متعلق بسلام وبركات، وفي هذا إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى سيجعل من ذرية نوح، ومن ذرية من معه من المؤمنين أممًا كثيرة ستكون محل كرامة الله، وأمانه وبركاته.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وهذا الكلام مستأنف مسوق للاحتراز والتحذير من سوء عاقبة المخالفة لأمر الله، وقد أفضنا في هذا الموضوع في كتاب (آثار الذنوب والمعاصي على الأفراد والأمم والشعوب)، أي: أن الأمم التي ستكون من نسلك، ومن نسل أتباعك يا نوح على قسمين:

الأول - قسم منهم له مِنَّا السلام وعليهم البركات، ولهم السعادة والأمن والاطمئنان، ونعيم الجنان، بسبب الإيمان والعمل الصالح، وهم أهل الإيمان، وحزب الله، والفرقة الناجية.

الثاني - سنمتعهم في الدنيا بالكثير من زينتها وخيراتها متاعًا غير دائم منقطع ثم نستدرجهم من حيث لا يعلمون، لإيقاع العذاب والهلاك والتدمير عليهم، ثم يصيبهم يوم القيامة عذابٌ أليم، بسبب جحودهم لنعمِنا، وعصيانهم لرسلنا، ومخالفتهم لأمرنا.

فعلى كل عاقل أن يجتهد في أن يكون من القسم الأول، وأن يتجنب القسم الثاني، فريق في الجنة، وفريق في السعير، نسأل الله أن نكون من أهل الجنة، ونعوذ بالله أن نكون من أهل السعير.

الفصل الثاني

بركات إبراهيم عليه السلام

ومن الأنبياء الذين بارك الله فيهم ولهم، إبراهيم خليل الرحمن، لقد ذُكِرَ إبراهيم في القرآن في بضع وخمسين مرة، ولقصته في القرآن جوانب عديدة، نكتفي هنا بجانب واحد منها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: ٦٩-٧٣).

هذه قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الذين جاءوا لبشارته بابنه إسحاق، وبإخباره بإهلاك قوم لوط عليه السلام، وقد وردت هذه القصة في سور أخرى منها: الحجر، وسورة الذاريات.

﴿الْبُشْرَىٰ﴾: اسم للتبشير والبشارة: وهي الخبر السَّار، فهي أخصُّ من الخبر، وسُمِّيت بذلك، لأن آثارها تظهر على بشرة الوجه أى الجلد.

وجاءت الكلمة الكريمة بصيغة التأكيد للاهتمام بمضمونها، وللرد على مشركي قريش وغيرهم، مما كان يُنكِر هذه القصة وأمثالها، والباء في قوله: ﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾، للمصاحبة والملابسة، أي: جاءوه مصاحَبين بالبشرى، وقوله: ﴿قَالُوا

سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾، حكاية لتحيتهم له، ولردّهم عليه، ﴿سَلامًا﴾: منصوب بفعل محذوف أي: قالوا: نُسلِّم عليك سلامًا، ولفظ: ﴿سَلامٌ﴾: مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: قال لهم أمري سلام.

ثم بين سبحانه ما فعل إبراهيم مع هؤلاء الرسل من مظاهر الحفاوة والتكريم، فقال: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

﴿حَنِيذٍ﴾: السَّمين المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الأرض، أي: فما أبطأ وما تأخر إبراهيم ﷺ عن إكرامهم، بل مجرد أن انتهى من ردِّ التحية عليهم، أسرع إلي أهله، فجاءهم بعجل ﴿حَنِيذٍ﴾، يُقال: حَنَذ الشاة يَحْنذها حنذًا، أي: شَواها، وهذا الفعل منه ﷺ يدل على سعة جوده، وعظيم سخائه، فإن من آداب الضيافة تعجيل القِرَى للضيف، وهذا شأن الكرام أصحاب المروءة والشهامة، يقدِّمون التحية للضيف في أسرع وقت ممكن، ثم بيَّن سبحانه وتعالى حال إبراهيم عندما رأى ضيوفه لا يأكلون من طعامه، فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

معنى: ﴿نَكِرَهُمْ﴾: نفر منهم، وكره تصرفهم، وتقول: فلان: نَكِرَ حالَ فلان، إذا وجده على غير ما يعهده فيه، ويتوقعه منه.

﴿وَأَوْجَسَ﴾: من الوجس، وهو الصوت الخفي، والمراد به هنا: الإحساس الخفي بالخوف والفزع الذي يقع في النفس عند رؤية ما يقلقها ويخيفها، أي: فحين رأى إبراهيم ضيوفه لا تمتد أيديهم إلى الطعام الذي قدَّمه لهم، نفر منهم، وأحس في نفسه من جهتهم خوفًا ورعبًا، لأن امتناع الضيف عن الأكل من طعام مضيفه بدون سبب مقنع، يشير بأن هذا الضيف يريد به سوءًا وشرًا.

ولهذا بادرت الملائكة بإدخـال الطمأنينة على قلب إبراهيم، حـيث قالوا له: ﴿قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾، أي: لا تخف يا إبراهيم فإنَّا لسنا ضُيوفًا من البشر، إنما نحن رُسل من الله تعالى أُرسِلْنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

ثم حكى سبحانه وتعالى مـا حدث بعد ذلك، فقال: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، والمراد بـ ﴿امْرَأَتُهُ﴾ كما قـال القرطبي: سارة بنت هاران بن ناحور، وهي ابنة عمه، وقيامها كان لأجل قضاء مصالحها، أو لأجل خدمة الضيوف، أو لغير ذلك من الأمور التي تحتاجها المرأة في بيتها.

والمراد بالضحك هنا: حقيقته: أي: فـضحكت سرورًا وابتهاجًا بسبب زوال الخوف عن إبراهيم، أو بسـبب علمها بأن الضيوف قـد أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، أو بهما معًا.

أي: وفي أعقاب قول الملائكة لإبراهيم لا تخف، كانت امرأته قائمة لقضاء بعض حـاجاتهـا، فلما سَـمِعت ذلك ضـحكت سرورًا ومـرحًا لزوال خـوفه، فبشَّرناها عقب ذلك بمولودها إسحاق كـما بشَّرناها بأن إسحاق سيكون من نسله ﴿يَعْقُوبَ﴾، فهي بشارة مضاعفة، إذ أنها تحمل في طياتها أنها ستعيش حتى ترى ابن ابنها، ولاشك أن المـرأة عندما تكون بلغت سنَّ اليأس، ولـم يكن لها ولد، ثم تأتيها مـثل هذه البشارة يهتـزُّ كيانها، ويزداد عـجبها، ولذ قالت عـلى سبيل الدهشة والاستغراب.

﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وكلمة: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ﴾: تستـعمل في التحـسر والتألُّم والتفـجُّع عند نزول المكروه، والمراد هنا: التعجب لا الدعاء على نفسهـا بالويل والهلاك، وهذه الكلمة كثيرة الدوران على أفواه النساء إذا طرأ عليهم، ما يدهش له ويتعجبن منه.

أي: قالت بدهشة وعجب عندما سمعت بشارة الملائكة لها، بالولد وبولد الولد: يا للعجب أألدُ وأنا امرأة عجوز، قد بلغتُ سنَّ اليأس من الحمل من زمن طويل، وهذا زوجي إبراهيم شيخًا كبيرًا متقدِّمًا في السِّن، إن هذا الذي بشرتموني به، لشيءٌ عجيب في مجرى عادة النساء.

وقد ردت عليها الملائكة بقولهم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: أتستبعدين على قدرة الله تعالى أن يرزقك الولد وأنت وزوجك في هذه السن المتقدمة؟، لا لأنه لا ينبغي لك أن تستبعدي ذلك، لأن قدرة الله لا يعجزها شيء، فالاستفهام هنا المراد به إنكار تعجُّبها واستبعادها البشارة وإزالة أثر ذلك من نفسها إزالة تامَّة.

قال صاحب الكشاف: وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها، لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة في قولهم: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به ربُّ العِزَّة، ويخصُّكم بالإنعام به: يا أهل البيت بيت النبوة، فليس بمكان عجب، والكلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل: إياك والتعجب، فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم[١].

وقال الشيخ القاسمي ـ رحمه الله ـ: وقد أخذ العلماء من هذه الآيات جملة من الفوائد منها، أن المبَشَّر بشيءٍ ينبغي أن يُقابِل ذلك بشكر الله تعالى على فضله ونعمه.

---

(١) «تفسير الكاشف» (جـ ٢) (ص٢٨١).

* ومنها: أن السلام مشروع، وأنه ينبغي أن يكون الردُّ أفضل، لقول إبراهيم ﷺ في الرد على الملائكة: ﴿سَلَامٌ﴾، بالرفع وهو أدلُّ على الثبوت والدوام.

* ومنها: مشروعية الضيافة والمبادرة إليها، واستحباب مبادرة الضيف بالأكل منها، واستحباب خدمة المضيف للضيف، فإنها من مكارم الأخلاق[1].

بركات من الله على إبراهيم ﷺ

قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أي: قالت الملائكة لها زيادة في سرورها رحمة الله الواسعة، وبركاته عليكم وخيراته النامية عليكم أهل البيت الكريم، وهو بيت إبراهيم ﷺ، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، تذييل بديع قصد به وجوب مداومتها على حمد الله، وتمجيده على أن وهبها الولد بعد أن بلغت سن اليأس من الحمل.

أي: أنه سبحانه: ﴿حَمِيدٌ﴾، أي: مستحق للحمد لكثرة نعمه على عباده، ﴿مَّجِيدٌ﴾، أي: كريم واسع الإحسان، فليس بعيدًا منه أن يعطي الولد للآباء بعد الكبر.

بركات الله على إبراهيم:

* والبركات المخبر عنها في الآية الكريمة أفاء الله بها على نبيه إبراهيم منها:

١ ـ اتخاذه خليلاً.

٢ ـ جعله الله للناس إمامًا.

٣ ـ ثناء الله عليه.

٤ ـ ثناء الناس عليه.

٥ ـ تسليم الله والناس عليه.

---

(١) «تفسير القاسمي» (جـ ٦٧-٣٤).

أولاً - اتخاذه خليلاً:

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء: ١٢٥).

قال الرازي: ذكروا في اشتقاق الخليل وجوهًا:

الأول - أن خليل الإنسان هو الذي يدخل في خلال أموره وأسراره والذي دخل حُبُّه في خلال أجزاء قلبه، ولاشك أن ذلك هو الغاية في المحبَّة، قيل: لما أطلع الله إبراهيم عليه السلام على الملكوت الأعلى والأسفل، ودعا القوم مرة بعد مرة أخرى إلى التوحيد ومنعهم عن عبادة النجم والقمر والشمس، ومنعهم عن عبادة الأوثان، ثم سلم نفسه للنيران، وولَده للقربان، وماله للضيفان، جعله الله إمامًا للخلق ورسولاً إليهم، وبشَّره بأن الملك والنُّبوة في ذريته، فلهذه الاختصاصات سمَّاه خليلاً، لأن محبة الله لعبده عبارة عن إرادته لإيصال الخيرات والمنافع إليه.

والوجه الثاني - في اشتقاق اسم الخليل: أنه الذي يوافقك في خلالك، أقول: رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**تخلَّقوا بأخلاق الله**»، فيشبه أن إبراهيم عليه السلام لما بلغ في هذا الباب مبلغًا لم يبلغه أحدٌ ممن تقدم لا جرم خصَّه الله بهذا التشريف.

الوجه الثالث - قال صاحب الكشاف: إن الخليل هو الذي يُسَايِرْكَ في طريقك من الخل، وهو الطريق في الرمل، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني، أو يُحْمَلُ ذلك على شِدَّة طاعته لله، وعدم تمرُّده في ظاهره وباطنه على حكم الله، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١).

الوجه الرابع - الخليل هو الذي يَسُدُّ خللك كما تَسُدُّ خَلَلَهُ، وهذا القول ضعيف لأن إبراهيم عليه السلام لما كان خليلاً مع الله امتنع أن يُقال: أنه يسدُّ الخلل، ومن ههنا علمنا أنه لا يمكن تفسير الخليل بذلك[١].

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (جـ ١٠) (ص٥٨-٥٩).

قال صاحب المنار: إن الله اصطفى إبراهيم لتوحيده وإقامة دينه في زمن وبلاد غلبت عليها الوثنية، وقوم أفسد الشرك عقولهم، ودنَّس فطرتهم، فكان إبراهيم خالصًا مخلصًا لله، وبهذا المعنى سمَّاه الله خليلاً، والله يحب الأصفياء من عباده ويحبُّونه، وقد كان إبراهيم كامل الحب لله، ولذلك عادى أباه وقومه وجميع الناس في حبه تعالى والإخلاص له، وقيل: أن الخليل هنا مشتقٌ من الخلة ـ بفتح الخاء ـ، وهي الحاجة، لأن إبراهيم ما كان يشعر بحاجته إلي أحد غير الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حتى قال في الحاجات العادية التي تكون بالتعاون بين الناس.

﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين﴾ (الشعراء:٧٨-٧٩)، والأول أظهر وأكمل، وهو بمعنى المحبة كما سبقت الإشارة إليه، والمراد بذكر هذه الخلة، الإشارة إلى أعلى مراتب الإيمان التي كان عليها إبراهيم[1].

ثانيًا ـ جعله الله للناس إمامًا:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤).

الإمامة: هي اسم لكل من يُقتدى به، والمراد بها هنا: النبي المقتدى به، وهذه الإمامة إما مؤبدة، كما هو مقتضى تعريف الناس، وصيغة اسم الفاعل الدال على الاستمرار ﴿جَاعِلُكَ﴾، ولا يضر مجيء الأنبياء بعده، لأنه لم يبعث نبي إلا كان من ذريته، ومأمورًا باتباعه في الجملة لا في جميع الأحكام، لعدم اتفاق الشرائع التي بعده في الكل، فتكون إمامته باقية بإمامة أولاده التي هي أبعاضه على التناوب، وإمَّا مؤقَّتة بناء على أن ما نسخ ـ ولو بعضه ـ لا يُقال به

---

(١) «تفسير المنار» (جـ ٥) (ص٣٥٨).

مؤبدة، وإلا لكانت إمامة كل نبي مؤبدة، ولم يشع ذلك، فالمراد من ﴿لِلنَّاسِ﴾: حينئذٍ أُمَّته الذين اتبعوه.

قال الألوسي: ولَكَ أن تلتزم القول بتأبيد إمامة كل نبي، ولكن في عقائد التوحيد، وهي لم تنسخ، بل لا تُنسَخُ أصلاً كما يشير الحقُّ إليه، قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٢١٠)، وعدم الشيوع غير مسلم، ولئن سلم لا يضر، والامتنان على إبراهيم ﷺ بذلك دون غيره لخصوصية اقتضت ذلك لا تكاد تخفى[1].

ثالثًا - ثناء الله عليه «صفات إبراهيم ﷺ»:

أثنى الله تعالى على إبراهيم ثناءًا حسنًا ومدحه بصفات كريمة في كتابه العزيز من تلك الصفات: أن إبراهيم كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا، ولم يك من المشركين شاكرًا لأنعمه، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢٢)، ففي هذه الآيات يصف الله إبراهيم ﷺ بجملة من الصفات الفاضلة.

أولاً - وصفه بأنه ﴿كَانَ أُمَّةً﴾: ولفظ ﴿أُمَّةً﴾: يطلق في اللغة بإطلاقات متعددة منها:

ومنها: الجماعة: كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص: ٢٣)، جماعة الناس.

ومنها: الدين والملة: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: ٢٣)، أي: دين وملة.

---

(١) الألوسي (جـ ١) (ص٣٧٥).

ومنها: الحين والزمان: كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف:٤٥)، أي: بعد فترة، والمراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، أي: كان عنده من الخير ما كان عند أمة، أي: جماعة كثيرة من الناس، وهذا تفسير ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال مجاهد: سُمي عليه السلام: ﴿أُمَّةً﴾: لانفراده بالإيمان في وقته مدة ما، وفي (صحيح البخاري) أنه قال لزوجته سارة: «**ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك**»، ويصح أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، أي: كان إمامًا يُقتَدى به في وجوه الطاعات، وفي ألوان الخيرات، وفي الأعمال الصالحات، وفي إرشاد الناس إلى أنواع البر والخير.

الصفة الثانية - ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: أي: أنه كان مطيعًا لله خاضعًا لأوامره ونواهيه من القنوت وهو الطاعة مع الخضوع.

الصفة الثالثة - ﴿حَنِيفًا﴾: أي: أنه كان مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق من الحنف، بمعنى الميل، والاعوجاج، يقال: فلان برجله حنف أي: اعوجاج وميل.

الصفة الرابعة - ﴿لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: أنه مُنزَّهٌ عن الإشراك بالله تعالى، ولم يكن إبراهيم من الذين أشركوا مع الله تعالى آلهة أُخرى في العبادة، أو الطاعة، أو في أي أمرٍ من الأمور، بل أخلص عبادته وطاعته لله وحده في أي أمرٍ من أمور الدين، وقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٧٩).

الصفة الخامسة - يقول سبحانه: ﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ﴾، أي: مُعترفًا بفضله تعالى عليه، ومستعملاً نعمه فيما خُلقت له ومؤديًا حقوق خالقه فيها، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم:٣٧)، بأداء جميع ما كلفه الله به.



وبعد أن مدحه سبحانه وتعالى بتلك الصفات الجامعة لمجامع الخير، أتبع ذلك ببيان فضله تعالى، فقال: ﴿اجْتَبَاهُ﴾: أي: اختاره واصطفاه للنبوة.

واجْتباء الله تعالى لعبده معناه اختصاصه ذلك العبد بخصائص ومزايا يحصل له عن طريقها أنواع من النِّعَم بدون كسبٍ منه.

﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: وأرشده إلى الطريق القويم الذي دعا الصالحون ربهم أن يرشدهم إليه، حيث قالوا في تضرعهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: وهو طريق الإسلام، ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: وجمعنا له خير الدنيا من كل ما يحتاج المؤمن إليه ليحيا حياةً طيبة كهدايته إلى الدين الحق، ومنحه نعمة النبوة وإعطاؤه الذُّرِّية الصالحة، والسِّيرة الحسنة، والمال الوفير، وأنه في الآخرة لمندرج في عباد الله الصالحين الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه.

الصفة السادسة - بأنه الحليم والأواه والمنيب: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود:٧٥)، يؤكد الله تعالى في هذه الدنيا شِدَّة حِلْم إبراهيم بطريق المبالغة، كما يؤكد شِدَّة خشوعه وأَوْبَتَه إلى ربه.

فالحليم: هو الذي لا يستفزُّه الغضبُ، ولا يعبثُ به الطيشُ، ولا يستخفُّه الجهلُ أو الهوى، ومن لوازمه الصبر والثبات والصَّفح، والتَّأنِّي في الأمور، واتقاء العجلة في كل من الرغب والرهب.

الأوَّاه: الكثير التأوُّه والتحسُّر، وإنما يتأوَّه إبراهيمُ من خشية الله، ويطلق الأوَّاه على الخاشع الكثير الدعاء، والتضرع لله.

قال صاحب المنار: أصل التأوه قول: «أوه، أواه، بالكسر منونًا وغير منون، أو واه أو أوه والأوَّاه الخاشع المتضرِّع»، وعن ابن عباس أنه المؤمن الموقن بلسان الخشية[1]، والأواه هو كثير التأوُّه والتوجُّع من خشية الله.

---

(١) «تفسير المنار» (جـ ١١) (ص٤٩).

الصفة السابعة - الرفعة والمكانة العالية: قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ (يوسف:٧٦)، أي: جعله عزيزًا في الدنـيا، لأن الله سبحانه وتعـالى جعل أشرف الناس وهم الأنبيـاء والرسل من نسله، وذريته وأبقى هذه الكـرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السرور: علم المرء بأنه يكـون من عَقِبِه الأنبياء والصالحون[1].

رابعًا - ثناء الناس عليه:

دعاء إبراهيم ربه أن يجعل الله له ذكرى عطرة، وسيرة حسنة على لسان من يأتي من بعده، فـقال كمـا حكى القرآن عنه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ (الشعراء:٨٤)، فاسـتجاب الله دعوته، وحـقق مسألتـه فما من أحـد أتى من بعد إبراهيم عليه السلام إلا ذكره بالخير، وأثنى عليه ثناءًا حسنًا، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٨).

قال الرازي: فإن قيل: وأي غرض له في أن يُثْنَى عليه ويُمدَح؟:

الأول - وهو على لسـان الحكمة أن تأثـير بعض الأرواح البـشرية قـد يكون ضعيفًا، فإذا اجـتمعت طائفة منها فربما قَوِيَ مجموعـها على ما عجزت الآحاد عنه، وهذا المعنى مشاهد في المؤثرات الجسمـانية، إذا ثبت هذا فالإنسان الواحد إذا كـان بحيث يثنـي عليه الجـمع العظيم، ويمدحـونه ويعظمـونه، فربما صـار انصراف هممهم عن الاجتماع إليه سببًا لحصول زيادة كمال له.

الثاني - وهو على لسان الكمال أن من صار ممدوحًا فيما بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل، فإنه يصير ذلك المدح، وتلك الشهرة داعيًا لغيره إلى اكتساب مثل تلك الفضائل[2].

---

(١) «تفسير الرازي» (جـ ٤) (ص٨٢). (٢) «تفسير الفخر الرازي».

خامسًا - تسليم الله والناس عليه:

قال تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات:١٠٩)، هذا السلام إمًّا من الله، أي: عليك سلامٌ من الله، أو من الناس أي: يُسلِّم الناسُ عليك سلامًا، وكل ذلك جائز.

سادسًا - تكليفه ببناء المسجد الحرام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧).

أي: أن الله قد عَهِدَ إلى إبراهيم وأرشده إلى مكان بيته، وأمره ببنائه وتظهيره وتهيئته لمن يطوفون به، وللمعتكفين فيه، والمتقرِّبين إلى الله تعالى بداخله.

كما أمره بدعوة الناس إلي حج هذا البيت، فإنهم عن طريق حَجِّه سينالون الخير الجزيل، والأجر الوفير، والمنافع التي لا يعرفها ولا يعرف قدرها أحدٌ سوى الله سبحانه وتعالى.

ولاشك أن تكليف سيدنا إبراهيم بكل ذلك شرفٌ لايعادله شرف، وفضلٌ لا يضارعه فضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إنه أول بيت وضعه الله تعالى في الأرض ليكون متعبدًا لهم، هو البيت الحرام الذي بمكة، والذي من صفاته أنه كثير الخير والنفع لمن حجَّه أو اعتمره، أو اعتكف فيه، أو طاف به، وأنه مصدر هداية للعالمين، لأنه قبلتهم ومتعبدهم.

الفصل الثالث

بركات عيسى عليه السلام

نتناول من قصة عيسى الطرف الذي يشير إلى بركته عليه السلام، وهو الجانب الذي أعلن فيه عن نفسه، وبيَّن لقومه حقيقة ذاته، وذلك عندما وضعته أمه وجاءت به قومها، فاستقبلوها بالتوبيخ والتثريب.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٢٧-٣٣).

والمعنى: أن مريم عليها السلام، جاءت بوليدها تحمله، فقال لها قومها على سبيل الإنكار: يا مريم لقد جئْت، أي: فعلْتِ شيئًا منكرًا عجيبًا في بابه، حيث أتيت بولد من غير زوجٍ نعرفه لك. الفري: مأخوذٌ من فريتُ الجلد إذا قطعته، أي: شيئًا قاطعًا وخارقًا للعادة، ومرادهم: أنها أتت بولدها عن طريق غير شرعي، ويدل على أن مرادهم هذا قولهم بعد ذلك: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾، أي: ما كان أبوك رجلاً زانيًا أو معروفًا بالفحش، وما كانت أمك بغيًا: أي تتعاطى الزنا، يُقال: بغت المرأة، إذا فجرت وابتعدت عن طريق الطُّهر والعفاف.

وليس المراد بهارون: هارون بن عمران أخا موسى، وإنما المراد به: رجل من قومها معروف بالصلاح والتقوى، فشُبِّهت به: أي: يا أخت هارون في الصلاح والتقوى، أو المراد به أخ لها كان يُسمَّى بهذا الاسم.

* عن المغيرة بن شعبة: قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرأيتَ ما تقرءون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعتُ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **«ألا أخبرتهم أنهم كان يُسمُّون بالأنبياء والصالحين قبلهم»**.

* وعن قتادة قال: هو رجل صالح في بني إسرائيل، والأُخت على هذا بمعنى المشابهة، وشبهوها به تهكُّمًا أو لما رأوا قبل من صلاحها[1].

وعلى أية حال .. فإن مرادهم بقولهم هذا، هو اتهام مريم بما هي بريئة منه، والتعجب من حالها حيث انحدرت من أصول طاهرة، ومع ذلك لم تنهج منهجهم.

وهنا نجد مريم تبدأ في الدفاع عن نفسها عن طريق وليدها، فأشارت إليه، أي: فأشارت إلى ابنها عيسى، ولسان حالها يقول لهم: وجِّهوا كلامكم إليه، فإنه سيخبركم بحقيقة الأمر، وإنما اكتفت بالإشارة دون الكلام، لأنها كانت صائمة عن الكلام، ولكنهم لم يقتنعوا بإشارتها، بل قالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: كيف نكلِّم طفلاً صغيرًا ما زال في مَهْدِه، وفي حال رَضَاعه، والفعل الماضي: ﴿كَانَ﴾: هنا بمعنى الفعل المضارع المقترن بالحال، كما يدل عليه سياق القصة.

ولكن عيسى ﷺ أنطقه الله تعالى بما يدل على صدق مريم، وطهارتها، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أي: قال عيسى في رده على المنكرين على أمه إتيانها به: إني عَبدُ الله الخالق العظيم ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: سبق في قضائه إتياني الكتاب، أي: الإنجيل أو التوراة أو مجموعهما.

---

(١) «تفسير الألوسي» (جـ ١٦) (ص٨٨).

وعبر في هذه الجملة ،وفـيما بعدها بالفعل الماضي عما سيـقع في المستقبل تنزيلاً لتـحقق الوقوع منـزلة الوقوع الفعـلي، وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادته وحده، ﴿وَجَعَلَنِي﴾ أيضًا بجانب نبوتي ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير والبركة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: حيثما كنتُ، حَلَّت بركتي، (فـأينما) شرطية وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أي: بالمحافظة عـلى أدائها ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ في هذه الدنيا، وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أي: وجعلني كذلك مطيـعًا لوالدتي، وبارًا بها، ومحسنًـا إليها، ﴿ولم يجعلني﴾ سبحانه فـضلاً منه وكرمًا ﴿جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: ولم يجعلني مـغرورًا مرتكـبًا للمعـاصي والموبقات، ﴿والسلام﴾: والأمان منه تعالى ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ مفارقًا هذه الدنيا، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة[(١)].

بركات عيسى عليه السلام

قال الألوسي فـي قولـه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: المراد بها: نفـاعـًا، ومن نَفْعِـهِ إبراءُ الأكمه والأبرص ـ قال مجاهد ـ، ومـعلِّم الخير آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ـ قال سفيان ـ، قاضيًا للحوائج ـ قاله الضحاك ـ، والأول أولى لعمومه[(٢)].

وقال الرازي: ذكر المفسرون في تفسير المبارك وجوهًا:

أحدهما ـ أن البركة في اللغـة هي الثبات، وأصله من بروك البعيـر، فمعناه جعلني ثابتًا على دين الله، مستقرًا عليه.

---

(١) «القصة في القرآن الكريم» محمد سيد طنطاوي (جـ٢) (ص١٣٥-١٣٦).
(٢) «تفسير الألوسي» (جـ ٦) (ص٨٩).

ثانيهما - أنه إنما كان مباركًا، لأنه كان يُعلِّم الناسَ دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق، فإن ضلُّوا فمن قِبَلِ أنفسهم لا من قبله.

ثالثًا - البركة: الزيادة والعلو، فكأنه قال: جعلني في جميع الأحوال غالبًا مفلحًا منجحًا، لأني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعليًا بالحجة، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء.

رابعًا - مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

أما قوله: ﴿أينما كنت﴾: فهو يدل على أن حاله لم يتغيَّر، كما قيل إنه عاد إلى حال الصغر، وزوال التكليف[٣].

معجزات عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠).

والمعنى: يذكر الله تعالى ما امتنَّ به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات، وخوارق العادات، فقال تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾: أي: في خَلْقي إيَّاك من أمٍ بلا ذكر، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء، ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾: حيث جعلتك لها برهانًا على براءتها مما نسبه الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ

(١) الفخر الرازي (جـ ٢٢) (ص٢١٤-٢١٥).

بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: وهو جبريل ﷺ، وجعلتك نبيًا داعيًا إلى الله في صغرك وكبرك، فأنطقتك في المهد صغيرًا، فشهدتَ ببراءة أُمِّك من كل عيب، واعترفتَ لي بالعبودية وأخبرتَ عن رسالتي إياك، ودعوت إلى عبادتي، ولهذا قال: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي: تُصوِّره وتشكِّله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك، فتنفخ فيها، فتكون طيرًا بإذني، أي: تنفخ في تلك الصورة التي شكَّلتها بإذني لك في ذلك، فتكون طيرًا ذا روح تطير بإذن الله وخلقه.

قال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ أي: تبرئ، تشفي ﴿الأَكْمَهَ﴾: هو الذي يولد أعمى، ﴿وَالأَبْرَصَ﴾: هو الذي يكون في جلده بياض، مشوب بحمرة، وهو مرض من الأمراض المنفِّرة التي عجز الأطباء عن شفائها.

المعنى: أن عيسى ﷺ قال لقومه: إني أشفي وأُعيد الأبصار إلى من وُلِدَ أعمى، وأُعيد الشفاء إلى من أُصيب بمرض البرص، وأُعيد الحياة إلي من مات، ولا أفعل كل ذلك بقدرتي وعلمي، وإنما أفعله بإذن الله، وبإرداته وأمره.

وخَصَّ إبراء الأكمه والأبرص بالذكر، لأنهما مرضان عضالان لم يصل الطب إلى طريق الشفاء منهما، فإذا أجرى الله تعالى على يد عيسى الشفاء منهما، كان ذلك دليلاً على أن من وراء الأسباب والمسببات خالقًا لا يُعجزهُ شيءٌ والأسباب ليست مؤثِّرة بذاتها في الإيجاد والعدم، وإنما المؤثر هو الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران:٤٩)، أي: لأن مما لاشك فيه إحياء الموتى حادث عظيم، يدل دلالة قاطعة على أن الأسباب العادية ليست هي المؤثرة، وإنما الخالق المكون هو المؤثر، وأن الأشياء خُلقت بإرادة الله المختار، وقدرة الله المبدع لهذا الكون سبحانه وتعالى، وقيَّد ما يقوم به من إبراء

وإحيــاء بأنه بإذن الله، للتنبيه علــى أن ما يفعله من خــوارق، إنما هو بأمر الله وتيسيره وإرداته[١].

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾:

وقوله تـعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾: من الإنبـاء، وهو الإخـبـار بالخـبـر العظيم، ﴿تَدَّخِرُونَ﴾: من الإدخار، وهو إعـداد الشيء لوقت الحاجة إليه، يُقـال: دخرته وادَّخرته، إذا أعددتـه للعقبى، أي: وذلك أنه لما أحيـا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى، وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا، وما ندَّخـر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان، أنت أكلتَ كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وادخرت كذا وكذا، فذلك قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾، ولاشك أن إخبار عـيسى عليه السلام لقومه بالشيء الذي يأكلونه، وبالشيء الذي يدخرونه، يدل على صِدْقِه، لأن هذا الإخـبار الغيبي بما لم يُعايِنْه دليل على أن الله قد أعطاه علم ما أخبر به.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: واذكر نعـمتي عليك في كـفِّي إياهم عنك، حين جئـتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، وكذَّبوك واتهموك بأنك ساحـر وسعوا في قتلك وصلبك، فنـجَّيتُك منهم، ورفعـتُك إليَّ وطهَّرتُك من دَنَسِهِم، وكـفيتُك شـرَّهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان كـان من الله إليه بعد رفعه إلى السـماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعًا يوم القيـامة، وعبر عنه بصيغة الماضي، ودلالة على وقوعه لا محالة، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمدًا ﷺ، فهذه هي البركات التي منحها الله للمسيح عليه السلام.



(١) «القصص في القرآن» (جـ ٢) (ص١٥٤).

الفصل الرابع

الإيمان أساس البركات

أوَّل شرطٍ من شروط حصول البركة هو الإيمان بالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

أصل الإيمان: هو التصديق كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ (يوسف:١٧)، وقد بين النبي ﷺ في الحديث الصحيح عندما سُئِلَ عن الإيمان، فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره**»[١].

والمعنى الشرعي لا يخرج عن المعنى اللغوي، وقد جرى أسلوب القرآن الكريم على أن الإيمان هو التصديق، إلا أنه تصديق خاص، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة:١٧٧)، وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة:٢٨٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء:١٣٦).

وقد ورد لفظ الإيمان في القرآن الكريم وما اشتق منه أكثر من ستمائة وثلاثين مرة، وما ذلك إلا أنه هو الأساس والركزة في العقيدة السليمة، به تقبل الأعمال.

معنى الإيمان بالله:

هو التصديق بأنه هو الواحد الفرد الصمد الذي لا تحنو الوجوه إلا له، ولا تتجه القلوب بالعبادة إلا إليه، فإذا رسخ هذا الإيمان في النفوس، ارتفع بصاحبه

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

إلى مكانة كريمة، ومنزلة عالية، وهي التي أرادها الله تعالى لبني آدم، وصانها عن الذلة والاستكانة، وأعطاها نبراس الهداية والسداد، وفي كل نواحي الحياة.

ومعنى الإيمان بالملائكة:

هو التصديق بأن لله ملائكة خلقهم الله لعبادته، وفطرهم على طاعته، ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٧)، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

وفي الحديث: **«أَطَّتْ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ما فيها موضع قدم، إلا وفيه ملكٌ راكع أو ملكٌ ساجد، أو ملكٌ قائم، يُسبِّح بحمد الله إلى أن تقوم القيامة ..»** إلخ.

الملائكة: أجسام لطيفة نورانية، قادرون على التشكُّل في صور حسنة مختلفة.

قال العلماء: ووجه دخول التصديق بهم حقيقة الإيمان، إن الله وسَّطَهُم في إبلاغ وَحْيه لأنبيائه، وبين ذلك في كتابه، ويتحدث الصادق المصدوق ﷺ عنهم في كثير من أحاديثه، فمن لم يؤمن بالملائكة على هذا الوجه الذي جاءت به الشريعة، فقد أنكر الوحي، إذ الإيمان بهم أصل الإيمان بالوحْي، فيلزم من إنكارهم فيلزم من إنكارهم إنكار الوحي، وهو يستلزم إنكار النُّبوة وإنكار الدار الآخرة[1].

معنى الإيمان بالكتب:

أن يُصدِّق الإنسان بجميع الكتب المنزَّلة من عند الله، وهو التوراة والإنجيل والفرقان، وكذلك الصحف التي أُنزلت على إبراهيم وعلى موسى قبل التوراة، والصحف التي أُنزلت على إدريس، صلوت الله عليهم أجمعين، وعلى الإنسان

(١) «تفسير الوسيط» محمد سيد طنطاوي (جـ ١) (ص ٤٧٠).

أن يؤمن بالقرآن خاصة، وأنه هو المهيمن على ما سبقه من الكتب، وأن القرآن هو آخر الكتب السماوية، وأنه غير منسوخ بكتابٍ بعده إلى يوم القيامة.

معنى الإيمان بالرسل:

هو التصديق بأن لله تعالى رجالاً اصطفاهم لتلقِّي هدايته وكتبه، وتبليغها للناس بصدقٍ وأمانةٍ وسلامة بصيرة.

والرسل الذين يجب الإيمان بهم: كل من ثبتت نبوته عن طريق القرآن الكريم أو الحديث، وكل من أنكر نبوة نبي قد ثبتت نبوته، فقد خرج عن طريق الإيمان، ولقد ثبت بالحجَّة القاطعة والبرهان الساطع على أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، ورحمة الله للعالمين، فمن قال غير ذلك ضَلَّ.

معنى الإيمان باليوم الآخر:

هو التصديق بالبعث وما يقع بعده من حساب وثواب وعقاب على الوجه الذي وصفته الشريعة بأجلى النصوص، وهو أحد أركان الإيمان في الإسلام، والكفر به أو بأحد أركان الإيمان، كفرٌ مُخلَّد صاحبُه في النار، ولا يغني العبدَ الإيمانُ بالله، إذا كفر باليوم الآخر، وجاء الإيمان باليوم الآخر مقابل للحياة الدنيا في مواضع كثيرة، باعتبار أن الإنسان مخير بين الحياتين في ابتلائه، فإما أن يُضحِّي بالآخرة، وإما أن يسعى لآخرته، ولو يضحي بحياته وماله، وعمره في الدنيا، ليسعد ويعز في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧)، وقال أيضًا عنهم: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٣٣)، أما المؤمنون فقد قال عنهم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس:٦٤)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٧)، وقال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ② أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة: ١-٤)،

وفي أول خطبة للنبي ﷺ لأهل مكة، أعلن عليهم فيها رسالته قال: **«والله لتموتُنَّ كما تنامون، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسُّوء سوءاً، وإنها لجنةٌ أبداً أو لنارٌ أبدا ..»** إلخ[(١)] .

معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

فهو أن يصدق الإنسان بكل ما قضاه الله، وقدَّره عليه أزلاً، من خير أو شر، فلا يضجر ولا يسخط لِضُرٍّ أَصَابَه، ولا يبطر ولا يكفر بنعمة أعطيها، بل يعلم أن الخير وغيره بيد الله ـ جَلَّ جلاله ـ فإذا صدق المؤمن بذلك، ارتاحت نفسه، وهدأ باله، وقوى إيمانه.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ (الحديد: ٢٢).

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا في جنازة، في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكتب بمخصرته ثم قال: **«ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة»**، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فقال: **«من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة»**، فقال:

---

(١) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه.

«اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الليل: ٥-٧)[١].

* عن الأعمش قال: سمعتُ زيد بن وهب عن عبد الله: قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم يُجمع خَلقُه في بطن أُمِّه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثلَ ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعثُ إليه الملك فينفخ فيه الروح، ثم يُؤمر بأربع: يكتب رزقه وعمله وأجله، وشقيٌّ هو أم سعيدٌ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها»**[٢].

وعلينا أن نربأ بأنفسنا عن الخوض في هذا الموضوع الشائك، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر، فكأنما يُفقأ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان من الغضب، فقال لهم: **«ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، لهذا هلك من كان قبلكم»**، قال: فما غَبطْتُ نفسي بمجلسٍ فيه رسول الله ﷺ ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده[٣].

فمن حَصَّل هذا التصديق بما ذكرنا كان جديرًا أن يسمى مؤمنًا، وقد اعتبر هذا الإيمان منجيًا من الخلود في النار.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وكذب بالحسنى﴾، برقم (٤٩٤٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، برقم (٢٦٤٧).

(٢) متفق عليه، رواه مسلم والبخاري.

(٣) رواه أحمد في «مسنده».

علاقة الإيمان بالعمل الصالح

لا يُذكر الإيمان في القرآن إلا مقرونًا بالعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (هود: ٢٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف: ٣٠).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف: ١٠٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس: ٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

قال تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٩).

وإذن فمقتضى عطف العمل الصالح على الإيمان أنه غير كاف في النجاة من دخول النار، وإنه كاف في النجاة من الخلود، وليس للعمل بدون الإيمان قيمة أيُّها المحبطون لقيمة العمل، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣)، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، **هذا كتاب الله أصدق شاهد بيننا.**

ولو تأمل المنصفون قليلاً لعلموا أن الله تعالى غاير بين الإيمان والعمل، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس: ٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ (الكهف: ٨٨).

والنصوص الشرعية في هذا المعنى كثيرة، ولقد أبان الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن محل الإيمان القلب، فقال: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وهل بعد أن فسر رسول الله ﷺ الإيمان حين سُئِلَ عنه في الحديث الصحيح قائلاً: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»**، يكون هناك مجال للخلاف في أن الإيمان هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ، وأن الإيمان قول وعمل، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، قال ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه دخل الجنة»**، في رواية قالوا: وما إخلاصها يا رسول الله؟، قال: **«أن تحجزك عن محارم الله»**، فاعلم أن النطق بالشهادتين فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية لمن هو قادر عليه، وأئمة السلف وأهل السُّنَّة قالوا: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتِّباع سنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب.

وقال الإمام ابن تيمية: من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أراد ما كان مشروعًا مع الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: هو قول سهل بن عبد الله التستري حين سُئل عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملا بلا نية، فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية وبلا سنة، فهو بدعة.

التقوى

الشرط الثاني لحصول البركة هي التقوى:

فقال الراغب: التقوى من الوقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

وقال الشيخ ابن عثيمين: معنى التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه.

وتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك، بفعل طاعته، واجتناب معاصيه.

وقيل تعريف التقوى في الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات.

التقوى في القرآن

تطلق التقوى في القرآن على ثلاثة أشياء:

أحدها - بمعنى الخشية والهيبة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١).

والثاني - بمعنى: الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «أطيعوا الله حق طاعته»، وكما يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

الثالث - بمعنى: تنزيه القلب عن الذنوب وهذه حقيقة التقوى، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥٢).

قال ابن عباس ﵄: المتقون: الذين يحذرون من الله، وعقوبته.

وقال طَلَقُ بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، فاحرص على تقوى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فهو سبحانه أهلٌ أن يُخْشَى. ويُجَلُّ ويُعظَّم في صدرك.

وقال أبو الدرداء في تعريف التقوى: تمام التقوى، أن يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا، ليكون حجابًا بينه وبين الحرام، فإن الله قد بيَّن للعباد الذي يصيرهم إليه، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، فلا تحقرن شيئًا من الخير أن تفعله، ولا شيئًا من الشر أن تتقيه.

حقيقة التقوى

هي الوصية الجامعة لحقوق الله، وحقوق العباد، فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تُقاته، والتقوى وصية الله للأوَّلين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ١٣١).

وحقيقة التقوى: أن يجعل العبد لنفسه وقاية من غضب الله تعالى باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، ومراقبته في السرِّ والعلن، والخوف من ذنوبه، والتوبة منها على الدوام، فهو سبحانه أهلٌ أن يُخْشى ويُهاب، ويُجلَّ ويُعظَّم في الصدور، فالتقوى من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، فمن قال: «لا إله إلا الله»، لزمه أن يتقي الله.

فالتقوى برهان على صحة الإيمان، وسلامة اليقين، ولهذا سمَّاها كلمة التقوى، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٦)، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ أي: أوجبها عليهم وعمل مفهومها في قلوبهم فالتزموها التزامًا تامًا بقدر طاقتهم البشرية، فنسبت إليهم هذه الكلمة عقيدة وعملاً وأخلاقًا وسلوكًا، فكانوا أحق النَّاس بها على الإطلاق، وكانوا أهلها حقًا وصدقًا.

وأهلها هم أهل الله وخاصَّته، يتولاهم بعنايته، يكْلَؤُهم بحفظه ورعايته، ويغفر لهم ذنوبهم، يتغمَّدُهم بواسع رحمته، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ولهذا أمرهم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالتقوى على أتم وجه وأبلغه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

والمعنى أي: الزموا طاعته لزومًا تامًا، ولاتقصِّروا في شيءٍ أمركم الله به، ولا تقربوا شيئًا نهاكم عنه، ولا تحوموا حول الشبهات، وازهدوا في الدنيا، وارغبوا في الآخرة، واخشوا ربكم في سركم وعلانيتكم، وكونوا قدوة لغيركم في العمل بكتاب ربكم، وسُنَّة نبيِّكم على قدر طاقتكم، وعلى قدر ما وهبكم من العلم والمعرفة، وبمقتضى ما أنزله في قلوبكم من السكينة التي تزدادون بها إيمانًا مع إيمانكم كلما تُليت عليكم آيةٌ من آيات ربكم، واستمعتم إلى كلمة وعظ وتذكير من نبيكم.

ولا يأتينكم الموت إلا على الحالة التي أنتم عليها من الإسلام الكامل، والخضوع التام لله رب العالمين.

في وصيَّته ﷺ لأبي ذر ﵁: «اتَّقِ الله حيثما كنت» أي: في عموم المواطن كلها، ومختلف الأحوال جميعها، ومع كل الناس، وفي جميع أمور دينك، وشئون دنياك، واجعلها لك صاحبًا ملازمًا، واتخذها لك سُلَّمًا ترمي



عليه إلى أعلى درجات السداد والرشاد، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتَحَصَّن بها من آفات الشيطان، ونزوات النفس، ونزغات الهوى، ووساوس الشيطان، واعتصم بها من غضب الله تعالى، وعذابه، وراقب ربك في جميع تصرفاتك، وحاسب نفسك على كل صغيرة وكبيرة حسابًا يردعها عن المعاصي، وتعلَّم أمور دينك حتى لا تقع في الخطيئة، وأنت لا تعلم أنها خطيئة، فمعنى التقوى النجاة كل النجاة، والفوز بالجنة، وعموم البركة بإذن الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وقال الإمام الفخر الرازي: اعلم أن حقيقة التقوى، وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن.

والغرض الأصلي منها أولاً - الإيمان: قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ (الفتح: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (الحجرات: ٣).

ثانيًا - التوبة: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ (الأعراف: ٩٦)، أي: تابوا.

ثالثًا - الطاعة: قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢).

رابعًا - ترك المعصية: قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، أي فلا يعصوه.

خامسًا - الإخلاص: قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، أي: من إخلاص القلوب، قال الألوسي: التقوى على ثلاث مراتب:

أولها ـ التوقِّي عن الشرك.

وثانيها ـ التجنُّب عن الكبائر، ومنها الإصرار على الصغائر.

وثالثها ـ ما أشار إليه الترمذي في الحديث قال رسول الله ﷺ: **«لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس»**.

وقد وصف عليٌّ رضي الله عنه المتقين بقوله: هم أهل الفضائل منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشربهم التواضع، غضوا أبصارهم عن ما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون.

ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعلمًا في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة، وتجمُّلاً في فاقة، وصبرًا في شِدَّة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرجًا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وَجَلٍ، يُمسي وهمُّه الشكر، ويُصبِح وهمُّه الذكر، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، هذه صفات المتقين ليعرض كل إنسان نفسه على هذه الأقوال، وينظر أين هو منها؟.

فإن وجد نفسه مُتَّصِفًا بهذه الصفات، فليحمد الله، وليسأل الله دوامَ التوفيق، وإن وجد نفسه على غير ذلك فليتدارك ما فات، وليُقْلِع عن المعاصي والسيئات، ويسأل الله مخلصًا من قلبه أن يعينه على توبته، وأن يوفقه إلى تقواه، فإنه ولي ذلك سبحانه وتعالى وحده.

نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق.

فوائد التقوى في الدنيا:

١- إن التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

٢- أن التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

٣- أن التقوى سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

٤- أن التقوى سبب للخروج من المآزق وحصول الرزق والسِّعَة للمُتَّقي من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

٥- أن التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر، وكيد الكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

٦- أن التقوى سبب لنيل الولاية، فأولياء الله هم المتقون، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية: ١٩).

٧- أن التقوى سبب لعدم العدوان وإيذاء عباد الله، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

٨- أن التقوى سبب لتعظيم شعائر الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

٩- أنها سبب لصلاح الأعمال، وقبولها: ومغفرة الذنوب، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

١٠ ـ أنها سبب لنيل العلم وتحصيله، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

١١ ـ أنها سبب لحصول الهداية، قال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١-٢).

١٢ ـ أن التقوى سبب لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

١٣ ـ أنها سبب لحصول البشرى في الحياة الدنيا، بمحبة الناس لهم، والثناء عليهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٣-٦٤).

١٤ ـ أنها سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ والضلال، بعد أن مَنَّ اللهُ عليه بالهداية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

١٥ ـ أن العاقبة تكون لهم، قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه: ١٣٢)، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩).

أثر الإيمان والتقوى في حياة الناس:

قال صاحب الظلال: إن العقيدة الإيمانية في الله وتقواه، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة، وعن خط تاريخ الإنسان، إن الإيمان بالله وتقواه، ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض، وعدًا من الله ومن أوفى بعهده من الله.

ونحن المؤمنين بالله نتلقَّى هذا الوعد بقلب المؤمن، فنصدِّقه ابتداء، لا نسأل عن عِلَلِهِ وأسبابه، ولا نترددُ لحظة في توقع مدلوله، نحن نؤمن بالله

ـ بالغيب ـ، ونصدق بوعده بمقتضى هذا الإيمان، ثم ننظر إلى وعد الله نظرة التدبر، كما يأمرننا إيماننا، فنجد علته وسببه:

* أن الإيمان بالله دليل على حيوية في الفطرة، وسلامة في أجهزة الاستقبال الفطرية، وصدق في الإدراك الإنساني والحيوية في البنية البشرية، ورحابة في مجال الإحساس بحقائق الوجود، وهذه كلها من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية.

* الإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها، وهذه مؤهلات النجاح في الحياة.

* والإيمان بالله تحرر من العبودية للهوى، ومن العبودية للعبيد، وما من شك أن الإنسان المتحرر بالعبودية لله، أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة من العبيد للهوى، ولبعضهم بعضًا، وتقوى الله يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهوُّر والشطط والغرور، في دفعة الحركة ودفعة الحياة، وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج، فلا يعتدي ولا يتهور، ولا يتجاوز حدود النشاط الصالح.

وحين تسير الحياة متناسقة بين الدوافع والكوابح، عاملة في الأرض متطلعة إلى السماء، متحررة من الهوى والطغيان البشري عابدة خاشعة لله، تسير سيرة صالحة منتجة، تستحق مَدَدَ الله بعد رضاه، فلا جرم، تحُفُّها البركة، ويعمُّها الخير، ويظلها الفلاح، والمسألة من هذا الجانب مسألة واقع منظور، إلى جانب لطف الله المستور، واقع له علله وأسبابه الظاهرة إلى جانب قدر الله الغيبي الموعود.

إن الذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبدية بحتة، لا صلة لها بواقع الناس في الأرض، لا يعرفون الإيمان، ولا يعرفون الحياة، وما أجدرهم أن

ينظروا هذه الصلة قائمة يشهد بها الله سبحانه وكفى بالله شهيدًا، ويحققها النظر بأسبابها التي يعرفها الناس[١].

إن مسلمي اليوم يشكون من ضيق في الأرزاق، وضنك في العيش، وجَدْبٍ من الأرض، وقَحْطٍ من السماء، يشكون من زلازل تُدمِّر بيوتهم، وفيضانات تُخَرِّب بلادهم، وجراد يرسل عليهم فيفتك بمحاصيلهم، وأمراض لم نكن نسمع عنها من قبل، وأوجاع انتشرت بينهم، وغير ذلك من الآفات الظاهرة وغير الظاهرة مما نسمع عنه في الإذاعات، ونقرأ عنه في الصحف اليومية، إنما حدث هذا لبعدنا عن الإيمان الصحيح، وعن التقوى الصادقة، لقد آمنا بكتاب الله وسنه رسوله قولاً، ونبذناهما عملاً وسلوكًا وخلقًا، فحل بنا من صنوف البلاء ألوانًا، وما ظلمهم الله، ولكن أنفسهم يظلمون. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

فمن عصى الله في الأرض، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، وسبب الفساد فعل المحرمات وارتكاب المعاصي والآثام، فإذا تركت المعاصي كانت سببًا في حصول البركات من السماء والأرض، وكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارًا منه لهم، ومجازاة على صنيعهم لعلهم يرجعون عن المعاصي.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أن ما يقع على الناس من البلاء، إنما هو من أعمالهم السَّيئة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **اقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا معشر المهاجرين خمسُ خِصَالٍ أعوذُ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشةُ في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مَضَتْ في أسلافِهم الذين**

---

(١) «ظلال القرآن» (جـ ٢) (ص١٣٣٨-١٣٣٩).

مضوا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين وشدَّة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يُمْطَرُوا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سَلَّطَ الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا فيما انزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

* ومن هذا نرى أن السيئات أسباب للنَّكبات، وأن الصالحات أسباب النفحات ونزول البركات.

بركات الصالحين وفضائلهم

أولاً ـ ما عرفوا به من الاستقامة:

يشتهر الصالحون بأنهم مستقيمون في جميع أحوالهم فهم مطيعون لربهم تبارك وتعالى، ومطيعون لرسوله مع إيمانٍ وتقوى وإخلاصٍ لله تعالى وعملٍ صالح.

ولاشك أن من عمل بهذه الطاعات تحصَّل على بركتها وثمرتها، وهو الخير الدنيوي والأخروي.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣)، ومما يتحلى به الصالحون حسن الخلق، تلك الخصلة الحميدة التي لا تخفى آثارها الطيبة في الدنيا بين الناس، ولا يخفي ما أعده الله تعالى لأصحابها في الآخرة من الثواب الجزيل.

المنافع الحاصلة بسببهم:

الصالحون بتوفيق الله هم أهل الإيمان والتقوى والعمل الصالح، السائرون على الطريق المستقيم، المتَّبعين لهدى النبي المختار، فهؤلاء لهم بركات ومنافع دينية ودنيوية لغيرهم:

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له، والبزَّار والبيهقي والحاكم.

١ ـ الانتفاع بأعمالهم من عدة طرق:

(أ) دعوة الناس جميعًا إلى الله سبحانه وتعالى، والقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتوجيه الناس إلى الخير وإعانتهم عليه.

(ب) تعريف المؤمنين بدينهم وبأحكامه وتشريعاته وآدابه، وهذا ما يقوم به العلماء من الصالحين كما في الحديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

(جـ) الإحسان إلى الآخرين بما يستطيعون من بذل المال وغيره، والمساعدة لهم.

(د) الدعاء للناس، ولاسيَّما المؤمنين منهم، فهم يدعون للكفار بالهداية، والمؤمنين بالتوفيق والصلاح ومغفرة الذنوب وغير ذلك، ولا يخفى الأثر العظيم النافع للدعاء دنيا وآخرة، خاصة إذا صدر من الصالحين.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها، والمبارك من الناس ـ أينما كان ـ هو الذي يُنتَفَعُ به حيث حَلَّ[١].

٢ ـ حصول الخير والبركة في معايش المسلمين وأرزاقهم ونصرهم ببركة طاعة الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩).

جاء في صحيح البخاري: أن النبي ﷺ قال: «**هل تُنصَرون وتُرزقون إلا بِضُعَفَائِكُم**»[٢]، وفي رواية للنسائي: «**إنما ينصُر اللهُ هذه الأمة بضعيفها، وبدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[٣].

---

(١) «الدواء الشافي» لابن القيم (ص٥٦-٥٧).

(٢) صحيح البخاري. (٣) سنن النسائي.

ما تقرَّر في الدين من أحكام شرعية فيها رخصة وتيسير على المسلمين ببركة بعضهم.

مثال: نزول آية الرخصة في التيمم بفضل الله، ثم ببركة عائشة رضي الله عنها، وفي هذا قال أُسَيد بن الحضَير رضي الله عنه: **«ما هي بأوَّلِ بركتكم يا آل أبي بكر»**(١).

٣ - دفع الله تعالى الشرور والنِّقم والعذاب عن الناس ببركة صلاحهم ودعائهم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٧).

ويقول ﷺ: **«إن الناسَ اذا رَأَوا الظالمَ، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقابٍ منه»**(٢)، وفي رواية: **«إن الناسَ إذا رأوا المنكرَ فلم يُغيِّرُوه»**(٣)، ويفهم من هذا الحديث أن من أسباب رفع العقاب عن الناس تغيير المنكر وهو من سِمَاتِ الصالحين، ورفع العذاب عن الناس بهذه البركة، قد يشمل الكفار والعصاة إذا كانوا بين أظهر المؤمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد يدفع الله العذاب عن الكفار والفُجَّار، لئلا يصيب مَنْ بينهم مِنْ المؤمنين ممن لا يستحقُّ العذابَ، منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ (الفتح:٢٥)، إلى قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح:٢٥)، فلولا الضُّعَفَاء المؤمنين الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار، لعذَّب الله الكفار(٤).

---

(١) سنن النسائي.
(٢) أخرجه أبو داود.
(٣) رواية ابن ماجه.
(٤) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام بن تيمية (جـ ١١) (ص١١٣-١١٤).

ومنافع المسلمين عديدة، وخيرهم كثير، ونفعهم مستمر حتى بعد موتهم، كما جاء في الحديث: «**إذا ماتَ الإنسان انقطَعَ عملُه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

وكما أن الأولاد الصالحين تتعدى بركاتهم إلى آبائهم بعد موتهم، فإن الآباء الصالحين يلحق الله تعالى بهم ذرياتهم المؤمنين في منزلتهم، وإن لم يبلغوا عملهم تكرمة لآبائهم، ولتقر أعينهم بأبنائهم.

بفضل الله وكرمه وامتنانه، ثم ببركة عمل آبائهم، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ (الطور: ٢١).

الكرامات في الدنيا للصالحين

الكرامات: جمع كرامة، وتعرف بأنها أمر خارق للعادة يُظْهِرُه اللهُ على يد عبدٍ صالحٍ ومتبعٍ للسُّنة، والتصديق بكرامات أولياء الله الصالحين، وما يجريه الله تعالى على أيديهم من خوارق العادات هو من أصول أهل السنة والجماعة.

من أصول أهل السنة والجماعة:

وقد أثبت القرآن الكريم والسُّنة النبوية وقوع جملة منها، وكذا الأخبار المأثورة عن الصحابة والتابعين من بعدهم.

ومن أمثلة هذه الكرامات ما يأتي:

١ - قصة أصحاب الكهف المشهورة التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة الكهف.

---

(١) أخرجه مسلم.

وهؤلاء هم فتية مؤمنون صالحون فرُّوا بدينهم من ظلم ملكهم، ولجأوا إلى كهف في بعض الجبال، فأنامهم الله تعالى ثلاثمائة سنة، وازدادوا تسعًا، ونجاهم من ظلم الطاغوت.

٢- كرامة مريم ـ عليها السلام ـ في وجود الرزق عندها في محرابها دون أن يأتيها به بشر، كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

أي: وهذا دليل على قدرة الله سبحانه على كل شيء، وعلى رعايته لمريم، فقد رزقها سبحانه من حيث لا تحتسب، ودليل على وقوع الكرامة لأوليائه سبحانه وتعالى[١].

٣- قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فدعوا ربهم وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فانفرجت الصخرة بقدرة الله تعالى وتوفيقه.

وفي هذا دليل على مشروعية التَّوسُّل إلى الله بصالح الأعمال، كما توسَّل هؤلاء الثلاثة إلى الله بأعمالهم الصالحة التي عملوها فأنجاهم الله، ودعاء الله عند حلول الكرب والبلاء، وقد أمرنا الله بالدعاء، فمن لا يدعو الله يغضب عليه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، وهذه القصة مذكورة في الصحيحين[٢].

---

(١) «القصة في القرآن» سيد طنطاوي (جـ ٢) (ص١٢٤).

(٢) البخاري (جـ ٤) (ص١٤٦)، كتاب «الأنبياء»، و«صحيح مسلم» (جـ ٤) (ص٢٠٩٩)، كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار».

٤ - قصة السحابة المأمورة بسُقيا حديقة رجل صالح[1]، وفي سماع الرجل لصوت في السحابة، يذكر هذا الرجل باسمه دليل على أن أهل الصلاح والتقى يعرفون بأسمائهم في الملأ الأعلى، وأن الله تعالى يشغل ملائكته بالصالحين من عباده، يهتمون بأمورهم ويدعون الله لهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: ٧)، فالبركة حاصلة بقوله ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مال**»[2]، فالنقص الحاصل بسبب الصدقة يَنْجَبِر بإحدى صورتين:

١ - إيجاد البركة في المال، ودفع المضرَّات عنه، فيُجْبَرُ النقصُ الظاهر بالبركة الخفية.

٢ - أن الثواب المرتَّب على الصدقة في الآخرة والذي يضاعف إلى أضعاف كثيرة يُجبر أي نقصٍ في المال.

٥ - قصة عابد بني إسرائيل واسمه (جريج)، لما اتُّهِمَ بالزنا، تكلم طفل رضيع ببراءته، وفي هذا دليل على أن الله يدافع عن الذين آمنوا، فيحق الحق، ويبطل الباطل، فعباد الله الصالحون عندهم من الثبات واليقين وحسن الظن بالله، ما يجعلهم يواجهون الأمور العظام بشجاعة ورباطة جأش بأن الله ناصرهم لا محالة، وأن الله يتولى الدفاع عنهم.

٦ - تكثير[2] الطعام الذي قدم في دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أضيافه، فالحاصل أن جميع الجياع أكلوا من تلك الجفنة التي أرسل بها أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، وحديث سمرة قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ بقصعةٍ فيها ثريد، فأكل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب «الزهد والرقائق» (جـ ٤) (ص٢٢٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (جـ ٢) (ص٢٦٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

وأكل القوم، فما زالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر، يأكل القوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبونه، فقال رجل: هل كانت تمد بطعام؟، قال: **«اما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تمد من السماء»**[١]، ومن الفوائد في هذه الحديث التبرك بطعام الأولياء والصلحاء وعرضه على الكبار.

٧- إضاءة عصا الرجلين من أصحاب النبي ﷺ حين خرجا من عنده في ليله مظلمة، وكما ورد في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله، وهناك الكثير مثل سماعهم أصوات الجمادات، وإظلال السحب إيَّاهم، وفي وقتنا الحاضر تواترت أخبار الرواة الثقات عن حصول عدة كرامات مختلفة للمجاهدين المؤمنين في بلاد الأفغان في حربهم ضد الشيوعية، وهذه الكرامات وغيرها مما لاريب فيه أن حصولها لأصحابها بتوفيق الله تعالى وبفضله ومَنِّه، ثم ببركة إيمانهم بالله تبارك وتعالى وصلاحهم وتقواهم، فقد أثنى الله تعالى على الصالحين من عباده وعلى أعمالهم الصالحة المباركة، وأن الصالحين يتفاضلون في المنزلة فليسوا على مرتبة واحدة، فأفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فالصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين، وهؤلاء أفضل من أتباعهم، وهؤلاء أفضل ممن بعدهم، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، ثم بقية الخلفاء الراشدين، وهكذا، وعلى أي حال، فإن المؤمن الصالح كلما ازداد إيمانًا واتِّباعًا وصلاحًا وعلت مرتبته، وعَظُمت بركته[٢].

---

(١) «فتح الباري».

(٢) كتاب «التبرك وأنواعه وأحكامه» ناصر عبد الرحمن.

وقال الإمام ابن تيمية: فعلى كل مؤمنٍ أن لا يتكلَّم في شيءٍ من الدين إلا اتِّباعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قاله، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعلمه تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس دينًا غير ما جاء به رسولُ الله ﷺ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه، نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلَّم، وبه يتكلَّم، وفيه ينظر ويتفكَّر، وبه يستدل، فهذا أصلُ أهل السُّنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن، ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول، بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السُّنة توافقه، وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضًا أو حرَّفوها تأويلاً[1].

نسأل الله أن يلهمنا الرشد والصواب في اتباع كتابه والسير على نهج نبيه ﷺ.

ترك الصحابة التبرك فيما بينهم

لم يثبت حصول هذا النوع من التبرُّك بالدليل القاطع من جهة الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم، وهم أفضل القرون، وإنما حصلت بركات من أشخاصهم بدعائهم وبصلاحهم، وقوة إيمانهم كما تحدثنا من قبل.

إن السبب في ترك الصحابة رضي الله عنهم التبرُّك فيما بينهم مع بعضهم هو اعتقادهم اختصاص الرسول ﷺ بالتبرك به دون سواه، ما عدا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد اختصَّ الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين بخصائص

---

(١) «الفرقان بين الحق والباطل» شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٤).

شريفة، لا توجد في غيرهم، ومنها وجود البركة في ذواتهم، وآثارهم تشريفًا لهم، وتكريمًا لهم.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هم أفضل الناس، وقد اصطفى الله أنبياءه، واجتباهم واختارهم من بين سائر البشر، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٦٨)، ومع عظم فضل هؤلاء - أي الصحابة - ورِفْعة قدرهم، إلا أن مرتبتهم دون مرتبة الأنبياء والمرسلين، لا يمكن أن يبلغوا درجتهم في الفضل والثواب والتكريم.

ومع التصديق بكرامات الأولياء وما يُجْرِي الله على أيديهم من خوارق العادات والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر فرق الأمة وهو موجودة في الأمة إلى يوم القيامة[1].

إن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا، فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم، وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات، هذا ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة إلى يوم القيامة والمشاهدة أكبر دليل.

وقال الإمام ابن رجب - رحمه الله - في معرض سياقه للنهي عن المبالغة في تعظيم الأولياء والصالحين وتنزيلهم منزلة الأنبياء: وكذلك التبرك بالآثار، فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم، ولا يفعله التابعون مع الصحابة مع عُلُو قدْرِهم، فدلَّ على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوَضُوئِه، وفضلاته، وشَعْرِه، وشرب فضل شرابه وطعامه ﷺ.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لابن تيمية (ص١٢٤-١٢٥).

حكم قياس الصالحين على النبي ﷺ

١ ـ مما سبق يتبين أن ما رآه العلماء من قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرك بذواتهم وآثارهم غير صحيح.

(أ) فإن إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي ﷺ، مع وجود مقتضياته، يدل على أن هذا من خصائصه ﷺ، حيث إن الله تعالى اختصَّ نبيَّه بجعل بركاته في ذاته وآثاره، تكريمًا وتشريفًا لصفوة خلقه ﷺ، ولو كان ذلك الفعل مشروعًا لسارعوا إلى فعله، ولم يجمعوا على تركه، وهم أحرص الناس على فعل الخير.

(ب) ومما يؤكد اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك أن التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ قد ساروا على نهج الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب، فلم ينقل عنهم، وقوع هذا التبرك مع الصحابة رضي الله عنهم، كما سبق، ولا فعله التابعون مع فضلائهم وقادتهم في العلم والدين، وهكذا مَن بعدهم من أئمة الدين[1].

(جـ) ومما يؤكد الاختصاص أيضًا أنه لم يرد دليل شرعي على أن غير النبي ﷺ مثله في التبرك بأجزاء ذاته وآثاره، فهو خاصٌّ به كغيره من خصائصه.

(د) ولاشك أن اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك يدل على عدم جواز قياس الصالحين عليه ﷺ بجامع الفضل، وأن هذا الأمر قاصِرٌ عليه ﷺ لا يتعدَّاه إلى غيره.

---

(١) كتاب «فتح المجيد» (ص١٠٦).

فقد أجمع العلماء على أنه إذا ثبتت الخصوصية في حق النبي ﷺ، فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه، إذ لو كان حُكْمُه حكم غيره لما كان للاختصاص معنى[١].

٢ـ لا يجوز قياس الصالحين وغيرهم على النبي ﷺ في جواز هذا التبرك سدًا للذريعة.

ولاريب أن سد الذرائع قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الإسلامية، فمن وجوه موانع القياس هنا سد الذرائع، خوفًا من أن يُفضي ذلك إلى الغلو فيمن يُتبرَّك به من الصالحين.

ويقول الشاطبي ـ رحمه الله ـ: لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة، حتى يُداخلها للمتبرَّك به تعظيم يخرُج عن الحد، فربما اعتقد في المتبرَّك ما ليس منه[٢].

وقد يؤدي هذا التبرُّك بسبب الغُلُو والتعظيم إلى حَدِّ الشرك فيكون ذريعة إليه كما قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ حينما تكلم عن المنع من هذا التبرك ونحوه: وفي الجملة، فهذه الأشياء فتنة للمعظِّم والمعظَّم، لما يخشى عليه من الغلو المدخِل في البدعة وربما يترقَّى إلى نوعٍ من الشرك[٣].

فإن فعل هذا التبرك مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، وتزكية النفس، وكل هذا من محرمات أفعال القلوب إلى غير ذلك من المفاسد الأخرى المترتبة على هذا التبرك، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

---

(١) من كتاب «أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام»، لعمر سليمان الأشقر.
(٢) «الاعتصام» للشاطبي (جـ ٢) (ص٩).
(٣) من كتاب «الحكم الجديرة بالإذاعة» لابن رجب (ص٥٥).

التبرك بآثار الصالحين غيـر جائز، وإنما يجوز ذلك بالنبي ﷺ، خاصة لما جعل الله في جسده وما ماسَّه من البركة، وأما غيره فلا يُقاس عليه لوجهين:

أحدهما ـ أن الصحابة ﷺ لم يفعلوا ذلـك مع غير النبي ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

الثاني ـ سدًا ذريعة الشرك، لأن جواز التبرك بأثار الصالحين يفضي إلي الغلو فيهم، وعبادتهم من دون الله، فوجب المنع من ذلك.

التبرك بمجالسة الصالحين

مما لاريب فيـه أن مجالسة الصالحين ـ أهـل الإيمان والتقوى والطاعة ـ فـيها الخير والبركة والنفع الشيء العظيم:

أحدها ـ الانتفاع بعلمهم:

من أَجَلِّ صـفات العلمـاء الصالحين تعليم غـيرهم، لذا فـإن من جالسـهم واجتـمع بهم سيتـحصل على العلم النافع، والمسلم بحـاجة إلى معـرفة أحكام دينه، حتى يعبد ربه على بصيرة ولن يتحصَّل على ذلك إلا عن طريق العلماء.

ويكفي في شرفه: أن فـضل أهله على العباد كفضل القـمر ليلة البدر على سائر الـكواكب، وأن الملائكة لتضعُ لهم أجنحـتهـا، وتظلهم بها، وأن الـعالم يستغـفر له من في السموات ومن في الأرض، حـتى الحيتان في البـحر، وحتى النملة في جـحـرها، وأن الله ومـلائكتـه يصلون على مُـعَلِّمي الناس الخـيـر، وللحصول على العلم النافع وأهله، وهو الشـرعي، وللحصول على بركة العلم الدينيـة والدنيوية لابـد من الالتزام بآداب طلبـتـه، وهي آداب معـروفة أعـلاها إخلاص النِّية لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في طلب العلم.

الثاني - الاستماع إلى وعظهم ونصائحهم:

لا تقتصر بركة الصالحين على التعريف بالدين وتعليم أحكامه لغيرهم، وإنما يُنتفَعُ بوعظهم ونصحهم لغيرهم، فمن صحب الصالحين وخالطهم، أو جاورهم سينتفع بنصائحهم في الترغيب في طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والتحذير من الوقوع في المعاصي والأضرار والإرشاد إلى الآداب الحسنة، ومكارم الأخلاق والإعانة على فعل الخير، والتذكير بما أعدَّه الله تعالى في الجنة لأوليائه، وما توعَّد به في النار لأعدائه، والذكرى تنفع المؤمنين.

ويقول الإمام ابن القيم: من بركة الرجل أن يكون معلِّمًا للخير، داعيًا إلى الله مذكِّرًا به، مرغِّبًا في طاعته، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ومُحقَت بركة لقائه والاجتماع به.

الثالث - الانتفاع بدعائهم:

من منافع وبركات الصالحين على أنفسهم وعلى غيرهم دعاء الله تبارك وتعالى وسؤاله من خيري الدنيا والآخرة.

والدعاء شأنه عظيم، وهو نوع من أنواع العبادة لله - عَزَّ وَجَلَّ - يحتاج إليه المسلم في سائر أحواله في الرخاء والشِّدَّة، وقد تكفَّل الله تعالى بإجابة من دعاه وللدعاء آداب ولإجابته أسباب، والمقصود هنا: أن دعاء الصالحين المتَّقين له ثمرات نافعة، وآثار طيبة في الدنيا والآخرة لأنفسهم ولغيرهم من إخوانهم المؤمنين، ويمكن حصول البركة من دعاء هؤلاء الصالحين، فما يخلو مجلس من مجالسهم من الدعاء لله - عَزَّ وَجَلَّ - بالخير والصلاح والتوفيق، والمغفرة والرحمة لمن حضر تلك المجالس، ولإخوانهم المسلمين، ويمكن حصول البركة من دعاء الصالحين لهم من طريق طلب الدعاء من أحدهم، خاصة عند وقوع المسلم في ضيقٍ أو مرضٍ أو مصيبةٍ، فيطلب منه أن يدعو ربه ليفرج عنه.

رابعًا - مجالس الذكر ومجالسة الصالحين:

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيَّارة .. إلخ**»[١].

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: في الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى عليهم إكرامًا لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر[٢].

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: جعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، وإنما عادت عليه بركتهم، فصار كواحدٍ منهم[٣].

ولذا كان الصحابة ﷺ يحرصون على إقامتها، وقد ثبت أن معاذ بن جبل ﷺ كان يقول للرجل من إخوانه: «**اجلس بنا فلنؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه**»[٤].

والمراد بمجالس الذكر هي التي تشتمل على ذِكْرِ الله بأنواع الذِّكْرِ الواردة من تسبيحٍ وتكبيرٍ وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى، وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، فينبغي للعاقل ألا يفوت عليه التماس تلك البركات والمنافع عن طريق مجالسة هؤلاء الصالحين الفضلاء وملازمتهم والاستماع إلى أقوالهم الطيبة، ومشاهدة أعمالهم الصالحة، والاقتداء بهم بشرط الاتباع لسنة النبي ﷺ قولاً وفعلاً.



(١) متفق عليه.

(٢) «فتح الباري» (جـ ١١) (٢١٣).

(٣) «تحفة الذاكرين».

(٤) ابن أبي شيبة، كتاب «الإيمان».

الباب الخامس
بركة الأماكن

الفصل الأول
البركة العامة التي حبا الله بها الأرض

لقد وضع الله البركة في الأرض كلها، وذلك بأن الله جعلها صالحة لسكنى البشر عليها، ذلولاً للسير عليها، مهيئة لعمارتها والانتفاع بها، ثابتة لا تميد.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فُصِّلت: ٩-١٠).

المعنى: ينكر سبحانه وتعالى على أهل مكة كفرهم بالله سبحانه صاحب القدرة المطلقة والإرادة النافذة، مبيِّنًا لهم دلائل قدرته في الأرض، كيف خلقها؟ رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فِراشًا ومِهادًا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرُّفاتهم، وأرسَاها بالجبال، فجعلها أوتادًا تحفظها، لئلا تميد بهم، ووسَّع أكنافها ودحاها، فمدَّها، وبسطها، وطحاها، فوسَّعها من جوانبها، وأخبر سبحانه أنه خلق الأرض في يومين.

قال النسفي: تعليمًا للأناة، ولو أراد الله أن يخلقها في لحظة لفعل، ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي: نظراء وأمثالاً وشركاء وأشباها تعبدونهم من دون الله، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين، وسيدهم، ومربيهم، فلا يستحق الربوبية إلا الخالق، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت، ﴿مِن فَوْقِهَا﴾: كما هو مشاهد، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: وأكثر خيرها[1].

وقال ابن كثير: أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذار والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، قال النسفي: أي في تتمة أربعة أيام، فخلق الأرض في يومين، وإيجاد الرواسي وتقدير الأقوات في يومين آخرين، فكان مجموع أربعة أيام ﴿سَوَاءً﴾ أي: استواء، ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ أي: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خُلِقَت الأرض وما فيها؟[2].

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: والبركة كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما يحيط به الشرح والبيان نذكر منها:

فالبركة الأولى ـ الأشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية، لا يعلم تفاصيلها إلا الله تعالى.

والبركة الثانية ـ أن يتخمر الرطب فيحصل التماسك في أبدان المركبات.

والبركة الثالثة ـ اختلاف *بقاع الأرض*: فمنها أرض رخوة، وصلبة، ورملة، وسبخة، وحَرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤).

---

(١) «النسفي» (جـ ٤) (ص٨٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (جـ ٤) (ص٩٣).

البركة الرابعة ـ منافع الجبال: اختلاف ألوانها فأحمر وأبيض، وأسود، ورمادي اللون وأغبر، على ما قال: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر: ٢٧)، فمن منافع الجبال ما لا يحصيه إلا خالقها وناصبها.

وفي حديث إسلام ضمام بن ثعلبة قوله للنبي ﷺ : **«بالذي نَصَب الجبالَ، وأَودَعَ فيها المنافع، آلله أمرك بكذا وكذا»**، قال: **«اللهم نعم»**.

فمن منافع الجبال التي يحسبها الجاهل الغافل فُضلة في الأرض ولا حاجة إليها:

١ ـ **أن الثلج يسقط عليها:** فيبقى في قللها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاذه، وجعل فيها ليذوبَ أولاً فأول فيجيء منه السيول الغزيرة، وتسيل منه الأنهار والأودية، فينبت في المروج والوهاد والرُّبا ضروب النبات والفواكه والأودية التي لا يكون مثلها في السهل والرمل.

٢ ـ **ومن منافعها:** ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي بمنزلة الحصون والقلاع وهي أيضًا أكنان للناس والحيوان.

٣ ـ **ومن منافعها:** ما يُنحَتُ من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها وغيرها.

٤ ـ **ومن منافعها:** ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزبرجد والزمرد وأصناف ذلك.

٥ ـ **ومن منافعها أيضًا:** أنها تردُّ الرياح العاصفة، وتكسر حِدَّتها، فلا تدعها تصدم ما تحتها ولهذا فالساكنون تحتها في أمان من الرياح العظام المؤذية.

٦ ـ **ومن منافعها أيضًا:** أنها تردُّ عنهم السيول إذا كانت في مجاريها فتصرفها عنهم ذات اليمين وذات الشمال، ولولاها لخرَّبت السيول في مجاريها ما مرت به، فتكون لهم بمنزلة السد والسكن.

٧ - **من منافعها أنها أعلام يستدل بها في الطرقات:** فهي بمنزلة الأدلة المنصوبة المرشدة إلى الطرق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ (الشورى: ٣٢)، فالجوارى هي السُّفن، والأعلام: الجبال، وسُمِّيَ الجبلُ علمًا من العلامة والظهور[١].

البركة الخامسة - انصداعها بالنبات: قال تعالى: ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢)،

البركة السادسة - كونها خازنة للماء المُنَزَّل من السماء: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨)، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ (ق: ٩-١١)، والمقصود بالماء المبارك، أي: كثير الخير، عظيم النفع، فيه حياة كل شيء، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

البركة السابعة - العيون والأنهار العظام التي فيها: وإليها الإشارة بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ (الرعد: ٣).

وأما الأنهار: فمنها العظيمة كالنيل، وسيحون وجيحون والفرات، ومنها الصغار، وهي كثيرة، وكلها تحمل مياهًا عذبة للسقي والزراعة وسائر الفوائد[٢].

البركة الثامنة - ما فيها من المعادن والفلزات: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر: ١٩)، ثم بين بعد ذلك تمام البيان، فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

---

(١) من كتاب «تأملات ابن القيم في النفس والآفاق» (ص٢٦٦).
(٢) «تفسير الرازي» (جـ ٢) (ص١٠٤-١٠٥).

ثم تأمل فإن البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة، واستخرجوا السمك من قعر البحر، واستنزلوا الطير من أوج الهواء، ثم عجزوا عن إيجاد الذهب والفضة، والسبب فيه أنه لا فائدة من وجودها إلا الثمينة، وهذه الفائدة لا تحصل إلا عند العزة، فالقادر على إيجادها يبطل هذه الحكمة، فلذلك ضرب الله دونهما بابًا مسدودًا، إظهار لهذه الحكمة وإبقاء لهذه النعمة؛ ولذلك فإن ما لا مضرة على الخلق فيه مكنهم منه، فصاروا متمكنين من اتخاذ الشبة من النحاس والزجاج من الرمل، وإذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والعجائب اضطر في افتقار هذا التدبير، لصانع حكيم مقتدر عليهم سبحانه مثل ماخلق من ذلك، لفسد أمر العالم، واستفاض الذهب والفضة في الناس، حتى صارا كالسعف والفخار، وكانت تتعطل المصلحة التي وضعها لأجلها، وكانت كثرتهما جدًا سبب تعطيل الانتفاع بهما، فإنه لا يبقى لهما قيمة ويبطل كونهما قيمًا لنفائس الأموال والمعاملات وأرزاق المقاتلة، ولم يتسخر بعض الناس لبعض إذا يصير الكل أرباب ذهب وفضة، فلو أغنى خلقه كلهم لأفقرهم كلهم[1].

البركة التاسعة - الخبء الذي تخرجه الأرض من الحبِّ والنَّوى: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ (الأنعام: ٩٥)، وقال: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النمل: ٢٥)، ثم إن الأرض لها طبع الكرم، لأنك تدفع إليها الحبة واحدة، وهي تردها عليك سبعمائة، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ (البقرة: ٢٦١).

البركة العاشرة - حياتها بعد موتها: قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ (السجدة: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس: ٣٣).

---

(١) كتاب «تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق» (ص٢٨٢).

البركة الحادية عشر - ما عليها من الدَّواب المختلفة الألوان والصُّور والخلق: وإليه الإشارة بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (لقمان: ١٠).

البركة الثانية عشرة - ما فيها من النبات المختلف ألوانه وأنواعه ومنافعه: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: ٧)، فاختلاف ألوانها دلالة، واختلاف روائحها دلالة، فمنها قوت البشر، ومنها قوت البهائم، كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ (طه: ٥٤)، أما مطعوم البشر، فمنها: الطعام، ومنها: الإدام، ومنها الدواء، ومنها الفاكهة، ومنها: الأنواع المختلفة في الحلاوة والحموضة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠).

أيضًا: فمنها كسْوَة البشر، لأن الكسْوَة إما نباتية، وهي القطن والكتان، أو حيوانية وهي الشعر والصوف والإبريسم والجلود، وهي من الحيوانات التي بثَّها الله تعالى في الأرض، فالمطعوم من الأرض، والملبوس من الأرض، ثم قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨)، وفيه إشارة إلى منافع كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى، ثم إنه سبحانه وتعالى جعل الأرض ساترة لقبائح العبد بعد مماته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٥-٢٦)، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ (طه: ٥٥)، ثم إنه سبحانه وتعالى جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والأرض، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (الجاثية: ٣).

ثم تأمل خلق النبات وقت خروجه وإثماره ووقت نضجه، وإدراكه وإخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه على اختلاف أنواعها وأشكالها، ومقاديرها

وألوانها وطعومها وروائحها ومنافعها، وما يُراد منها، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤)، فهذا حال الجبال، وهي الحجارة الصلبة، وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته، وقد أخبر عنها فاطرها وبَارِيها أنه لو أنزل عليها كلامَه لخشعت وتصدَّعت من خشية الله، فيا عجبًا من مضغة لحم، أقسى من هذه الجبال، تسمع كلام الله يُتلى عليها، ويُذكر الرب تبارك وتعالى، فلا تَلين ولا تخشع ولا تُنيب، فليس بمستنكر على الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارًا تذيبها، إذا لم تكن بكلامه وذكره وزواجره ومواعظه، فمن لم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته، فليتمتع قليلاً، وسَيُرَدُّ إلى عالم الغيب والشهادة.

البركة الثالثة عشر - ما فيها من الأحجار المختلفة: ففي صغارها ما يَصْلُحُ للزينة، فتجعل فصوصها للخواتم، وفي كبارها ما يُتَّخَذُ للأبنية، فانظر إلى الحجر الذي يستخرج النار منه مع كثرته، وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته، ثم انظر إلى كثرة النفع بذلك الحقير، وقلة النفع بهذا الشريف.

البركة الرابعة عشرة - منافع البحار: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤)، وإذا تأملت عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها وألوانها، وما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان، فترى اللؤلؤة كيف أودعت في كن كالبيت لها وهي

الصدفة تكنها وتحفظها؟، ومنه اللؤلؤ المكنون، وهو الذي في صدفة لم تمسه الأيدي، وتأمل كيف نبت المرجان في قعره في الصخرة العماء تحت الماء على هيئة الشجر، هذا مع ما فيه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه، ثم انظر إلى عجائب السفن، وسيرها في البحر، وتشقه وتمخره قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ (الشورى: ٣٢).

ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة، لتكون مهادًا ومستقرًا للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السَّعي عليها في مآربهم والجلوس لراحتهم، والنوم لهدوئهم، والتمكُّن من أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥).

إن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يبين لنا كل يوم أن هذا كلام الله ينطق بالحق، فيه من الآيات والدلال ما يعجز الوصف عنها لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، حفظ الله كتابه من التحريف والتغيير والتبديل، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، حفظ بالحُفَّاظ، القراء، والكتاب، حفظ في الصدور وحفظ في السطور.

تبدل الزمان وتشغل الأذهان ويحيك الأعداء، ونسى الوالد اسم ولده، فحفظ القرآن الكريم كتابة، والتسجيل بالصوت والصورة، وحفظه الحفاظ من شتى بقاع الأرض، وجاء العصر الحديث عصر الفضاء والذرة والعلم والتجريب وخرجت جيوش من الأعداء العلمانيين والشيوعيين والديموقراطيين، يهللون ضاع القرآن، صعدنا القمر، فجرنا الذرة، طرنا في الهواء، غصنا تحت الماء، لم يعد هناك صمود الدين نزل في الصحراء، وهنا تتفجر آيات القرآن بالإعجاز ليحكي

لهم، صدق آيته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣)، فارتدت الحملات المسعورة إلى نحورهم مقهورين مدحورين، وآمن الناس بالإعجاز العلمي في القرآن.

فإن هذا الإعجاز للقرآن بتلك الوجوه العديدة، واستمرار ذلك إلى قيام الساعة لعلامة بارزة على بركة كتاب الله وكثرة خيراته، فاليوم بعد ما كشف الله للإنسان أشياء كثيرة من بركته في الأرض، ومن أقواتها التي يخزنها فيها على أزمان طويلة وما يكتشف فيها من الخيرات الكثيرة، فقد رأينا كيف تعاونت عناصر الهواء فكونت الماء، وكيف تعاون الماء والهواء والشمس والرياح، فكونت التربة الصالحة للزراعة، وكيف تعاون الماء والشمس والرياح، فكونت الأمطار أصل الماء العذب كله من أنهار ظاهرة وأنهار باطنة تظهر في شكل ينابيع وعيون وآبار، وهذه كلها من أسس البركة ومن أسس الأقوات، هذه هي بعض البركات العامة التي أودعها الله في الأرض كلها.

——— ✻ ———

الفصل الثاني

بركة المساجد

أولاً - المسجد الحرام

لقد اختار الله بعض الأماكن من الأرض فخصَّها ببركته وحفَّها بفضله، ومن تلك الأماكن البيت الحرام، ومكة المكرمة، وسوف أتحدث عن بركة البيت الحرام.

١ - البيت الحرام:

وهو أول بيت وُضِعَ على الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧).

. ففي هذه الآية: يرد الله على اليهود الذين طعنوا على النبي ﷺ بتحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة، فقالوا: إن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال، وذلك لأنه وضع قبل الكعبة، وهو أرض المحشر وقبلة جملة الأنبياء، وإذا كان كذلك كان تحويل القبلة منه إلى الكعبة باطلاً، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، فبين سبحانه أن الكعبة أفضل من بيت المقدس وأشرف، فكان جعلها قبلة أولى[١].

---

(١) الفخر الرازي (جـ ٨) (ص١٥١).

* **والمراد بالأوَّلِيَّة هنا قولان:**

الأول - أنه أول في الوضع وفي البناء، ورَوُوا في ذلك آثارًا ليس فيها ما يُعتمد عليه.

الثاني - أنه أول بيتٍ وَضِعَ للناس للعبادة، روى ابن المنذر، وابن أبي حاتم باسناد صحيح عن علي ﷺ في الآية قال: **«كانت البيوت قَبْلَهُ، ولكنه أولُ بيتٍ وُضِعَ لعبادة الله تعالى»**.

معنى ﴿بِبَكَّةَ﴾ قال الزجاج: يصلُح هذ الاسم أن يكون مشتقًا من البك، يقال: بَكَّ الناس بعضهم بعضًا، أي: دَفَعَ واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال:

أحدهما - لازدحام الناس بها، قال ابن عباس وغيره.

الثاني - لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تَدُقُّها، فلم يقصدها جبار إلا قَصَمَه الله[1].

الثالث - لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يُقال: بككت الرجل: أي: وضعتُ منه، ورددتُ نخوته، قاله أبو عبيد اليزيدي وقطرب، واتفقوا على أن مكة اسم لجميع البلدة، واختلفوا في بكة على أربعة أقوال:

أحدهما - أنه اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

الثاني - أنها ما حول البيت ومكة وما وراء ذلك، قاله عكرمة.

الثالث - أنها المسجد والبيت، ومكة: اسمٌ للحَرَمِ كُلِّه، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب.

الرابع - أن بكَّة هي مكة، قاله الضحاك وابن قتيبة.

---

(١) رواه عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج.

فالبيت الحرام أسبق بناءً من المسجد الأقصى، وأجمع منه للديانات السماوية وهو - أي: البيت الحرام -.

أول بيت جعل الله الحج إليه عبادة مفروضة على كل قادر على الحج، وجعل الطواف حوله عبادة، وتقبيل الحجر الأسود الذي هو ضمن بنائه عبادة ولا يوجد بيتٌ سواه في الأرض له من المزايا والخصائص ما لهذا البيت الحرام.

وبذلك ثبت كذب اليهود في دعواهم أن المسجد الأقصى أفضل من المسجد الحرام، وأن تحول الرسول ﷺ إلى الكعبة في صلاته مخالفة للأنبياء قبله، ثم مدح الله تعالى بيته بكونه ﴿مُبَارَكًا﴾ إي: كثير الخير عظيم النفع لمن حجَّه أو اعتمره أو اعتكف فيه أو طاف حوله، لأن هذا البيت وفير البركات المادية والمعنوية، ثم مدحه بأنه ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: هو بذاته مصدر هداية للعالمين، لأنه قِبلتُهم ومتعبَّدُهم وفي اسْتِقْبَالِه توجيهٌ للقلوب والعقول إلى الخير، وإلى ما يُوصِّلُهم إلى رِضَا الله وجنته، ثم مدحه بأنه ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: فيه علامات ظاهرات ودلائل واضحات، تدل على شرف منزلته وعلو مكانته.

مقام إبراهيم عليه السلام

فقد بين الله سبحانه وتعالى بعض الآيات الدالة على عظمة وشرف هذا البيت، فقال تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، فالآية تدل على عظم وشرف البيت الحرام، ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: المقام المعروف بهذا الاسم، وهو الموضع الذي يقوم فيه إبراهيم عليه السلام تجاه الكعبة لعبادة الله تعالى، ولإتمام بناء الكعبة، ومعنى أن في البيت مقام إبراهيم، أي: أنه في فنائه ومتصل به.

قال ابن كثير: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمَلَ ثلاثةَ أشواط ومشى أربعًا، حتى إذا فرغ عَمدَ إلى مقام إبراهيم، فصلَّى خلفه ركعتين ثم قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)، فَجَعَلَ المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين.

والمراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار آتاه اسماعيل بهذا الحجر ليقوم فوقه، ويناولِه الحجارة، فيضعها بيده لرفع الجدار، ثم قال: وقد كان هذا المقامُ ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب، في البقعة المستقلة هناك.

وإنما أخَّره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى ناحية المشرق حيث هو الآن، ليتمكن الطائفون من الطَّواف، ويصلي المصلون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين[١].

---

(١) ابن كثير (جـ ١) (ص ١٧٠).

ذهب ابن جرير إلى أن قوله تعالى: ﴿مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو بعض الآيات البينات التي في البيت الحرام، فقال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: الآيات البينات منهن مقام إبراهيم، وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما، فيكون الكلام مرادًا فيهن منهن، فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها، فإن قال قائل: فهذا المقام من الآيات البيِّنات فما سائر الآيات التي من أجلها قيل آيات بيِّنات، قيل: منهن مقام إبراهيم، ومنهن الحجر، ومنهن: الحطيم[١].

وقال ابن عطية: والراجح عندي أنه المقام، وأمن الداخلين، جعلا مثالاً لما في حرم الله من الآيات، وخُصَّا بالذِّكر لعظمهما، وإنها تقوم بهما الحُجَّة على الكفار، إذ هم مُدرِكون لهاتين الآيتين بحواسهم[٢].

وأما الآية الثانية التي تدل على فضل هذا البيت وشرفه فقد بينها القرآن بقوله: ﴿مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي: من التجأ إليه آمن من التعرُّض له بالأذى أو القتل.

لطيفة: وتُشرَعُ الصلاة خلف مقام إبراهيم إن أمكن مستقبلاً القبلة، بعد كل طواف ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (الكافرون: ١)، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، والحكمة في تخصيص قراءة هاتين السورتين هنا - والله أعلم - استحضار عظمة الله تعالى، وإشعار أن الطواف بالكعبة ليس عبادة لها، وإنما هو عبادة لله الأحد الصمد الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه - جَلَّ وعلا - والله أعلم.



(١) «تفسير ابن جرير» (جـ ٤) (ص١١).

(٢) «تفسير ابن عطية».

ثانيًا - بركات البيت

١ - بركات ذاتية.

٢ - بركات دينية.

٣ - بركات دنيوية.

أولاً - البركات الذاتية:

وأعني بها بركة المكان ذاته، لا بأمر خارجي، فقد حبى الله بيته الحرام من الفضل والتكريم، وأفاض عليه البركات ما لا يوجد في غيره من الأماكن والأبنية، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، فبركة البيت لم تأت من شيء خارجي، وإنما هي مُستمدَّة من الله ذي البركات العظام، والنِّعم الجسام، فقد قال قوم لا فرق بين ذات على ذات، وإنما الكل متساوون، والذي يُرجِّح بين الذات وأخرى هو ترجيح بلا مرجح، وقد أطلقوا هذا الزعم على جميع الأفعال والأزمان والأماكن.

وقد رد عليهم العلامة ابن القيم، حيث صوَّر فظاعة هذا المذهب بقوله: ويكفي تصور هذا المذهب الباطل في فساده، فإنه مذهب يقتضي أن تكون ذوات الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة، وإنما التفضيل بأمر لا يرجع إلى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا تكون لغيرها، وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مَزِيَّة البتة، وإنما هو كما يقع فيها من الأعمال الصالحة فلا مَزِيَّة لبقعة البيت والمسجد الحرام ومِنَى وعرفة، والمشاعر على أي بقعة سميتها من الأرض، وإنما التفضيل باعتبار أمر خارج عن البقعة لا يعود إليها، ولا إلى وصف قائم بها، والله سبحانه وتعالى قد ردَّ هذا القول الباطل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ (الأنعام:١٢٤)، قال الله

تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، أي: ليس كلُّ أحد أهلاً ولا صالحًا لتحمُّل رسالته، بل لها محال مخصوصة لا تليق إلا بها، ولا تصلح إلا لها، والله أعلم بهذه المحال منكم، ولو كانت الذوات متساوية، كما قال هؤلاء لم يكن في ذلك رد عليهم، فذوات ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها، ليست في غيرها ولأجلها اصطفاها الله، وهو سبحانه الذي فضَّلها بتلك الصفات وخصَّها بالاختيار فهذا خلقه، وهذا اختياره، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وأما بيان بطلان رأي يقتضي بأن مكان البيت الحرام مساوي لسائر الأمكنة، وذات الحجر الأسود مساوية لسائر حجارة الأرض، وذات رسول الله ﷺ مساوية لذات غيره، وإنما التفضيل في ذلك بأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها، وهذه الأقاويل وأمثالها من الجنايات التي جناها المتكلِّمون على الشريعة ونسبوها إليها، وهي بريئة منها، وليس معهم أكثر من اشتراك الذوات في أمر عام، مع اختلافها في صفاتها النفسيَّة، وما سوَّى الله تعالى بين ذات المسْك وذاتِ البوْل أبدًا، ولا بين ذات الماء وذات النار أبدًا، والتفاوت البيِّن بين الأمكنة الشريفة وأضدادها، والذوات الفاضلة وأضدادها أعظم من هذا التفاوت بكثير، فبين ذات موسى عليه السلام وفرعون من التفاوت أعظم مما بين المسك والرجيع، وكذلك التفاوت أيضًا بكثير، فكيف يجعل البقعتان سواء في الحقيقة والتفضيل باعتبار ما يقع هناك من العبادات والأذكار والدعوات[١].

وبعد هذا الرد المفْحِم الذي ردَّ به ابن القيم على مُنكري البركة الذاتية بشكل عام، نبين بعض تلك البركات الذاتية للبيت الحرام:

---

(١) «زاد المعاد» (ص٩-١٠).



كثرة أسمائه: وكثرة أسمائه تدل على شرف المسمى وهذه أسماء البيت:

١ ـ البيت. ٢ ـ البيت الحرام.

٣ ـ البيت العتيق. ٤ ـ الكعبة.

٥ ـ المسجد الحرام.

أولاً ـ البيت: وهي بـ (ال) التي هي للعهد والمعهود معروف وهو البيت، وقد ذُكِرَ في القرآن سبع مرات مرادًا به البيت الحرام.

ثانيًا ـ البيت الحرام: وقد ذُكِرَ في القرآن في ثلاث آيات.

ثالثًا ـ البيت العتيق: وقد ذُكِرَ في القرآن مرتين.

رابعًا ـ الكعبة: وقد ذُكِرَت في القرآن مرتين وسُمِّيت بذلك لاستدراتها وعلوها ولتربعها.

خامسًا ـ المسجد الحرام: وذَكَرَ الله تعالى المسجد الحرام في كتابه الكريم في خمسة عشر موضعًا، والمراد بالمسجد الحرام هو أنه:

احدهما ـ أنه الكعبة، لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤).

الثاني ـ الكعبة وما حولها من المسجد، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (الإسراء: ١)، على قول من رأى أن المراد به نفس المسجد وأن الإسراء بالرسول كان من الحجر.

الثالث ـ جميع مكة، لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (الفتح: ٢٧).

الرابع ـ جميع الحرم الذي يحرم صيده، ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (التوبة: ٢٨).

* ومن بركته الذاتية أن الله أضاف البيت إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦).

وفي الصحيحين عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أوَّلِ مسجدٍ وُضِعَ على الأرض؟، فقال: **«المسجد الحرام»**، قلتُ: ثم أي؟، قال: **«المسجد الأقصى»**، قلتُ: وكم بينهما؟، قال: **«أربعون عامًا، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاةُ، فَصَلِّ»**[(١)].

من فضائل المسجد الحرام:

ثانيًا - البركات الدينية:

أ - فضل الصلاة فيه:

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: **«صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام»**[(٢)].

- وفي رواية مسلم: **«أفضل من ألف صلاة»**، وروى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن الزبير ﷺ مثل هذا الحديث: **«وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا»**، أي: أن الصلاة في المسجد الحرام، أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى، عدا مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى، كما ورد ذلك صحيحًا في بعض الأحاديث.

وهل يختصُّ تضعيف الصلاة بنفس المسجد الحرام (الكعبة وما حولها)، أو يَعُمَّ جميعَ مكة من المنازل والشِّعَاب وغير ذلك، أم يعم جميع الحرم الذي يحرم صيده، في ذلك خلاف بين العلماء.

وعلى أي حال .. فإن الصلاة في المسجد المحيط بالكعبة مهما كَثُرَت صفوفه، أفضل من الصلاة في المساجد والمواضع الأخرى بمكة أو سائر الحرم

---

(١) أخرجه مسلم (جـ ١) (ص ١٧٠).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

للقرب من الكعبة، وكثرة الجماعة، وفضل الصلاة في المسجد الحرام لا يختص بالفريضة، بل يعم الفرض والنفل جميعًا على الصحيح، كما أن التضعيف يرجع إلى الثواب ولا يتعدَّاه إلى الإجزاء عن الفوائت، كما نص عليه العلماء، وهذا الثواب العظيم من أعظم البركات التي شرَّفَ الله بها هذا المسجد.

٢ ـ فضل الأعمال الصالحة فيه:

من ذلك الطواف بالبيت العتيق، وقد رُوِيَت عِدَّة أحاديث في بعض السنن، تدل على عِظَم فضل الطواف والحثِّ على الإكثار منه، والطواف من الأمور التي تَمَيَّزَ بها المسجد الحرام

* من خصائص هذا المسجد المبارك: إباحة الطواف والصلاة في كل وقت، فعن جبير بن مطعم ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلَّى أية ساعة شاء من ليل أو نهار»**[(١)] .

وقد قال بإباحة الصلاة في كل وقت جمهور الصحابة ومن بعدهم استنادًا إلى هذا الحديث، ومنهم من كره ذلك وأخذ بعموم النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر.

٣ ـ ومن مزايا المسجد الحرام شَدُّ الرِّحال إليه:

ولا يشترك معه في هذا الحكم إلا مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى ببيت المقدس، كما جاء في الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لا تُشَدُّ الرِّحَال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»**[(٢)] .

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) صحيح البخاري ومسلم

وقـال ابن القيم ـ رحـمه الله ـ عن البـلد الحرام (مكة): وليس على وجـه الأرض بقـعة يجب على كل قـادر السَّـعي إليهـا، والطوافُ بالبـيت الذي فيـه غيرها، إلى غير ذلك من فضائل وبركات المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض[١].

٤ ـ دوام العبادة فيه ولزومها:

إذ أن من معاني البركة الدوام.

٥ ـ أن الله يغفر الذنوب لمن حجَّه وطاف به واعتكف عنده:

فعن أبـي هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: **«مَن أتى هذا البيت فلم يَرفُث ولم يفسق رَجَعَ كيوم ولدته أمُّه، ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة»**[٢]، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»**[٣].

٦ ـ الحجر الأسود:

من بركات هذا الحـجر ما جاء فـي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: قال رسول الله ﷺ في الحجر: **«والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يَبصِرُ بهما، ولسانٌ ينطق به، يشهد على من استَلَمَه بحق»**[٤].

٧ ـ أن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب:

لما روى البيـهقي في سننه في باب الاستـسقاء من أبي أمامـة أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتَحُ أبوابُ السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن: عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، ورؤية الكعبة»**[٥].

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (جـ ١) (ص٤٨).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) صححه الحاكم.

إن الدعاء في حرم مكة مُستجاب، ففي الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود لما دعا النبي ﷺ على قريش شَقَّ عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في تلك البلد مستجابة.

٨ ـ المشاعر المقدسة داخل المسجد الحرام وخارجه:

مواضع مناسك الحج والمعالم التي نَدَبَ الله إليها وأمر بالقيام بها، وهي جمع مشعر ومنه سُمِّي المشعر الحرام بمزدلفة، لأنه معلم وموضع العبادة، وأما الشعائر فهي أعمال الحج ومناسكه وعلاماته، جمع شعيرة كالوقوف والطواف والسعي والرمي، ونحو ذلك، وكل ما جعل علمًا لطاعة الله يُسمَّى شعيرة.

أقوال العلماء في بركة المسجد الحرام

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦).

وقد تحدث المفسرون ـ رحمهم الله ـ المقصود ببركة هذا البيت:

فقال الطبري: لأن الطواف به مغفرة للذنوب.

وقال القرطبي: جعله مباركًا لتضاعف العمل فيه، فالبركة كثرة الخير، أي: الثواب المتضاعف.

وقال أبو السعود: جعل مباركًا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجَّه واعتمره واعتكف دونه، وطاف حوله من الثواب، وتكفير الذنوب.

وقال العلامة ابن القيم: أنه مبارك والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه، ولا أكثر، ولا أدوم، وأنفع للخلائق منه.

وقد أفاض الرازي في بيان ذلك، حيث فسر البركة في هذا البيت الحرام عن طريق معنييها، وهما: النمو والتزايد والبقاء والدوام.

فعلى المعنى الأول ـ المقصود زيادة ثواب الطاعات، كما في الصلاة بالمسجد الحرام، وأما الحج فقال ﷺ: **«مَن حجَّ البيتَ فلم يرفث ولم يفسُق رجع كيوم ولدته أُمُّه»**[1]، وفي حديث آخر: **«الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»**[2].

ومعلوم أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة، ثم أشار إلى وجه آخر ذكره أحد العلماء، وهو قوله: يجوز أن تكون بركته ما ذكر في قوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص: ٥٧)، والمقصود: كثرة الأرزاق والثمار المجلوبة للحرم فهو أيضًا كذلك، لأنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع والسجود، وأيضًا الأرض كرة، وإذا كان كذلك، فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم، وظهر لثان، وعصر لثالث، ومغرب لرابع، وعشاء لخامس، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكَّة قط عن توجه قوم إليها عن توجه قوم إليها من كل طرف من أطراف العالم، لأداء فرض الصلاة، فكان الدوام حاصلاً من هذه الجهة، وأيضًا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفًا من السنين دوام أيضًا[3].

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري ـ رحمه الله ـ: من صفات هذا البيت المبارك أنه ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾: ففيه هداية لجميع الناس باستقبال المصلين له من كل جهة في مشارق الأرض ومغاربها، إذ كل من استعمل عقله الفطري حين ينظر إلى اتجاه المصلِّين يستدل بذلك على وجود الله، وعلى صدق رسوله ﷺ، وهذه هي بعض البركات.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) رواه البخاري (جـ ٢) (ص١٩٨).

(٣) الرازي (جـ ٨) (ص١٤٨).

ثالثًا - البركات الدنيوية:

تتمثل في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ٥٧)، نجملها فيما يأتي:

١- **الأمان:** لأن البلد إذا امتدت إليه ظلال الأمن أقبل أهله على طاعة الله بقلوب مطمئنة.

٢- حنين القلوب إليه.

٣- مجيء الناس إليه من كل مكان حاملين ثمرات الأرض جميعًا، تتجمع في الحرم من كل أرض، وقد تفرقت في مواطنها ومواسمها الكثيرة.

وقد قال العلامة ابن القيم: فمن بركات البيت الأمن لداخله وفي وصفه بهذه الصفات، وإيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه، وإن شطت بالزائرين وتناءت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدلك على الاعتناء منه سبحانه بهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرفٌ إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفًا، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبًا له، وشوقًا إلى رؤيته، فهو المثابة للمُحِبِّين، يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطرًا أبدًا، كلما ازدادوا له زيادة ازدادوا له حبًا وإليه اشتياقًا، فلا الوِصَالُ يشفيهم، ولا البعاد يسلبهم[1].

---

(١) «بدائع الفوائد».

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بعد كلام تقدم عن خصائص مكة والبيت: وقد ظهر سِرُّ هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد، ولهذا أخبر الله سبحانه أنه مثابة للناس أي يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرًا، بل كلما ازدادوا له زيارة، ازدادوا له اشتياقًا، وقال: وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته[1].

قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص: ٥٧)، فالثمرات تُجبى وتُجمَع من حيث تكون وتُسَاق إلى مكة، ولا فرق في ذلك بين كونها من الطائف أو من الشام أو مصر أو الروم مثلاً، وكونها تجمع من أقطار متفرقة أظهر في صدق الآية وأدلُّ على التسخير وأعمُّ للبركة التي خصَّ بها البيت الحرام ـ والله أعلم ـ.

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (جـ ١) (ص٥١-٥٢).

ثالثًا - بركات مكة المكرمة

لقد اختار الله مكة حيث جعلها خير البلاد وأشرفها وجعلها بلد نبيِّه ومناسك لعباده وأوجب عليهم الإتيانُ إليه من القرب والبعد من كل فجٍّ عميق، فلا يدخلونها إلا متواضعين متخشعين متذلِّلين كاشفي رءوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا وجعلها حرمًا آمنًا لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا يُنَفَّر له صيد، ولا يُختلى خلاه، ولا يُلتَقَطُ لُقطته لتمليك، بل للتَّعريف ليس إلا.

ومن بركاتها كثرة أسمائها، لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وسوف نذكر الأسماء وفق ما جاء في القرآن الكريم، ومقاصد بعض الألفاظ التي وردت في بعض الآيات والتي تدل على مكة مثل: (القرية - البلد - البلدة).

١ - مكة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الفتح: ٢٥).

٢ - أمُّ القُرى: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧).

قال الضحاك - رحمه الله تعالى -: أمُّ القُرى: يعني: مكة، واختُلف في سبب تسميتها قيل لأنها أعظم القُرى، وقيل لأنها فيها بيت الله تعالى؛ ولأن أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا.

٣ - القرية: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ (النحل: ١١٢)، فالقرية هنا مكة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور، وهو الصحيح.

٤ ـ **البلد الأمين:** قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (التين: ١-٢-٣)، قال خزيمة بن ثابت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «مكة»[1]، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما[2].

٥ ـ **البلد:** قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد: ١-٢)، روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: بذلك النبي ﷺ أحل الله تعالى له يوم دخول مكة أن يقتل من يشاء، ويعفو عمن شاء.

٦ ـ **البلدة:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٩١)، البلدة هي مكة.

٧ ـ **المعاد:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، المقصود بالمعاد هنا: هو مكة، رواه البخاري عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية والضحاك، قال ابن قتيبة: معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ويضرب في الأرض، ثم يعوده إلي بلده، ومن بركات مكة أنها أحب البلاد إلي الله ورسوله ﷺ، وكيف لا تكون أحب البلاد إلى رسول الله ﷺ، وهي التي كانت مسقط رأسه، ومهد صباه، وريعان شبابه، وكمال فتوته، ونضج عقله، ومبدء نبوته.

وقد ذكر علماء السيرة أن النبي ﷺ عندما خرج مهاجرًا إلى المدينة، نظر إلى مكة وعيناه تذرفان، وقال: **«والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب البلاد إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت»**، وقد رد يوم الفتح على من قال اليوم يوم

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط».

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

الملحمة اليوم تستباح الكعبة، ويستحل الحرم، بقوله ﷺ : **«إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله تعالى قد أَذِنَ لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أَذِنَ لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهدُ الغائبَ»**[1] .

وقد توعد الله من يلحد في الحرم أو يقترف فيه إثمًا بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥)، فهذه الآية تبين فظاعة وجرم من يلحد في الحرم، والله سبحانه لا يؤاخذ أحدًا بمجرد الهم بالسيئة إلا إذا عملها إلا من يريد الإلحاد في الحرم؛ فمجرد همه وإرداته لذلك يعاقبه الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ : **«إن من أعدى الناس على الله تعالى رجلاً قتل في الحرم، ورجل قتل غير قاتله، ورجلاً أخذ بنحول الجاهلية»**[2] .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا أتيتم الغائطَ فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا»**[3] .

تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط في الصحراء لا في البنيان، وقال جمهور الأصحاب: إن العلة في ذلك كون القبلة لا تخلو من مصلٍّ من جن أو إنس.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٠٤) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده جيد، وله شواهد يصح بها.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: لا تُستقبل القبلة بغائط أو بول، برقم (١٤٤).

قال ﷺ: «لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسفِكُ بها دماً»[1]، ولكن يُضيَّق عليه ولا يُكلَّم ولا يُطْعَم ولا يُعامَل حتى يخرج فيُقْتَل أو يُستوفَى منه قصاص الطرف أو الحد إلا أن يُنشئ القتل فيه.

فمكة لا تُملك، فإنها دار النسك ومتعبد الخلق، وحرم الله تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه الباد، فهي وقف من الله على العالمين، وهم فيها سواء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥)، وهذا ولا يختص بمقام الصلاة قطعًا، بل المراد به الحرم كله، فالذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد، هو الذي توعد من صد عنه، ومن أراد الإلحاد بالظلم فيه، فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة، والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة، لا يختص بها أحد دون أحد، بل هي مشتركة بين الناس، إذ هي نسكهم ومتعبدهم، فهي مسجد من الله، وقفه ووضعه لخلقه ومذهب الجمهور من الأئمة من السلف والخلف، إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة، ولا إجارة بيوتها، وهذا مذهب مجاهد وعطاء في أهل مكة، ومالك في أهل المدينة، وأبي حنيفة في أهل العراق وسفيان الثوري والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم والأدلة كثيرة جدًا، نذكر منها عن عبد الله بن عمر قال: «نهى عن إجارة بيوت مكة وعن بيع رباعها»، وذكر عطاء قال: «نهى عن إجارة بيوت مكة»، وإنَّنا نسمع بين الحين والآخر عن شرذمة من الناس يعتدون على الحرم، فيستبيحونه، فيقتلون الأبرياء ويشيعون الفوضى ويخيفون الآمنين، ومن ذلك ما حدث في عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين ما قام به جماعة من إيران من قتلٍ في الحرم، حيث راح ضحية ذلك

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

العشرات من الأبرياء أيام الحج، وما حدث بعد ذلك من زرع لبعض قنابل في موسم الحج أيضًا، فأدى إلى قتل الأبرياء الآمنين.

إن هذه الأعمال المنكرة والأفعال الخبيثة، لا يُقِرُّها دينٌ، ولا يَرضَى عنها ذو خلقٍ كريم، بل لا يجرؤ على ذلك إلا كل معتدٍ أثيم.

تبًا لهؤلاء الذين يعتدون على الحرم، وويل لهم مما كسبت أيديهم لأن الله تعالى لا يصلح عمل المفسدين المضلين.

إن قول الله حق، ووعده صدق، فحرمُهُ آمن كما قال، وحرمه حرام كما أمر، لا تبرير لأصحاب الأهواء والتأويلات الفاسدة المفسدين في الأرض.

والله سبحانه وتعالى يعز من عَظَّم تلك الأماكن، ويبُارك فيهم، قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال هذه الأمة بخير ما عظَّموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا»**[(١)].

فضل مكة على المدينة

وقال الشيخ عز الدين: فُضِّلت مكة على المدينة من وجوه:

أحدها - وجوب قصدها للحج والعمرة، وهما واجبان لا يقع مثلهما بالمدينة.

الثاني - إن فضلت المدينة بإقامته ﷺ فيها بعد النبوة، وكانت مكة أفضل منها، لأنه أقام بها بعد النبوة ثلاث عشرة أو خمس عشرة سنة، وأقام بالمدينة عشرًا.

الثالث - إن فضلت المدينة بكثرة الطارقين من عباد الله الصالحين، فمكة أكثر طارقًا منها، لاسيما من الأنبياء والمرسلين، آدم فمن دونه الذين حجُّوها.

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عباس.

الرابع - التقبيل والاستلام ضربٌ من الاحترام وهما مختصان بالركنين (اليمانيين)، ولم يوجد مثل ذلك في المدينة.

الخامس - أن الله تعالى أوجب علينا استقبالها في الصلاة حيثما كُنَّا.

السادس - أن الله تعالى حرم استقبالها واستدبارها عند الحاجة.

السابع - أن الله تعالى حرمها يوم خلق السموات والأرض.

الثامن - أن الله تعالى بوأها لإبراهيم وابنه اسماعيل ومَوْلِدًا لسيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

التاسع - أن الله جعلها حرمًا آمنًا في الجاهلية والإسلام.

العاشر - لا يدخلها أحدٌ إلا بحجٍّ أو عمرة وجوبًا أو ندبًا.

الحادي عشر - قال فيها - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (التوبة: ٢٨).

الثاني عشر - أنه اغتسل لدخولها فهو مسنون[١].

قال ابن حزم: والمراد بمكة في قولنا: هي أفضل، الحرم كله، وما وقع فيها اسم عرفات فقط، ويليها في الفضل المدينة، يعني: حرمها، ثم بيت المقدس، يعني: المسجد الأقصى.

---

(١) «إعلام الساجد بأحكام المساجد» للزركشي (ص١٢٣-١٢٤).

بركة المدينة المنورة ومسجده ﷺ

أولاً ـ المدينة المنورة:

من الأماكن المباركة المدينة المنورة، كهف أولياء الله الصالحين، ومعقلاً وحصنًا منيعًا للمسلمين، ودار هدى العالمين، عاصمة الإسلام الكبرى، منها انبثق إلى ربوع العالم، وإليها يرجع في آخر الزمان.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الإيمان لَيَأرِزُ إلى المدينة كما تَأرِزُ الحَيَّةُ إلى جحرها»**[1].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومثوى الحلال والحرام»**[2].

والمدينة أفضل الأماكن بعد مكة المكرمة عند جمهور العلماء، إلا الإمام مالك بن أنس، فقد ذهب إلى أن المدينة أفضل من مكة، وقد أجمعوا على البقعة المباركة التي ضمت جسد المصطفى ﷺ أنها خير البقاع على الإطلاق.

وبركات المدينة كثيرة وعديدة، أَلَّفَ فيها الكثيرُ من المؤلفات والذي يهمنا أن نَسُوقَ طرفا من بركتها ليكون لنا منارًا نهتدي به من بركات المدينة.

كثرة أسمائها التي تدل على شرف المسمى:

١ ـ المدينة: وقد ذكر لفظ المدينة في القرآن ثلاث عشرة مرة، منها: أربع مرات قصد بها المدينة المنورة، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ (التوبة: ١٠١)، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط».

الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (التوبة: ١٢٠)، وقال تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨)، وقال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦٠)، والمدينة: من مدن بالمكان أقام به، أو من دان: إذا أطاع.

وهي أبيات كثيرة تجاوز حد القرى، ولم تبلغ حد الأمصار، وتطلق على أماكن كثيرة، ومع ذلك فهي علم للمدينة النبوية ولا يستعمل فيها إلا المعرفة، أما النكرة اسم لكل مدينة.

٢ - أرض الله: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، فالمقصود بأرض الله في الآية الكريمة هي المدينة، وهذه الإضافة فيها من مزيد التعظيم ما لا يخفى[1].

٣ - الدار والإيمان: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر: ٩)، ففي هذه الآية مدح للأنصار الذين سكنوا المدينة.

فالتبوُّؤ: النزول في المكان ومنه المباءة للمنزل فيه الإنسان.

والمراد بالدار: المدينة المنورة و (ال) للعهد، أي: الدار المعهودة المعروفة، وهي دار الهجرة، وقوله: ﴿وَالإِيمَانَ﴾ منصوب بفعل مقدر أي: وأخلصوا الإيمان.

أي: وجعلوا الإيمان مستقرًا ومتوطنًا لهم، لتمكنهم منه، واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك، أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان، فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه.

---

(١) «زاد المسير» (جـ ٢) (ص١٧٨)، والقرطبي (جـ ٣) (١٩١٦).

والمعنى العام للآيـة: الذين سكنوا دار الهجرة، وهي المدينـة المنورة من قبل المهاجرين، وأخلصوا إيمانهم وعبادتهم لله تعـالى، فإن من صفاتهم أنهم يحبون إخوانهم الذين هاجروا إليهم حبًا شديدًا، لأن الإيمان ربط بين قلوبهم.

٦ ـ طابة: فـعن جابر ﷺ قـال: سمـعت رسول الله ﷺ يقـول: **«إن الله تعالى سَمَّى المدينة طابة»**[1]، وفي رواية: **«إن الله تعالى أمرني أن أُسَمِّي المدينةَ طابة»**.

ولهـا أسماء قـريبة من هـذا المعنى مشـابهة له في اللفظ، كطيـبة بتـسكين وتشديد اليـاء، وتسميـها بهذه الأسمـاء إما من الطيب بتشـديد المثناه هو الطاهر لطهارتها من أدناس الشرك، أو لحلول الطيب بهـا ﷺ أو لكونها كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها.

قال الأشبيلي: لتـربة المدينة نفحة ليس طِيبُهَا كـما عُهِدَ من الطيب، بل هو أعجب من الأعاجيب، قال بعض أهل العلم، أو في طِيب ترابها، وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة، لا تكاد توجد في غيرها[2].

حكم إطلاق اسم «يثـرب» على المدينـة المنورة: وهي اسم من سكـنهـا أولاً، سميت به أرض المدينة كلها عند أبي عبيدة، أو هي فقط عند ابن عباس أو ناحية منها، وعلى الثالث، فإطلاقه على المدينة مع ذلك صحـيح ثابت أما وضعها لها أو من إطلاق اسم البعض على الكل أو المشتهر من باب عكسه، وورد النهي عن تسميتها بذلك.

---

(١) رواه مسلم.

(١) «سبل الهدى والرشاد» (جـ ٣) (ص٤٢٠).

* من هذه الأحـاديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ بقرية تأكُلُ القُرَى يقولون يَثْربُ وهي المدينة تَنْفِي الناسَ كما يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديد»[١].

* وعن البراء بن عـازب رضي الله عنهما أنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله، هي طَابة هي طَابة»[٢].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدعوها بيثرب، فإنها طيبة - يعني: طيبة - ومن قال: يثرب، فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة طيبة طيبة».

بركة المدينة وخصائصها

١ـ أنها فُتِحَت بالقرآن، وسائر البلاد بالسيف والسِّنان.

٢ـ طلب النبي ﷺ لزيادة البركة بها على مكة ودعاؤه بحبها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قـال رسول الله ﷺ: «اللهم حَبِّب إلينا المدينةَ كحُبِّنَا مكَّة أو أشد»[٣].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجْعَلْ بالمدينة ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بمكةَ من البركة»[٤].

* وعن أبي سـعـيـد رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين والذي نفسي بيده ما من المدينة شيء ولا شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها»[٥].

---

(١) أخرجه الشيخان.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه الشيخان وغيرهما.
(٤) رواه الشيخان.
(٥) رواه مسلم.

٣ ـ دعاء النبي ﷺ بالبركة للمدينة:

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في معنى هذه البركة: «أي من بركة الدنيا بقرينة، قوله في الحديث الآخر: **«اللهم بارك لنا في صَاعِنا ومُدِّنَا»**»، ويحتمل غير ذلك، والذي يظهر أن المراد بدعاء النبي ﷺ بعموم البركة الدينية والدنيوية، ويؤيد ذلك ما ذكرناه، وما سيأتي ذكره من فضائل المدينة وخيراتها الشاملة للدين والدنيا.

٤ ـ وجود البركة في صَاعِ أَهْلِ المدينة، ومُدِّهِم وَثَمَرِهِم لدعاء النبي ﷺ:

في (الصحيحين) من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: **«اللهم بارك لنا في صاعِنا وفي مُدِّنا»**[1]، وزاد مسلم: **«وبَارِك لهم في مكيالهم»**[2].

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﵁، قال: كان الناس إذا رأوا الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: **«اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا»**[3].

ومعنى البركة هنا: فقد نقل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ عن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ آراء العلماء في ذلك كما يأتي:

* يحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما يتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى، في الزكاة والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها.

* ويحتمل أن تكون دنيوية، من تكثير الكيل، بهذه الأكيال حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة، أو ترجع البركة إلى التصرف بها في التجارة أو تكون الزيادة فيما يُكال بها لاتِّسَاع عيشِهِم، وكثرته بعد ضيقه، لما

---

(١) «صحيح البخاري».
(٢) ومسلم (جـ ٢) (ص٩٩٤).
(٣) مسلم (جـ ٢) (ص١٠٠٠).

فتح الله عليهم بلاد الخصب كالشام والعراق، فاتسع عيشهم حتى صارت هذه البركة في الكيل نفسه، فزاد مُدُّهُم، فالدعاء بالبركة الدنيوية العامة في هذه الأشياء من الثمار والطعمات، خاصة المكِيل منها، وهي غالب أقواتهم.

٥ - فضل تمر عجوة المدينة ومنافعه:

عن سعيد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحْرٌ»**، وفي رواية مسلم: **«من أكَلَ سبعَ تمراتٍ مما بين لابتَيهَا**[١] **حين يصبح لم يضرُه سُمٌّ حتى يُمسِي»**.

وفي بعض السنن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«العجوة من الجنة، وهي شفاء من السُّم»**.

قال النووي - رحمه الله -: في هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبُّح بسبع تمرات منه، ثم قال: وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع، ولا نعلم نحن حكمتها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها، وهذا كأعداد الصلوات ونُصُب الزكاة[٢].

وقيل: كون العجوة تنفع من السُّم والسِّحْر، وإنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة ولا لخاصية فيه[٣].

هو رأي صحيح، فقد دعا النبي ﷺ للمدينة بالبركة، ولثمارها كما سبق، فلعل هذا من ثمرات دعوته عليه الصلاة والسلام، والذي يُفهَم من ذلك الخصوصية للمدينة، وأن للأرض خَوَاصًا وطبائع يقارب اختلافها طبائع الإنسان[٤].

---

(١) **اللابة**: الحرة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٤/٣).

(٣) شرح السنة للبغوي (جـ ١١) (ص٣٣٦).

(٤) «الطب النبوي» بتصريف.

٦ - حماية المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها:

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أنْقَابِ المدينة ملائكةٌ لا يدخلها الطاعونُ، ولا الدَّجَّالُ**».

قال الزركشي: وقد أظهر الله صدق رسوله ﷺ فإنه لم يُسمع من النَّقَلَةِ ولا غيرهم من يقول إنه بالمدينة طاعون عام، وذلك ببركة دعائه ﷺ.

٧ - معاقبة الله تعالى من أراد أهل المدينة بسوء:

في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يكيدُ أهلَ المدينة أحدٌ إلا انماعَ كما ينماعُ الملحُ في الماء**».

قال القرطبي: ظاهره أن الله يعاقبه بذلك في النار، ويحتمل أن يكون ذلك كناية عن إهلاكه في الدنيا عن توهين أمره، وطمس كلمته كما فعل الله بمن غزاها.

٨ - فضل سُكْنَى المدينة والبقاء بها:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يصبر على لأْوَاءِ المدينة وشدَّتها أحدٌ من أُمتي إلا كنتُ له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**»[(١)].

في هذا الحديث دلالات ظاهرة على فضل سُكْنى المدينة والصبر على شدائدها وضيق العيش فيها، وهذا الفضل باقٍ إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها**»[(٢)].

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أنه كان يقول: «**اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك واجعلْ موتي في بلد رسولك ﷺ**».

---

(١) رواه مسلم شرح النووي (جـ ٩) (ص١٣٨).

(٢) «صحيح مسلم».

٩ ـ تحريم صيدها وشجرها:

في الصحيحين عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مكةَ ودَعَا لها، وحَرَّمْتُ المدينةَ كما حَرَّمَ إبراهيمُ مكةَ»**[١].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن إبرهيم حَرَّمَ مكة، وإني حَرَّمتُ المدينةَ ما بين لابتيها**[٢] **ولا يُقطع عضاها**[٣] **ولا يُصاد صيدُها»**.

في الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما عندنا شيءٌ إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، وفيها قال النبي ﷺ : **«المدينةُ حَرَمٌ ما بين عائر إلى ثور، فمن أَحْدَثَ فيها حَدَثًا أو آوى مُحْدِثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين»**.

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) لابة: وهي الحرة الشرقية والحرة الغربية.
(٣) عضاها: كل شجر عظيم.

بركة مسجد رسول الله ﷺ

ومن الأماكن المباركة بالمدينة المنورة مسجده ﷺ، لأنه الذي بناه النبي ﷺ بنفسه مع خيرة، وهو المسجد الذي أسس على التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى، فأخذ كفا من حصى فضرب به الأرض، ثم قال: «**هو مسجدكم هذا** - لمسجد المدينة -»، وفي لفظ آخر: «**تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم**»، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال رجل: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**»[(١)].

* ومن بركة هذا المسجد: مضاعفة الأجر لمن يصلي فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام**»[(٢)].

والخيرية في الحديث في الثواب والفضل، ولا تتعداها إلى الجزاء، فمن كانت عليه صلاتان أو أكثر فصلى في مسجد المدينة صلاة واحدة، فإنها لا تجزئه عن غيرها من الصلوات المتروكة.

---

(١) رواه مسلم والترمذي، ورواه أحمد في «المسند».
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

* ومن بركات المسجد النبوي: أن من صلَّى فيه أربعين صلاة، كتبت له براءتان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من صلَّى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كتبت له براءةٌ من النار، وبراءةٌ من العذاب، وبراءةٌ من النفاق»**.

* ومن الأماكن المباركة في المسجد النبوي مكان قال فيه رسول الله ﷺ: **«ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رِيَاضِ الجنَّة، ومَنْبَرِي على حَوضِي»**[1].

قال العلماء في شرح هذا الحديث: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة، وقيل: بل العبادة فيه تؤدي إلى الجنة.

إن هذا المسجد بُنِيَ على يد سيد المرسلين والمهاجرين الأولين والأنصار المتقدمين خيار هذه الأمة، وفي ذلك من مزيد الشرف على غيره ما لا يخفى، واشتماله على بقعة هي من أفضل بقاع الأرض، وهو الموضع الذي ضَمَّ أعضاء النبي ﷺ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في بيان خلاصة أقوال العلماء في معناه: أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة، وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حِلَق الذِّكر، لاسيما في عهد ﷺ، فيكون تشبيهًا بغير أداة أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة، فيكون مجازًا، أو هو على ظاهره، والمراد أنه روضة حقيقية، بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة[2].

وعلى أي حال .. فإنه يُستَحَبُّ الحرص على الصلاة ونحوها في هذه الروضة الشريفة، بدون إيذاءٍ للآخرين أو مضايقةٍ.

---

(١) رواه الشيخان: البخاري ومسلم.
(٢) «فتح الباري» (جـ ٤) (ص ١٠٠).

وقوله ﷺ: **«ومنبري على حوضي»**، قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا، ومعنى ذلك أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يُورِدُ صاحِبَهُ الحوضَ، ويقتضي شُرْبَه منه، وقيل: إن له هناك منبرًا على حوضه(١) ـ والله أعلم ـ.

ويستحب لمن زار هذا المسجد أو كان قريبًا منه، زيارة قبر الرسول ﷺ، وَقَبْرَيْ صاحبيه أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

حكم زيارة قبره ﷺ:

وحكم زيارة قبره ﷺ فمشروعة، وهي داخلة في عموم شرعية زيارة القبور، ولا خلاف بين أهل العلم في سُنِّيَة زيارة قبره ﷺ، وليست واجبة، وأما صفة الزيارة المشروعة، فإن الزائر يبدأ بتحية المسجد النبوي، فيصلي ركعتين، ثم يأتي القبر الشريف، فيقف مستقبلاً الحجرة مُستَدْبرًا القبلة بأدب وخفض صوت، ثم يُسلِّم عليه قائلاً: السلام عليك يا رسول الله، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يزيد على ذلك، وإن زاد على ذلك يقول: السلام عليك يا رسول الله يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته ﷺ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام عليه، فهذا مما أمر الله تعالى به(٢).

ويستحب زيارة قبر الرسول لله لمن كان بالمدينة، أو لمن زار مسجده مشروع اتفاقًا.

والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه لما سُئِلَ على ذلك ـ أي: زيارة قبر النبي ﷺ ـ لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ ١) (ص١٦٢).

(٢) «مجموع الرسائل الكبرى» لابن تيمية (جـ ٢) (ص٤٠٧-٤٠٨).

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يُسَلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أَرُدَّ عليه السَّلام**»[١].

قال الإمام ابن تيمية في كتاب الزيارة، وهذا حديث جيد، قال: «وأيضًا في السنن عنه ﷺ أنه قال: «**أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**»، قالوا: كيف تُعـرَضُ صلاتنا عليك، وقد رممت؟، أي: بليت، فقال: «**إن الله تعالى حرَّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»، وفي النسائي وغيره عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله وكَّل بقبري ملائكةً يبلِّغوني عن أمَّتي السلام**»[٢].

والمقصود من زيارة القبور:

أحدهما - راجع إلى الزائر، وهو الاعتبار والاتِّعاظ، وتذكُّر الموت والآخرة، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»[٣].

الثاني - راجع إلى الميت، وهو أن يُسلِّم عليه الزائر ويدعو له، فإن الميت إذا زاره أحدٌ، وأهدى إليه هديةً من سلام، ودعـاء للميت فَرِحَ بزيارته، وسُرَّ بذلك كالحي، ولهـذا شـرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعـوا لأهـل القبور بالمغفـرة والرحمة، وسؤال العافية.

ولاشك أن الزائر نفسه ينتفع أيضًا بسلامه على إخوانه الموتى، واستغفاره لهم، وترحُّمه عليهم، إذ في ذلك الأجر.

وقـد علَّم النبي ﷺ أصـحابه رضي الله عنهم إذا خـرجوا إلـى المقابر أن يقـولوا: «**السلام على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منَّا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[١]، وفي رواية: «**أسأل الله لنا ولكم العافية**».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه. (٢) كتاب «الزيارة» لابن تيمية.
(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم (جـ٢)، (ص٦٧١).
(٤) رواه مسلم (جـ ٢) (ص٦٧١) كتاب «الجنائز».

ولكن بعض الزائرين لقبره ﷺ، لم يكتفوا بالزيارة الشرعية، بل أحدثوا بدعًا وأُمورًا ليست من الدين، بحُجَّة التماس البركة والخير والأجر ومن هذه البدع:

١- هي سؤال الرسول ﷺ بعد وفاته حاجة أو الاستغاثة به لكشف كربة، ونحو ذلك، فهذا أبعد مراتب البدع، وهو من أنواع الشرك بالله تعالى، لأنه من باب الاستعانة، أو الاستغاثة بمخلوق، بما لا يقدر عليه إلا تبارك وتعالى.

٢- التمسُّح بحائط قبر النبي ﷺ باليد أو غيرها - على أي وَجْه كان - أو تقبيله رجاء الخير والبركة، مظهر من مظاهر البدع عند بعض الزُّوَّار، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - اتفاق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين وأهل البيت وغيرهم، أنه لا يتمسَّح به، ولا يقبله.

ثم بيَّن حكم تقبيل الجمادات: (وليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: **«والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله يقبِّلك ما قبَّلتُك»**[٢]).

وقال الإمام النووي كلامًا نفيسًا حول حكم هذا الفعل بقبر رسول الله ﷺ، قال: يُكره مَسْحُهُ باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يُغْتَرُّ بكثيرٍ من العوام في مخالفتهم، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يُلتفتُ إلى محدثات العوام وجهالاتهم.

وقد قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «اتبع طرق الهدى ولا يضرُّك قلَّة السالكين، وإيَّاك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين)، ومن خطر بباله أن

---

(١) رواه الشيخان: البخاري ومسلم.

المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة، فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغي الفضل في مخالفه الصواب[١].

وغير ذلك من مظاهر التبرك غير المشروع بقبر النبي ﷺ التي يراها من يزور مسجده ﷺ.

وقال الإمام ابن تيمية: أن قول القائل: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، قولٌ ليس له أصلٌ في كتاب الله ولا سُنة رسوله، ولا قاله أحدٌ من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين كمالك والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيدة، ولا مشايخهم الذين يُقتَدىٰ بهم، كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأمثالهم، ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، لا مطلقًا ولا معينًا، ولا فيهم من قال: إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة[٢].

وبعد ذلك يتضح لنا مما لاشك فيه أن الأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شَرَعَه اللهُ وأخبر به رسولُه، وإن استحسنه العقل، إذ لا مدخل له في الدين.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ حث أمته على التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، ففي ذلك الهدى والفلاح، وحذَّر أمَّتَه من اتِّباع الأمور المحدثة المبتدعة، ففي ذلك الشر والضلال.

---

(١) «الإيضاح في المناسك» (جـ ٢) (ص٥٩٢). (٢) الإمام ابن تيمية، كتاب «الزيارة».

وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «**أما بعد .. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(١).

وروى أهل السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنه من يَعِش منكم بعدي فسَيَرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**»(٢).



(١) الإمام مسلم، (جـ ٢) (ص٥٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في «مسنده»، والدارمي والحاكم في «المستدرك».

ثالثاً - بركة المسجد الأقصى

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ١)، والمراد بالبركة هنا: البركة الدنيوية: أي: جعلنا البركة لساكنه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم، فقد أجرى الله حوله الأنهار، وأنبت الثِّمَار؛ فإن الله تبارك وتعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب، وطيب العيش.

والبركة الدينية أيضًا، لأنه مقر الأنبياء والصالحين ومهبط الملائكة، ويدخل فيما حوله من هذه البركة أكثر بلاد الشام، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عن البركة في بلاد الشام.

وهو أولى القبلتين، وثاني المساجد بناءًا بعد المسجد الحرام، فعن أبي ذر ﷺ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن أوَّل مسجد وُضِعَ على الأرض، فقال: «**المسجد الحرام**»، قلتُ: ثم أي؟، قال: «**المسجد الأقصى**»، قلتُ: وكم بينهما؟، قال: «**أربعون عامًا**»[1].

وتُشدُّ إليه الرحالُ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[2].

المسجد الأقصى:

سُمِّي هذا المسجد بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل: في الزمن، وقيل: لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث،

---

(١) (٢) رواه البخاري ومسلم.

وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة، لأنه بعيد من مكة وبيت المقدس أبعد منه[1].

ويسمى المسجد الأقصى ببيت المقدس، أي: المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، والمقدس: المطهر أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام، وإبعاده منها.

وقد كان المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين، قبل أن يتحولوا عنها إلى الكعبة بأمر من الله سبحانه وتعالى، وهناك كثير من الأحاديث تثبت مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الأقصى.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**»، والمسجد الحرام أفضل المساجد، ويليه مسجد النبي ﷺ، ويليه المسجد الأقصى.

فقد روى أحمد والنسائي وغيرهما عن النبي ﷺ: «**إن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة**»، وأما في المسجد الأقصى، فقد روي: «**أنها بخمسين صلاة**»، وقيل: «**بخمسمائة صلاة**»، وقيل بألف صلاة.

وروى الحاكم في صحيحه: أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثًا: «**ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وسأله حُكمًا يوافق حكمه، وسأله أنه لا يؤم أحدٌ هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له**»، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي إليه، فيصلي ولا يشرب فيه الماء، لتصيبه دعوة سليمان، لقوله: «**لا يريد إلا الصلاة فيه**»، فإن هذا يقتضي إخلاص النِّية في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة.

---

(١) من كتاب «تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد» لأبي بكر الجراعي (ص١٧٥).

وروى النسائي وابن ماجه والإمام أحمد وغيرهم من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما فَرغَ سليمانُ بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: سأله حكمًا يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يعني بيت المقدس خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو من الله أن يكون قد أعطاه إياه»**[1].

* ومن فضائله ومزاياه: أنه ثاني مسجد في الأرض بعد المسجد الحرام، وأنه ليس بينهما إلا أربعون سنة، كما في الحديث عن أبي ذر في الصحيحين كما تقدم.

* الإسراء بالرسول ﷺ إليه، ثم عروجه منه إلى السماء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

* استحباب زيارته حتى لو شُدَّ الرحال إليه، كما تقدم ذكره في الحديث، وقد اتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إليه للعبادة المشروعة فيه كالصلاة، والدعاء، والذِّكر، وقراءة القرآن، والاعتكاف[2].

وقد تحدثنا عن بركات المسجد الأقصى منها مضاعفة الأجر لمن يصلي فيه، والبركة من حوله، فإن قيل: كيف قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، ولم يَقُل: باركنا عليه أو فيه، مع أن البركة في المسجد تكون أكثر من خارج المسجد وحوله، خصوصًا المسجد الأقصى؟.

---

(١) «سنن النسائي» (جـ ٢) (ص٣٤).

(٢) ابن تيمية «مجموعة الرسائل الكبرى».

قلنا: أراد البركة الدنيوية، كالأنهار الجارية، والأشجار المثمرة، وذلك حوله لا فيه، وقيل: البركة الدينية، فإنه مقر الأنبياء ومتعبدهم ومهبط الوحي والملائكة، وإنما قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ لتكون بركته أعم وأشمل، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها، وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس، كان هو مباركًا فيه بالطريق الأولى بخلاف العكس، وقيل: المراد بالبركة الدينية والدنيوية: ما ذكرناه، وقيل المراد: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ من بركةٍ نَشَأَتْ منه، فعمَّت جميع الأرض، لأن مياه الأرض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس.

قلت: البركة حول المسجد الأقصى باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين والعاكفين، والمتوطِّنين والوافدين، لأن الأجر قد يكون على قدر النَّصَبِ، وهو وادٍ غيرِ ذي زرعٍ نزَّهَهُ اللهُ عن خِصْبِ الدنيا وسعتها، لئلا يكون القصد إليه ممزوجًا بقصد الدنيا، فهذه البركة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية[1].

اللهم إن بيتك الأقصى ومسجدك المقدس، يَئِنُّ إليك بالشكوى مما نزل به، اللهم إنَّا نضرع إليك أن تُخلِّصَ لنا المسجد الأقصى من أرجاس الصهاينة، وأدناس اليهود أحفاد القردة والخنازير، ليعود للإسلام سابق عهده وسالف مجده يا رب العالمين.



---

(١) «الكشاف» للزمخشري.

بركات سائر المساجد

بركات المساجد وفضائلها كثيرة:

١ - المساجد بيوت الله تعالى في الأرض: قال ﷺ : **«ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله .. »**[١]، ولهذا فهي أشرف البقاع وأفضلها كما في (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : **«أحب البلاد إلى الله مساجدها»**[٢].

٢ - أداء المسلمين الصلوات المفروضة جماعة كل يوم في المساجد: وبعض صلوات النوافل جماعة أيضًا، كصلاة الكسوف أو التراويح أو فرادى كتحية المسجد وما بين الآذان والإقامة، وبقية النوافل والسُّنن، ولا يخفى ما لأداء الصلاة جماعة في المسجد من فوائد ومنافع دينية ودنيوية.

٣ - أداء المسلمين لكثير من العبادات البدنية والقلبية في المساجد: والتي يتحصلون منها على الأجر العظيم، والثواب الجزيل، من تلك العبادات ذكر الله تبارك وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٦-٣٧)، وذكر الله - جَلَّ وعلا - منه ما هو مُقَيَّد كالتسبيح والتكبير، والتهليل أدبار الصلوات، ومُطلَق، ويدخل في الذكر دعاء الله تعالى في العبادة، ودعاء المسألة، ومنها: القرآن والاجتماع لتدارسه، يقول ﷺ عن هؤلاء: **«ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم اللهُ فيمن عنده»**[٣]، ومنها الاعتكاف في

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب «الذكر والدعاء والتوبة».

(٢) «صحيح مسلم» كتاب «المساجد».

(٣) أخرجه مسلم.

المساجد، وخاصة العشر الأواخر من رمضان، ومن العبادات أيضًا في المساجد: الأذان والصلاة على الجنائز، والاستماع لخطبة الجمعة وللموعظة، وغير ذلك من العبادات والأعمال الصالحة التي تُؤدَّى في المساجد.

٤ ـ فضل السعي إلى المسجد وملازمته: وما في ذلك من الثواب، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ اللهُ له في الجنة نُزُلاً كلَّما غَدا أو راح»**[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تَحُطُّ خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً»**[٢].

وفي فضل ملازمة المسجد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تُب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يُحدِث فيه»**[٣]، ولاريب أن إكثار المسلم من الجلوس في المسجد يهيئ له التزوُّد من أعمال الخير الصالحة فضلاً عن دعاء الملائكة له.

كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«سبعةٌ يظلُّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه»**، ومنهم: **«رجلٌ قلبه مُعلَّقٌ في المساجد»**.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: ومعناه شدَّة الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المجلس[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب «الأذان».
(٢) رواه مسلم، كتاب «المساجد».
(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ ٧) (ص١٢١).

٥ـ ومن بركات المساجد: أن أغلب شؤون المسلمين كانت تؤدَّى فيها، فقد كانت المساجد مدارس تخرَّج منها العلماء والقادة من السلف الصالح، وكان المسجد دارًا للفتوى، ومحكمة للقضاء، ورباطًا يأوي إليه المحتاجون وكان المنطلق منه للجهاد، والدعوة والتبليغ لرسالة الإسلام لأهل الأرض، ونشر الدين، غير ذلك من وظائف المسجد المتعددة . . . إلخ.

٦ـ ومن المعلوم: أن رسول الله ﷺ قد شرع في بناء المسجد، فور وصوله إلى المدينة، مهاجرًا إليها من مكة، وهذا يدل على أهمية المسجد في حياة المسلمين، فالمساجد بيوت الله، وهي خير بقاع الأرض وأحبها إليه، بناؤها عبادة من أعظم العبادات، وقُرْبة من أعظم القُربات إلى الله تعالى، وقد جعلها الحق سبحانه وتعالى من علامات الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (التوبة:١٨)، وقد أضافها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه لشرفها وفضلها.

٧ـ فضل بناء المساجد: لاحتواء المساجد على تلك الفضائل والبركات المتقدمة، وغيرها، فقد أثنى الله تعالى على عُمَّار المساجد، فقد وعد الله تعالى من بنى مسجدًا لله مُحْتَسِبًا الأجر العظيم في الجنة.

ففي الصحيحين عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً لله، بنى الله له في الجنة مثله»**، وقال أحد رجال السند: حَسِبْتُ أنه قال: **«يبتغي به وجه الله»**، ولهذا فعلى الذين يبنون المساجد، أو يشاركون في عمارتها، أن يكون قصدهم الإخلاص، وطلب مرضاة الله تعالى، حتى يحوزوا الأجر والثواب.

الفصل الثالث

بركة الأماكن

١ ـ بركة الشام.　　٢ ـ بركة مصر.　　٣ ـ بركة اليمن.

بركة الأماكن

فقد خصَّ الله بعض الأماكن بتفضيل، كما فضل الناس بعضهم على بعض لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى.

فقد اختار مكةَ حيث جعلها خيرَ البلاد وأشرفَها وأجلَّها، وجعلها بلد نبيِّه الخاتم واختصَّها بأول بيت لله في الأرض، قال تعالى: ﴿طَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ وأوجب عليه الإتيان إليه من كل فجٍ عميق، لأداء فريضة الحج، فلا يدخلوا إلى البيت إلا متواضعين خاشعين كاشفي رءوسهم متجرِّدين عن لباس أهل الدنيا، لأداء المناسك، ومن الأماكن المباركة المدينة المنورة، كهف أولياء الله الصالحين ومعقلاً وملاذًا وحصنًا منيعًا للمسلمين، دار هدى للعالمين.

أولاً ـ بركة الشام

ومن الأماكن المباركة: الشام، وهي الآن سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وهي الأرض المباركة التي قال الله فيها عن إبراهيم، وابن أخيه لوط: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١)، وقال عن سليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١)، وبركة الشام تشمل البركة المعنوية، والبركة الحسية:

قال الرازي عند تفسير الآية الأولى الأرض المباركة: قيل: إنها مكة، وقيل: أرض الشام، لقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، والسبب في بركتها أما في الدين، فإن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا منها، وانتشرت شرائعهم وآثارهم الدينية فيها.

وأما في الدنيا: فإن الله تعالى بارك فيها لكثرة الماء، والشجر والثمر والخصب وطيب العيش[1].

وقال الألوسي عند تفسير الآية نفسها: المراد بهذه الأرض: أرض الشام، ووصفها بعموم البركة، لأن أكثر الأنبياء عليهم السلام، بعثوا فيها، وانتشرت في العالم شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية، ولم يقل: التي باركناها للمبالغة بجعلها محاطة بالبركة، وقيل: المراد بالبركات النعم الدنيوية من الخصب وغيره.

والأول أظهر وأنسب بحال الأنبياء عليهم السلام، رُوي أنه ﷺ خرج من العراق ومعه لوط وسارَّة بنت عمه هاران الأكبر، وقد كانا مؤمنين به ﷺ، يلتمس الفرار بدينه، فنزل (حران) فمكث بها ما شاء الله، ثم قَدِمَ مصر ثم خرج منها إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع أو أقرب، وفي الآية من مدح الشام ما فيها، وفي الحديث: «**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجرا إبراهيم**»[2].

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (جـ ٢٢) (ص١٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٣).

وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى للشام**»، فقلتُ: وما ذاك يا رسول الله؟، قال: «**لأن ملائكةَ الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها**»(١).

وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**اللهمَّ بارِك لنا في شامِنا، ويمنِنا**»، قالوا: وفي نجدنا، وفي لفظ: وفي مشرقنا، قال: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع الشيطان**»، زاد ابن عساكر، وفي رواية: «**تسعة أعشار الشر**»(٢).

كما اختاره لبعض أصحابه عندما سألوه، فعن عبد الله بن حوالة الأزدي أنه قال: يا رسول الله، خر لي بلدًا أكون فيه، فقال: «**عليك بالشام، إن الله يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي**»، ولفظ أحمد: «**فإنه خيرة الله من أرضه يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم؛ فإن الله قد كفل لي بالشام وأهله**»(٣).

وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ (سبأ:١٨)، وقد ذكر المفسرون أن المراد بالمكان المبارك في هذه الآيات هو بلاد الشام، وأما المقصود بالبركة في هذ الآيات: بركة الدنيا، وذلك بكثرة الأقوات والثمار والأنهار، ووجود الخصب وسعة الأرزاق.

وقيل البركة الدينية: لأنها مقرٌّ ومهبطُ الوحي، وهنا تشمل البركة في الدين والبركة في الدنيا.

---

(١) أ أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٣٠٨٦).

(٣) رواه أحمد (٤/ ١١٠)، وأبو داود (٢٤٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٥٩).

بركة الشام وفضائلها

* لبلاد الشام فضائل وبركات كثيرة خصَّها الله بها، فمن ذلك:

١- وجود المسجد الأقصى في فلسطين بالشام، وقد تقدم الكلام عن فضائله وبركاته.

٢- دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: ذكر النبي ﷺ: «**اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»[١].

٣- وورد في فضل الشام عدة أحاديث شريفة، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «**طُوبى للشام**»، فقلنا: لأي شيء ذلك؟، فقال: «**لأن ملائكةَ الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها**»[٢].

وعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة جندٌ بالشام، وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق**»، فقال ابن حوالة: اختر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: «**عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يَجْتَبي إليها خيرتَه من عباده، فأما إذا أبيتُم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكم، فإن الله توكَّل لي بالشام وأهله**»[٣]، وأن فضل الإقامة في الشام خاص آخر الزمان، وقد نقل بعضهم اتفاق العلماء على أن الشام أفضل البقاع بعد مكة والمدينة - والله أعلم -.



---

(١) البخاري (جـ ٨) (ص٩٥)، كتاب «الفتن». (٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه»، وقال عنه ابن القيم: إن أبا داود ذكره بإسناد حسن، وأخرجه أحمد في «المسند».



ثانيًا - بركة مصر

قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

ذهب كثير من المفسرين إلى أن المقصود بالأرض المباركة هي أرض مصر في البحر المحيط، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، لما قال موسى عليه السلام: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٢٩)، كما كان ترجى موسى، فأغرق أعداءهم في اليم واستخلف بني إسرائيل في الأرض، ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل، كان فرعون يستعبدهم ويستخدمهم، ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾: قالت فرقة: الأرض كلها، وقال الحسن أيضًا عن قتادة وغيرهما: بلاد الشام، وفي كتاب النقاش عن الحسن: «أرض مصر، والبركة فيها بالماء والشجر»، وقال ابن عباس: «بالخصب والأنهار وكثرة الأشجار وطيب الثمار»، وقيل: ﴿بَارَكْنَا﴾: جعلنا الخير فيها دائمًا ثابتًا، وهذا يشير إلى أنهار مصر، وقال الليث: «هي مصر بارك الله فيها بما يحدث عن نيلها من نيل مصر، سيد الأنهار، وقال أبو بصرة الغفاري: «مصر»، خزائن الأرض كلها، وقال ابن عمر: «البركات في مصر تسع، وفي الأرض كلها واحدة»[1].

---

(١) «تفسير البحر المحيط» (جـ ٤) (ص٣٧٥).

وقال النيسابوري: ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾: يعني أرض مصر والشام، لأنها هي التي كانت تحت تصرف فرعون، وقوله: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالخصب وسعة الأرزاق، وذلك لا يليق إلا بأرض الشام[١].

وقد ذكرت مصر في القرآن صراحة في أربعة مواضع، كما ذكرت كناية في مواضع أخرى يأتي ذكرها:

* **أما مواضع التصريح:**

١ - في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف: ٢١).

٣ - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩).

٤ - وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).

أما قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: ٦١).

قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿مِصْرًا﴾، فقرأه عامة القراء: ﴿مِصْرًا﴾ بتنوين المصر وإجرائه، وقرأ بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه، فأما الذين نونوه أو جَرَوْهُ؛ فإنهم عنوا به مصرًا من الأمصار، لا مصرًا بعينه، فتأويله على قراءتهم: اهبطوا مصرًا من الأمصار، لأنكم في البدو، والذي

(١) «غرائب القرآن، ورغائب الفرقان» (جـ ٥) (ص٢٠٢).

طلبتم لايكون في البوادي والفيافي، وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم - إذا هبطتموه - ما سألتم من العيش، وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء والتنوين، كتأويل عنده: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾: البلدة التي تعرف بهذا الاسم، وهي مصر التي خرجوا عنها، غير أنه أجراها ونونها اتباعًا منه خط المصحف، لأن في المصحف ألف ثابتة في ﴿مِصْر﴾ فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين، سبيل من قرأ: ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ (الإنسان:١٦)، منونة، اتباعًا منه خط المصحف، وأما الذي لم ينون مصر، فإنه لاشك أنه عنى مصر التي تعرف بهذا الاسم بعينها، دون سائر البلدان غيرها.

والمعنى الأول - أي: مصرًا من الأمصار: قال به كل من ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم.

والمعنى الثاني - أي: مصر فرعون: قال به كل من أبي العالية والربيع بن أنس والضحاك، وذهب إليه الفراء.

بركات مصر

تنقسم بركات مصر إلى قسمين: بركات دينية، وبركات دنيوية.

أما البركات الدينية فتتمثل فيما يأتي:

١ - مقدم بعض الأنبياء إليها.

٢ - مولد بعض الأنبياء بها.

* أما البركات الدنيوية، فتتمثل في كثرة خيرها، وطيب عيشها.

البركات الدينية

أولاً ـ مقدم بعض الأنبياء إليها

لقد سعدت مصر بقدوم بعض الأنبياء والمرسلين، هم: إبراهيم أبو الأنبياء، ويوسف، ويعقوب، وعيسى عليهم السلام.

أما إبراهيم: فقد هاجر إلى مصر مع زوجته سارة إلى مصر.

قال السيوطي: وكان سبب دخوله مصر، كما حدثنا به أسد بن موسى وغيره، أنه لما أمر بالخروج عن أرضه قومه، والهجرة إلى الشام، خرج ومعه لوط وسارة، حتى أتوا حران، فنزلها فأصاب أهل حران جوع، فارتحل بسارة يريد مصر، فلما دخلها ذُكر جمالها لملكها ووُصِفَ له أمرها، فأمر بها، فأُدخلت عليه، وسأل إبراهيم: ما هذه المرأة منك؟، فقال: «أختي»، فهمَّ الملك بها، فأيبس الله يديه ورجليه، فقال لإبراهيم: هذا عملك، فادع الله لي، فوالله لا أسوءك فيها، فدعا الله، فأطلق يديه ورجليه، وأعطاها غنمًا وبقرًا، وقال: ما ينبغي لهذه أن تخدم نفسها، فوهب لها هاجر[1]، فوهبتها لإبراهيم ﷺ، فتزوجها وانجب منها ابنه البكر اسماعيل ﷺ أبو العرب المستعربة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: ولم يكذب إبراهيم ﷺ إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصافات:٨٩)، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (الأنبياء:٦٣)، وقال: بيْنَا هو ذات يوم وسارَّة إذ أتى على جبَّار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجُلاً معه امرأةٌ من أَحْسَنِ الناس، فأرسل إليه،

---

(١) «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي (جـ ١) (ص٥٢).



فسأله عنها، فقال: مَن هذه؟، قال: «أُختي»، فأتى سارَّة، قال: **«يا سارَّةُ ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك، وإنَّ هذا سألني عنك، فأخْبَرْتُه إنَّكِ أُختي، فلا تُكَذِّبيني»**، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده، فأُخِذَ فقال: ادْعي الله لي ولا أضُرُّكِ، فدَعت الله، فأُطْلِق، ثم تناولها الثانية، فأُخِذَ مثلَها أو أشَدَّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضُرُّكِ، فدعت فأُطْلِق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأَخْدَمَهَا هاجر، فأتته وهو قائمٌ يصلي، فَأَوْمَأَ بيده، مَهْيَمْ، قالت: ردَّ اللهُ كيدَ الكافر - أو الفاجر - في نحره، وأَخْدَمَ هاجر.

قال أبو هريرة: **«تلك أمُّكم يا بني ماءِ السَّماء»**[1].

والكذب في هذا الحديث المنسوب إلى إبراهيم ليس على حقيقته، لأن الأنبياء معصومون من الكذب، إنما ذلك من باب المعاريض، ثم هاجر من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين.

أما النبي الثاني: الذي شَرُفَتْ به مصر، فهو يوسف عليه السلام فقد بيع إلي عزيز مصر بثمن بخس، فأكرم العزيز وفادته وأحسن إقامته وأوصى امرأته به خيرًا.

وقد امتن الله بذلك على يوسف بعد أن نجَّاه من الجبِّ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٢١-٢٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

والمعنى: وقال الرجل المصري الذي اشترى يوسف لامرأته، اجعلي محل إقامته كريمًا، وأنزليه منزلاً حسنًا مرضيًا، وهذا كناية عن وصيته لها بإكرامه على أبلغ وجه، لأن من أكرم المحل بتنظيفه وتهيئته تهيئة حسنة، فقد أكرم صاحبه.

قال صاحب الكشاف: قوله: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ أي: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا، أي: حسنًا مرضيًا، بدليل قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف:٢٣)، والمراد: تفقديه بالإحسان، وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: بيان سبب أمره لها بإكرام مثواه، عسى هذا الغلام أن ينفعنا في قضاء مصالحنا، وفي مختلف شئوننا، أو نتبناه، فيكون منًا بمنزلة الولد، فإني أرى فيه علامات الرشد والنجابة، وإمارات الأدب وحسن الخلق.

قالوا: وهذه الجملة ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: توحي بأنهما لم يكن عندهما أولاد[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: ومثل ذلك التمكين البديع الدال على رعايتنا له، مكنا ليوسف في أرض مصر حتى صار أهلاً للأمر والنهي فيها، وفعلنا ذلك التمكين له لنعلمه من تأويل الأحاديث، بأن نهبه من صدق اليقين، واستنارة العقل ما يجعله يدرك معنى الكلام إدراكًا سليمًا، ويفسر الرؤى تفسيرًا صحيحًا صادقًا، والله تعالى مُتَمِّم ما قدَّره وأراده لا يمنعه من ذلك مانع، ولا ينازعه مُنازع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ذلك حق العلم فيما يأتون ويذرون من أقوال وأفعال، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾،

---

(١) «القصة في القرآن الكريم» محمد سيد طنطاوي - الجزء الأول (ص٢١٦-٢١٧).

والأشد: قوة الإنسان، وبلوغه النهاية في ذلك، مأخوذ من الشِّدَّة، بمعنى القوة والارتفاع، والمعنى أي: وحين بلغ يوسف عليه السلام منتهى شدته وقوته، وقيل: هو السن ما ين الثلاثين والأربعين.

أعطيناه بفضلنا وإحساننا ﴿حُكْمًا﴾: وهي الإصابة في القول والعمل، أو هي النبوة، وقيل: فهمًا سليمًا لشئون الدين والدنيا.

﴿وَعِلْمًا﴾ أي: فقهًا في الدين، وفهمًا سليمًا لتفسير الرؤى، وإدراكًا واسعًا للحياة، ومثل ذلك الجزاء الحسن والعطاء الكريم، نعطي ونجازي المحسنين الذي يحسنون أداء ما كلفهم الله تعالى به، فكل من أحسن في أقواله وأعماله أحسن الله سبحانه جزاءه.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الحسن والعطاء الكريم، نعطي ونجازي المحسنين الذين يحسنون أداء ما كلفهم الله تعالى به، فكل من أحسن في أقواله وأفعاله أحسن الله تعالى جزاءه.

قال صاحب الظلال: إن مصر في هذه الفترة لم يكن يحكمها الفراعنة من الأسر المصرية، إنما كان يحكمها الرعاة الذين عاش إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب قريبًا منهم، فعرفوا شيئًا عن دين الله منهم.

ونأخذ ذلك من ذكر القرآن للملك بلقب (الملك)، في حين يسمى الملك الذي جاء على عهد موسى عليه السلام من بعد بلقبه المعروف (فرعون).

ومن هذا يتحدد زمن وجود يوسف عليه السلام في مصر، فهو كان ما بين عهد الأسرة الثالثة عشرة، والأسرة السابعة عشرة، وهي أسر الرعاة الذين سمَّاهم

المصريون (الهكسوس) كراهةً لهم، إذ يُقال: إن معنى الكلمة في اللغة المصرية القديمة: الخنازير، أو الرعاة الخنازير، وهي فترة تستغرق نحو قرن ونصف[١].

ثم بعد ذلك عدة أحداث وابتلاءات، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩)، من الخوف والجوع، وقد ذكر المفسرون هنا كلامًا يدل على أن يوسف عليه السلام وحاشيته ووجهاء مصر عندما بلغهم قدوم يعقوب بأسرته إلى مصر، خرجوا جميعًا لاستقبالهم، والمراد بدخول مصر: الاستقرار بها، والسكن في ربوعها، قالوا: وكان عدد أفراد يعقوب الذين حضروا معه ليقيموا في مصر ما بين الثمانين والتسعين.

قدوم عيسى بن مريم مصر:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠).

وذكر الألوسي في تفسيره سبب مجيء عيسى عليه السلام إلى مصر: أن ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى عليه السلام ففرت به أمه إلى أحد هذه الأماكن التي ذكرت في البحر، ورأيت في إنجيل مَتَّى أن عيسى ولد في بيت لحم في أيام هيروديس الملك وافي جماعة من المجوس في المشرق إلى أورشليم يقولون: أين المولود ملك اليهود، فقد رأينا نجمه في المشرق، وجئنا لنسجد له، فلما سمع هيروديس اضطرب وجمع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، فسألهم: أين يوجد المسيح؟، فقالوا: في بيت لحم، فدعا المجوس سرًا، وتحقق منهم الزمان الذي ظهر لهم فيه النجم، وأرسلهم إلى بيت لحم، وقال لهم: اجتهدوا في البحث عن هذا المولود، فإذا

(١) «ظلال القرآن» (جـ ٤) (ص ١٩٦).

وجدتموه، فأخبروني، لأسجد له معكم، فذهبوا فوجدوه مع مريم، فسجدوا له وقربوا القرابين، ورأوا في المنام أن لا يرجعوا إلى هيرودس فذهبوا إلى كورتهم.

ورأى يوسف النجار في المنام ملكًا يقول له: قم فخذ الطفل وأمه، واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك، فإن هيرودس، قد عزم على أن يطلب الطفل ليهلكه، فقام وأخذ الطفل وأمه ليلاً، ومضى إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس، فلما توفى رأى يوسف النجار الملك في المنام يقول له: قم فخذ الطفل وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل، فقد مات من يطلب نفس الطفل، فقام وأخذهما، وجاء إلى أرض إسرائيل فلما سمع أن أرشلادوس قد ملك على اليهودية بعد أبيه هيرودس، خاف أن يذهب هناك، فأخبر في المنام، وذهب إلى تقوم الجبال، فسكن في مدينة تدعى ناصرة. اهـ.

فإن صح هذا، كان الظاهر أن الربوة في أرض مصر أو ناصرة من أرض الشام[1] ـ والله تعالى أعلم ـ.

ثانيًا ـ مولد بعض الأنبياء بمصر

١ ـ موسى بن عمران ﷺ:

ولد موسى ﷺ في عهد الطاغية الأكبر فرعون عدو الله، الذي اشتهر بالطغيان والجبروت، ونازع الله في ملكه، وادعى الربوبية، وأعلن التمرد والعصيان، وزعم أنه هو الإله المعبود من دون الله، واسم ذلك الطاغية (الوليد ابن مصعب)، ولقبه فرعون، وفرعون لقب لكل من مَلَكَ أرضَ مصر من الجبابرة، كما أن (كسرى) لقب لكل من ملك بلاد الفرس، و(قيصر) لكل من

---

(١) «تفسير الألوسي» (جـ ١٨) (ص٣٨-٣٩).

مَلَكَ بلاد الروم، وقيل: في عهد (منفتاخ) أي: رمسيس الثاني، فلما تولى الملك كان هذا الجبار أعتى، وأطغى وأكفر وأفجر ممن ملك قبله، وامتدت أيام ملكه، وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف ﷺ، وهم على بقايا من دين آبائهم وهو دين إبراهيم دين الحنيفية السمحة، حتى تولى المُلْكَ عليهم فرعونُ الذي ذاقوا من أذاه وشرِّه ما لم يذوقوه من قبل ولا من بعد.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وتمرده، وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه، فنادى فيهم متبجحًا بمُلك مَلِك، وتصرفه فيها: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، قال قتادة: قد كانت لهم جنات وأنهار ماء ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني موسى واتباعه فقراء ضعفاء، أما هارون أخو موسى شقيقه، وقيل: لأمه، وقيل: لأبيه فقط، بعدة شدة العذاب على بني إسرائيل، بتقتيل أبنائهم، أمر فرعون بإشارة إلى أتباعه أن يقتل الذكور عامًا، ويتركوا عامًا، فولد هارون في السنة التي لا يُذبح فيها أحد، فتُرِك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها، فأما هارون فقد ولدته أمه علانية آمنة مطمئنة.

ثم تتوالى أحداث موسى ﷺ مع فرعون وقومه، ظل فرعون في تكبره وتجبره يسخر من موسى ﷺ، ويعذب المستضعفين الذين آمنوا بموسى ﷺ واتبعوه، فأمره الله أن يتخذ لقومه بيوتًا يستخفون فيها لعبادة ربهم خوفًا من فرعون، وملأه، أن يفتنهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧).

والمعنى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ هارون بعد أن لج فرعون في طغيانه، وفي إنزال العذاب بالمؤمنين أن اتخذا لقومكما المؤمنين بيوتًا خاصة بهم في مصر، ينزلون بها، ويستقرون فيها، ويعتزلون فرعون وجنده إلى أن يقضي الله

أمرًا كان مفعولا، وقوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: واجعلوا هذه البيوت التي حللتم بها مكانًا لصلاتكم وعبادتكم بعد أن حال فرعون وجنده بينكم وبين آداء عباداتكم في الأماكن المخصصة لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أي: داوموا عليها، وأدوها في أوقاتها بخشوع وإخلاص، فإن في أدائها بهذه الصفة وسيلة إلى تفريج الكروب، وفي الحديث الشريف: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى».

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تذييل قصد به بعث الأمل في نفوسهم متى أدوا ما كلفوا به، أي: وبشر المؤمنين بالنصر والفلاح في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، وتعد قصة موسى وهارون عليهما السلام على رأس القصص التي تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم في أكثر من عشرين سورة، تارة بصورة مفصلة، وتارة بصورة مختصرة من السور القرآنية التي تحدثت عن هذه القصة بصورة مفصلة: البقرة، الأعراف، طه، الشعراء، القصص.

وهكذا نرى أن الله شرف مصر بجملة من أنبيائه الكرام، منهم ثلاثة من أولي العزم (إبراهيم، موسى، عيسى)، صلوات الله عليهم أجمعين، وهذه من بركات مصر أن شرفها بقدوم بعضهم وولادة بعضهم على أرضها الطيبة.

ثالثًا - ثناء النبي ﷺ على أهل مصر والإيصاء بهم خيرًا

لقد حظيت مصر بشرف كبير، وفضل عظيم، وذلك بذكر النبي لها، والثناء على أهلها والإيصاء بهم خيرًا.

* وقد أوصى النبي ﷺ بأهل مصر خيرًا، وذلك لمصاهرة إبراهيم بزواجه من هاجر، وهي مصرية، وكذلك مصاهرة النبي ﷺ لهم، وذلك بزواجه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر، وقيل: أن يوسف عليه السلام تزوج منهم أيضًا.

* روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وهي أرضٌ يسمَّى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا؛ فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا**».

* وقال رسول الله ﷺ: «**ستقدمون على قوم جَعْد رؤوسهم، فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوةٌ لكم، وبلاغٌ إلى عدوكم بإذن الله، يعني قبط مصر**»[١]، فهل بعد ثناء النبي ﷺ ثناء، اللهم لا.

البركات الدنيوية

وتتمثل في كثرة خيرها وطيب عيشها، فقد حبى الله مصر بالنيل يتدفق بين أرجائها عذبًا فراتًا، كما حباها بأرض خصبة تأتي بأطيب الثمار، وأينعها على اختلاف أنواعها، كما حباها بالمعادن المختلفة كالبترول والحديد والنحاس والمنجنيز، وغير ذلك من النعم العظيمة، والآلاء الجسيمة مما له الأثر الكبير في طيب عيشها، وسعة رزقها، قال تعال: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ٥٧-٥٨)، وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٦).

نقل السيوطي عن الكندي: لا يُعلم بلدٌ في أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثَّناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شَهِدَ له بالكرم غير مصر[٢].

---

(١) أخرجه أبو يعلي، وابن عبد الحكم بسند صحيح، من طريق أبي هاني الخولاني.
(٢) «حسن الحاضرة» (جـ ٢) (ص٨).

ومعنى آيات سورة الشعراء: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ أي: فرعون وقوم ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي: وأنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أي: وأموال ظاهرة من الذهب والفضة.

وقال النسفي: ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أي: أموال كنزوها وخزنوها تحت الأرض، وخُصَّت بالذكر، لأن الأموال الظاهرة أمورٌ لازمة لهم، لأنها من ضروريات معاشهم، فإخراجهم عنها معلوم بالضرورة، وقيل: لأن أموالهم الظاهرة قد انطمست بالتدمير[1].

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: هي المساكن الحسان، كما قال النقاشي، عن ابن لهيعة أنها كانت بالفيوم من أرض مصر، وقيل: مجالس الأمراء والأشراف والحكام التي تحفها الأتباع، وحكى الماوردي أنها مرابط الخيل، وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك أنها المنابر للخطباء، ومع هذه النعم الكثيرة والآلاء الوفيرة لم يقوموا بشكرها، في سورة الدخان قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان: ٢٧)، فقد استَخَفُّوا بالنعمة، وكفروا بالمنعِم، فكان جزاؤهم الخروج من تلك الجنات والعيون وغيرها من النعم، وأغرقهم الله تعالى بسبب كفرهم، كما أورث هذه النعم بني إسرائيل، وهم غير القبط جنسًا ودينًا.

وقيل المراد بهم غير بني إسرائيل ممن ملك مصر بعد هلاك فرعون وجنوده، وإليه ذهب قتادة، قال: لم يرد في مشهور التاريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر، ولا أنهم ملكوها قط، وأول آية الشعراء التي معنا بأنه من باب: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ (فاطر: ١١)، وقولك: عندي درهم ونصفه، فليس المراد ما تركوه بل نوعه وما يشبهه، والإيراث الإعطاء، وقيل: المراد من إيراثها

(١) الألوسي (جـ ١٩) (ص٨٣).

إياهم: تمكينهم من التصرف فيها، ولا يتوقف ذلك على رجوعهم إلى مصر كما كانوا فيها أولاً، وأخذ جمع بقول الحسن، وقالوا: لا اعتبار بالتواريخ وكذا الكتب التي بيد اليهود اليوم، لما أن الكذب فيها كثير وحسبنا كتاب الله تعالى، وهو سبحانه أصدق القائلين وكتابه ـ جَلَّ وعلا ـ مأمون من تحريف المحرفين.

السيوطي في كتابه (حسن المحاضرة) يحدثنا عن مجموعة من الآثار الواردة عن السلف، تدلنا على بركة مصر:

* أخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو، وقال: قبط مصر أكرم الأعاجم كلها، وأسمحهم يدًا، وأفضلهم عنصرًا، وأقربهم رحمًا بالعرب عامة، وبقريش خاصة، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا، فلينظر إلى أرض مصر، حين يخضر زرعها وتنور ثمارها.

* وعن عبد الله بن عمرو قال: البركة عشر بركات، ففي مصر تسع، وفي الأرض كلها واحدة، ولا تزال في مصر بركة أضعاف ما في جميع الأرضين. وحُكِي أن المأمون لما دخل مصر قال: قَبَّح اللهُ فرعونَ، إذ قال: أليس لي ملك مصر، فلو رأى العراق! فقال له سعيد بن عفير: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فإن الله تعالى قال: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧)، فما ظنك بشيء دمَّره الله هذه بقيته! فقال: ما قصَّرت يا سعيد.

هذه هي بركات مصر، ليتنا نحافظ عليها ونعمل على تنميتها، كما أن الله مَنَّ علينا بنعمة الأمان مِن كثير من الأوبئة المدمرة، فكثير ما نسمع عن أعاصير مهلكة تنزل ببعض البلاد، وبزلازل تدمر البعض الآخر، وبالمجاعات نسمع عنها هنا وهناك من البلاد القريبة والبعيدة.

ثالثًا - بركة اليمن

١ - دعاء النبي ﷺ بالبركة في اليمن، فقد تقدم قريبًا قول النبي ﷺ: **«اللهم بارِكْ لنا في شَامِنا، اللهم بارِكْ لنا في يَمَنِنَا»**.

٢ - وردت عدةُ أحاديث تدلُّ على فضل اليمن، وأهله منها ما تقدَّم ذكره أن النبي ﷺ أمر باللجوء إلى اليمن لمن أبى القصد إلى الشام، عند حدوث الفتن، بقوله: **«فأما إذا أبيتم فعليكم بيمنكم»**، ومنها ما رواه الشيخان عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«الإيمان ههنا»**، وأشار بيده إلى اليمن[(١)]، وأيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **«أتاكم أهلُ اليمن هم أَرَقُّ أفئدة، وأَلْيَنَ قلوبًا، والإيمانُ يمان، والحكمةُ يمانية»**، وفي رواية: **«الفقه يمان»**[(٢)].

وقد ذكر ابن الصلاح - رحمه الله تعالى -: أن سبب التفضيل إذعان أهل اليمن إلى الإيمان من غير كبير مشقَّة على المسلمين، بخلاف أهل المشرق وغيرهم، كما أن من اتصف بشيءٍ وقوي قيامُه به نُسِبَ إليه، إشعارًا بكمال حاله فيه، وقال: لا يلزم من ذلك نفي الإيمان عن غيرهم، وقال الإمام البغوي - رحمه الله -: في الحديث ثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان، وحسن قبولهم إيَّاه[(٣)].



(١) رواه الشيخان: البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) «شرح السنة» للبغوي (جـ ١٤) (ص٢٠١).

الباب السادس

أنوع أخرى مباركة

الفصل الأول

بركة المطر

بركات المطر ومنافعه كثيرة جدًا، ونذكر بعضًا منها كشرب الناس منه، وسقي الأنعام والدواب، وإنبات الثمار والأشجار والأعشاب، فالماء لا يَستغنى عنه كائنٌ حي، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره هذه الآية: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ (ق: ٩)، أي: كثير الخير والبركة والمنافع للناس، وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى ذلك في آيات عدة في القرآن الكريم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ٩٩)، أي: الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل من السحاب المطر، فأخرج به ما ينبت من الحبوب والفواكه والثمار والحشائش والشجر، وقال - جَلَّ وعلا -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، قال ابن كثير - رحمه الله -: أي: قطر السماء ونبات الأرض، وأخرج الإمام مسلم - رحمه الله - عن

أبي هريرة ﷺ: عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون: الكواكب كذا، وكذا**»، وفي رواية: «**بكوكب كذا وكذا**»(١).

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى المطر لمنافع كثيرة للعباد، وبركات عظيمة لعباده المؤمنين، قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ٩-١٠-١١).

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ كثيرة أي: أشجارًا ذوات ثمار، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالها، وتخصيص إنبات حبه بالذكر، لأنه المقصود بالذات، ﴿وَالنَّخْلَ﴾: عطف على جنات، وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات، لبيان فضلها على سائر الأشجار، وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية، مع ما فيه من مراعاة الفواصل.

﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر، ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: لنرزقهم، عِلَّةٌ لقوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ وفي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأولى بالتبصرة والتذكير.

تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكير والاستبصار أهم من تمتعه به من حيث الرزق.

---

(١) صحيح مسلم.

﴿أَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: أرضًا جدبة لا نماء فيها أصلاً، بأن جعلناها بحيث ربت، وأنبتت أنواع النبات والأزهار، فصارت تهتزُّ بها بعد ما كانت جامدة هامدة.

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾: إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتها، أي: مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها، وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة، بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس، وتقريبه إلى أفهام الناس[1].

وقد سمَّى الله تعالى المطر طهورًا ورحمةً وسَمَّاه رزقًا بقوله: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الجاثية: ٥).

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ: يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد، ولما تقدم من ذكره من بيان منافع المطر والخيرات الكثيرة الناتجة منه.

ما يشرع عند نزول المطر:

١ ـ يشرع عند نزول المطر أن يقول: «**اللهم اجعله صيبًا نافعًا**»، لحديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «**اللهم صيبًا نافعًا**»[2].

٢ ـ وأن يقول: «**أُمطرنا بفضل الله ورحمته**»، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا على أثر مطرٍ أصابهم من الليل: «**هل تدرون**

---

(١) «تفسير أبو السعود» (جـ ٥) (ص٦١٨-٦١٩).

(٢) رواه البخاري.

ماذا قال ربُّكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصْبَحَ من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»**(١) .

٣ - ويُستحَبُّ أن يُتعرَّضَ للمطر عند نزوله: ويخرج رحله وثيابه ليصيبها المطر، ولما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أيضًا ﷺ أنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطرٌ، قال: فَحَسَرَ رسولُ الله ﷺ ثوبَه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعتَ هذا؟، قال: «**لأنه حديثُ عهدٍ بربِّه تعالى**»(٢) .

وقد رُوي أن ابن عباس ﷺ كان إذا أمطرت السماء يقول: يا جارية، أخرجي سرجي، أخرجي ثيابي، ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ (ق: ٩).

٤ - ويستحب الدعاء عند نزول المطر: روى البيهقي عن أبي أمامة: «**الدعاء يُستجابُ وتُفتح أبوابُ السماء في أربعة مَوَاطِنِ: عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث، وإقام الصلاة، ورؤية الكعبة**»(٣) .

قال ابن رسلان: دعاء من هو تحت المطر لا يُردُّ، أو قلَّما يُرَدُّ، فإنه وقت نزول الرحمة للعباد لا سيما مطر أول السَّنة(٤) .



---

(١) كتاب البخاري، كتاب «الاستسقاء». (٢) صحيح مسلم، باب «الاستسقاء».

(٣) كتاب «الأدب المفرد للبخاري» (ص٥٤٢).

(٤) «الفتوحات الربانية على الأذكار النووية» (جـ ٢) (ص٢٨٨).

الفصل الثاني
بركة شجرة الزيتون

شجرة زيتية مُعمِّرة، طويلة البقاء في الأرض، ولفظ الزيتون يُطلق على شجر الزيتون وثمره، ولقد بارك الله سبحانه وتعالى شجرة الزيتون التي يستخرج من ثمرها زيت الزيتون، فقال ـ جَلَّ وعلا ـ وهو أصدق القائلين: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

جاء في (صفوة التفاسير): يوقد من شجرة مباركة، أي: يشعل ذلك المصباح من زيت شجرة مباركة زيتونة، أي: هي من شجر الزيتون الذي خَصَّه الله بمنافع عديدة لا شرقية ولا غربية، أي: ليست في جهة الشرق، ولا في جهة الغرب، وإنما في صحراء منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، لتكون ثمرتها أنضج، وزيتُها أَصْفَى، نورٌ على نورٍ، أي: نور فوق نور، فقد اجتمع نور السراج، وحسن الزجاجة، وصفاء الزيت، فاكتمل النور الممثل به.

وجاء أيضًا ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (التين: ١)، أي: أُقسِمُ بالتين والزيتون لبركتها وعظيم منفعتها، قال ابن عباس: «هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت»، وقد تكرر ذكرها أكثر من موضع في محكم التنزيل، وفي كل موضع تذكر فيه تلك الثمرة، نجد أنها تحمل معنى غير الآخر، فحينما

أوردها الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، فقد بين فضل الشجرة والبركة التي أودعها بقدرته في ثمرها وخاصة عندما يستخرج منها الزيت، لقول الرسول ﷺ الذي جاء بالسُّنَّةِ مُتَمِّمًا للقرآن نجده يبين فضل زيتها في حديث عن عمر قال: قال ﷺ: «**كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة**»، وعن أسيد مثله أخرج الترمذي وغيره، وفي رواية لابن ماجه بلفظ: «**ائْتَدِمُوا بالزيت**»، وفي رواية الدارمي: «**كلوا الزيتَ، فإنه مباركٌ**»، قال تعالى في سياق ذكر ما امتنَّ به على عباده من النعم: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠).

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: «أفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد، وقلة تعَهُّدِهَا بالسَّقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار».

ولولا أن الزيتون مبارك لما ذكره المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، فقال أصدق القائلين: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ (الأنعام: ٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ (الأنعام: ١٤١)، وقال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ﴾ (النحل: ١١)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً﴾ (عبس: ٢٦-٢٩)، وزيت الزيتون أثمن ماتحمل شجرة الزيتون، وهو يتفوق على ما سواه من الزيوت الأخرى سواء النباتية أو الحيوانية بمنافعها وخُلُوِّها من المضار، فلا يسبب أمراضًا للأوردة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون، وله عدة فوائد منها:

١ ـ تنشيط الكبد والجهاز الهضمي.

٢ ـ ودوره الفعال كملطف للجلد، وتشتد الحاجة إليه في مراحل النمو لبناء أنسجة الإنسان.

٣ ـ ومن الثابت أن شرب زيت الزيتون مضاد للسموم.

٤ ـ ومُسَهِّل ومسكِّن لآلام البطن.

٥ ـ ويفيد كدهان في تقوية الشعر.

٦ ـ ويستخدم من الخارج في حالات الحروق والقروح، والأمراض الجلدية.

٧ ـ ويفيد في علاج تيبس المفاصل والتهاباتها، والكثير والكثير الذي ذكره العلماء، ليس هذا مجاله، فلشجرة الزيتون منافعٌ وبركاتٌ عديدة، منها الأكل، فهي من الفواكه، وزيتها يُؤْتَدَمُ به، ويُنْتَفَعُ به في الدهن والأصباغ، وزيتها ضياء وشفاء ـ والله أعلم ـ.

الفصل الثالث

بركة النخيل

تأمل هذه النخلة التي هي إحدى آيات الله، تجد فيها من الآيات والعجائب ما يبهرك.

الدليل على بركة النخيل:

- أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر ﵄ قال: بينما نحن عند النبي ﷺ جلوس، إذ أُتِيَ بجمار[1] نخلة، فقال النبي ﷺ: **«وإن من الشجر لما بركته كبركة المسلم»**، فظننت أنه يعني النخلة، فأردتُ أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفتُّ، فإذا أنا عاشر عشرة أنا أَحْدَثُهم، فسكتُّ، فقال النبي ﷺ: **«هي النخلة»**[2].

بركات النخلة ومنافعها:

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: بركة النخلة تتضمن كثرة خيرها، ودوام ظِلِّها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، وثمرها يُؤكل رطبًا ويابسًا، وجذوعها للبناء والآلات والأواني، ويُتَّخذ من خوصها: الحصر والمكاتل والأواني والمراوح وغيرها، ومن ليفها الحبال وغيرها، ونواها علفٌ للإبل، ويدخل في الأدوية والأكحال، ثم جمال ثمرتها ونباتها، وحسن هيئتها، وبهجة منظرها، وحُسن نضد ثمرها، ومَسَرَّة النفوس عند رؤيته، فرؤيتها مذكرة

---

(١) الجمار: جمع جمارة، وهي قلب النخلة. (٢) رواه البخاري (جـ ٦) (ص١١٢)، ومسلم.

لفاطرها، وخالقها، وبديع صنعتـه، وكمال قدرته، إلى أن قال: ولا شيء أشبه بها من الرجل المؤمن: إذ هو خيرٌ كلُّه، ونفع ظاهر وباطن[1].

* **كما مثله النبي ﷺ، وذلك من وجوه كثيرة:**

الأول ـ ثبات أصلها في الأرض، واستقراره فيها، وليست بمنزلة الشجرة التي اجْتُثَّتْ من فوق الأرض مالها من قَرَار.

الثاني ـ طيب ثمرها، وحلاوتهـا، وعموم المنفعة بـها، كذلك المؤمن طيب العمل، فيه المنفعة لنفسه ولغيره.

الثالث ـ دوام لباسها وزينتها، فلا يسقط عنها صيفًا ولا شتاءًا، كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها، حتى يوافي ربه تعالى.

الرابع ـ سهـولة تناول ثمرها وتيـسُّره، أمـا قَصِـيرُها فلا يحـوجُ المتناولَ أن يَرْقاها، وأما باسقهـا فصعوده سهلٌ بالنسبة إلى صعـود الشجر الطوال وغيرها، فتـراها كأنها قـد هيئت منها المراقـي والدرج إلى أعلاها، وكذلك المؤمن خـيره سهلٌ قريبٌ لمن رام تناوله، لا بالغرِّ ولا باللئيم.

الخامس ـ أن ثمرها من أنفع ثمار العالم، فإنه يؤكل رطـبه فاكهة وحلاوة، ويابسه يكون قوتًـا وأدمًا وفاكهة، ويتـخد منه الخل والناطف والحلوى، ويدخل في الأدوية والأشربة، وعموم المنفعة به، وبالعنب فوق كل الثمار.

السادس ـ أن النخلة أصبـر الشجر علـى الرياح والجهد وغـيرها من الدوح العظام، تميلها الريح تارة، وتقلعها تارة، وتقصف أفنانهـا، ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة، كذلك المؤمن صبور على البلاء، لا تُزَعْزِعَهُ الرياح.

---

(١) «الطب النبوي».

السابع - أن النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء بغير منفعة، فثمرها منفعة، وجذوعها فيها من المنافع ما يُجعل للأبنية والسقوف، وسعفها يُتَّخذ منه المكاتل والحصْر وكغيرها.

الثامن - أنها كلما طال عمرها، ازداد خيرها، وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره، ازداد خيره، وحَسُنَ عمله.

التاسع - أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب.

العاشر - أنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبدًا، بل إن تعطلت منها منفعةٌ، ففيها منافعُ آخر، حتى لو تعطَّلت ثمارها سنةٌ، لكان للناس في سعفها، وخواصها، وليفها منافع، وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير، وذكر الترمذي مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**خيرُكم من يُرجى خيرُه، ويُؤْمَن شَرُّه، وشرُّكم من لا يُرجى خيره، ولا يُؤمَن شَرُّه**»[١].

ومما ورد في منفعة تمر النخل وبركته ما جاء عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَفْطَرَ أحدُكم فليفطِر على تمرٍ؛ فإنه بركة**»[٢].

ولاريب أن للتمر منافع مشهورة وقد اكتشف فيه الطب الكثير من الفوائد والمنافع الكثيرة، قال الحبيب المصطفى ﷺ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله**»[٣]، وعن جابر أن النبي ﷺ قال: «**نعم السحور التمر**»[٤].

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني. (٢) أخرجه أبو داود في «سننه».

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧٧٢).

الفصل الرابع
بركة اللبن

تأمل العبرة التي ذكرها الله - عَزَّ وَجَلَّ - في الأنعام وما سقانا من بطونها من اللبن الخالص السائغ الهنيء المريء الخارج من بين الفرث والدم، وأجود ما يكون اللبن، حين يحلب ثم لايزال تنقص جودته على مرِّ الساعات، فيكون حين يحلب أقل برودة أكثر رطوبة، والحامض بالعكس، وأجوده ما اشتد بياضه، وطاب ريحه، ولذَّ طعمه، وكان فيه حلاوة يسيرة، ودسومة معتدلة، ويُغذِّي غذاءًا حسنًا.

أنواع اللبن أربعة:

أولاً - لبن الضان: وهو أغلظ الألبان وأرطبها، وفيه الزهومة والدسومة ما ليس في لبن الماعز والبقر، ويُحدِثُ في الجلد بياضًا، إذا أُدمِنَ استعماله، وأكثر تناوله.

ثانيًا - لبن الماعز: وهو لطيف معتدل مُطْلِقٌ للبطن، مرطب، نافع من قروح الحلق والسُّعال ونفث الدم، واللبن المطلق أنفع المشروبات للبدن والإنسان، لما اجتمع فيه من التغذية والدَّسامة، لاعتياده حال الطفولية، وموافقته للفطرة الأصلية.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ أُتي ليلة أُسْرِيَ به بقدحٍ من خمر، وقدحٍ من لبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: **«الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذتَ الخمرَ غَوت أُمتك»**.

ثالثًا - لبن البقر: يُغذِّي البدن ويخصبه، ويطلق البطن باعتدال، وهو أعدل الألبان وأفضلها بين لبن الضأن ولبن الماعز في الرِّقَّةِ والغلظ والدسم.

وفي السنن من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: «**عليكم بألبان البقر؛ فإنها ترتم من كل الشجر**»(١).

رابعًا - لبن الإبل: وهو مفيد جيد معتدل، ترياق البدن من السموم، وفوائده متعددة نظرًا لجودته، واعتداله يُذْهِبُ الوسواس، وينقِّي المعِدَةَ من الأخلاط، ويُنمِّي الذكاء، ويزيد في قوة الحواس والإدراك، وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطعمه اللهُ طعامًا فليقل: اللهم باركْ لنا فيه، وأَطْعِمْنَا خيرًا منه، ومن سَقَاه لبنًا فليقل: اللهم بارِكْ لنا فيه، وزِدْنا منه؛ فإنه لا أعلم ما يُجْزِئُ من الطعام والشراب إلا اللبن**»(٢).

قال القرطبي في تفسيره تعليقًا على هذا الحديث: قال علماؤنا، فكيف لا يكون ذلك، وهو أول ما يُتغذَّى به الإنسان، وتُنَمَّى به الجثث والأبدان، فهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الأجساد، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم، فقال ﷺ في الصحيح: «**فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبن، فاخترتُ اللبنَ، فقال لي جبريل: اخترتَ الفطرة، أما إنك لو اخترتَ الخمرَ غوت أمتك**»(٣).

وقال أيضًا - رحمه الله -: ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب، وظهور الخيرات، وكثرة البركات، فهو مبارك كله.

---

(١) رواه الحاكم (٨٢٢٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٥٩).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٤٥).
(٣) رواه الإمام البخاري.

وقد دل حـديث ابن عـباس رضي الله عنهما على أن أفـضل الطعام والشـراب اللبن، ولذلك لم يقل في اللبن: وأطعمنا خيرًا منه، بل قال: **«وزدنا منه»**.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ اللبن أنفع المشروبات للبدن الإنساني، لما اجتمع فيه من التغذية والـدَّموية، ولاعتياده حال الطفولية، وموافـقته للفطرة الأصلية، ومنافع اللبن وبركته لا تخفى.

ونحب أن نُذَكِّرَ هنا طرفًا من الحديث عن الإرضاع الأمي لأبنائها يقوي الرابطة الروحية والعاطفية بين الأم وولدها، ويجعل الأم أكثر عطفًا وارتباطًا بطفلها، وهذه الرابطة هي الضمان الوحيد الذي يحدو الأم للاعتناء بوليدها بنفسها.

فهـو ليس عملية مـادية، بل هو رابطة مقدسة، بـين كائنين تشعر فـيه الأم بسعادةٍ عظمى، لأنها أصـبحت أُمًّا تقوم على تربية صغير ليكون غـرسًا طيبًا في بستان الحياة، والله سـبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

الفصل الخامس
بركة الخيل

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

والمعنى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ من النساء، والبنون شهوة من شهوات النفس الإنسانية قوية، وقد قُرِنَ إليهما القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ثم قُرِنَ إلى النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، الخيل المسومة.

وللخيل جمالٌ وفتوة وانطلاق وقوة، وفيها ذكاء وأُلفة ومَوَدَّة، والخيل كانت وما تزال حتى في عصر الآلة المادية اليوم زينة مُحبَّبة مُشتهاة، يحب الناس اقتناءها، وحتى الذين لا يقتنونها ولا يركبونها، يعجبهم مشهدها، ما دام في كيانهم حيوية تجيش لمشهد الخيل الفتية.

وقد أقسم الله بخيل المعركة، قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (العاديات: ١-٥)، يُقسِمُ الله سبحانه وتعالى بخيل المعركة، ويصف حركتها واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عدوُها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري قارعة للصخر بحوافرها، حتى تُوري الشَّرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغُبار، غبار المعركة على غير انتظار، وهي تتوسَّط صفوف الأعداء على غرة، فتُوقِع بينهم الفوضى والاضطراب.

* روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«البركة في نواصي الخيل»**(١).

* عن عبد الله بن مسعود: عن النبي ﷺ قال: **«الخيلُ ثلاثة: فرسٌ الرحمن، وفرسٌ للإنسان، وفرسٌ للشيطان، فأما فرسُ الرحمن فالذي يربط في سبيل الله، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ، وذَكَرَ ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يُقَامر أو يُرَاهن عليه، وأما فرس الإنسان، فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي تستر من فقر»**(٢).

* وثبت في الصحيحين عن عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الخيلُ معقودٌ في نَواصِيها الخيرُ إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»**.

أي: الأجر في الآخرة مع الغنيمة في الدنيا، وذلك إنما يكون من الخيل بالجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، ومن أهم المنافع والفضائل أن ارتباط الخيل واقتناءها للجهاد في سبيل الله لا للرياء ونحوه، من الأمور المشروعة، وفيه خير في الدنيا وأجر عظيم في الآخرة.

وقال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: في الحديث إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب، لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول، وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من احْتَبَسَ فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله، وتصديقًا بِوَعْدِهِ، فإن شِبْعَه وريَّهُ ورَوْثَه وبَوْلَهُ في ميزانه يومَ القيامة»**(٣)، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

---

(١) «صحيح البخاري». (٢) أخرجه الإمام أحمد.
(٣) صحيح البخاري، «كتاب الجهاد».

ومن منافع الخيل: الركوب والزينة، قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ (النحل: ٨)، وكان رسول الله ﷺ يحب الخيل، ويهتم بها.

فقد روى النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: **«لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل»**[(١)].

وقد اعتنى السلف الصالح من المسلمين بالخيل وأَكْرَمُوهَا وأَحَبُّوهَا، وحَرِصُوا على معرفة أنسابها وأخبارها، فحريٌّ بالمسلمين المحافظة على الخيل، والإكثار منها، وإعدادها للجهاد خاصَّة، فقد أخبرنا ﷺ أن بركة الخيل وخيرها مستمر إلى يوم القيامة، وهذا لا يعنى الاعتماد عليها فقط، وترك وسائل الحرب العصرية المناسبة، لدخولها في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

---

(١) سنن النسائى (جـ ٦) (ص٢١٨).

الفصل السادس

بركة الغنم

الدليل على بركة الغنم:

عن أم هانئ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**اتَّخِذِي غنمًا فإن فيها بركة**»[1]، وجاء في حديث عروة البارقي رضي الله عنه: «**والغنمُ بركة**»[2]، وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: سُئل رسول الله ﷺ عن الصلاة في مرابض الغنم، فقال: «**صلُّوا فيها؛ فإن فيها بركة**»، وبركة الغنم ومنافعها:

١ - في الأحاديث المتقدمة ونحوها: حَثٌّ من الرسول ﷺ على اتِّخاذ الغنم وتربيتها لوجود البركة الدنيوية فيها.

٢ - فقد بارك الله تعالى في نتاجها، فالملاحظ سرعة تكاثر أولادها.

٣ - فقد أخبر النبي ﷺ عن نفسه الكريمة، وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله نبيًا إلا رَعَى الغنم**»، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله، قال: «**وأنا رَعَيْتُهَا لأهل مكة بالقراريط**».

٤ - إن تربية الغنم ورعايتها تعلِّم الرحمة والعطف، إن الرَّاعي يقوم بمقتضى عمله بَرعْي الغنم من إطعامها، وريِّها والاهتمام بجميع شئونها، وخدمة الغنم، والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها، والنوم بالقرب منها، فتحتاج أيضًا في رعْيِها إلى الصبر والتحمُّل، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه بن ماجه. (٢) سنن ابن ماجه، كتاب «التجارات».

(٣) «الإصابة» (جـ١، ص١٤٦) و«تهذيب التهذيب» (جـ٢، ص٦٢).

٦ ـ وقد ذكر الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ من وجوه البركة في الغنم ما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد[١].

٧ ـ فقد ورد ذكر الغنم في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (طه: ١٧-١٨).

وقد خلق الله سبحانه هذه الحيوانات على اختلاف صفاتها، وأجناسها وأشكالها، ومنافعها، وألوانها لخدمة الإنسان، فيقودها ويُصرِّفها حيث شاء، لما فيه مصالح معاشِه ومعادِه، فانظر لحكمة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في خلقِه وأَمرِه فيما خلق، وفيما شرع: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).



(١) تفسير القرطبي.

الباب السابع

بركات الزمان

تمهيد:

إن الله فضَّل بعض الأوقات على بعض، كما فضَّل بعض الأزمان على بعض، وفضَّل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الليالي على بعض، وفضل بعض الأيام على بعض لحكمةٍ يعلمها العليم الخبير.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٦٨)، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

وهذا التفضيل تفضيل ذاتي لتلك الأزمان، لا باعتبار ما حدث فيها، فلا يُقال: إن الله فضل ليلة القدر بنزول القرآن فيها، بل الحق أن الله فضل ليلة القدر ذاتها وكرمها بعينها، ومن أجل شرفها وبركتها أنزل الله القرآن فيها، وهكذا بقية الأزمان والأيام المباركة عند الله، وحكمة وجود تلك الأيام المباركة لنغتنم الفرصة إلى الخيرات، ولنسارع فيها إلى الطاعات، وكما أن فضلها عظيم، فثواب العمل فيها جَزيل، ولذلك يُحرِّضُنَا النبي ﷺ على انتهاز الفرص، وطلب تلك الأيام المباركة، لنعمل فيها عملاً يقربنا إليه.

قال ﷺ: **«إن لله في أيام دهركم هذه لنفحات، ألا فَتَعَرَّضُوا لها؛ فإن الشَّقي من حُرِمَ فيها الأجر والثواب»**[1].

---

(١) رواه الطبراني من حديث محمد بن مسلمة مرفوعًا.

فما من هذه المواسم الفاضلة إلا ولله تعالى فـيه وظيفة من وظائف طاعاته، يتقرب بها إليـه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته، يصـيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه، بما فـيهـا من وظائف الطاعات، فـعسى أن تُصِيـبَهُ نفـحةٌ من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من النفحات.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم؛ فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم»(١).

---

(١) حسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٠).

الفصل الأول
بركات الشهور

شهر رمضان

من الشهور المباركة التي فضلها الله تعالى على سائر الشهور شهر رمضان، ولذا لم يذكر في القرآن صراحة شهرًا باسمه إلا شهر رمضان.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

والمعنى: يمدح الله تعالى شهر رمضان وتخصيصه بفريضة الصوم من بين الشهور وبإنزال القرآن فيه، إما بابتداء إنزاله فيه، وكان ذلك في ليلة القدر، أو بإنزاله فيه إلى السماء الدنيا، أو بالاثنين معًا.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾: هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله، هدى لقلوب العباد ممن آمن به، وصدقه واتبعه ودلائل وحُجَجًا بيِّنة واضحة جلية لمن فهمها، وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى والرشاد المنافي للضلال، والمخالف للغَيِّ ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

وشهر رمضان قد حظي ببركات عديدة متنوعة، نستطيع أن نقسمها إلى قسمين:

١- بركات دينية.

٢- بركات دنيوية.

أولاً - البركات الدينية:

تتمثل فيما يلي:

١ - فرض الله فيه فريضة من أَجَلِّ الفرائض وأعظمها: ألا وهي فريضة الصيام، تِلكُم الفريضة لا يعلم ثوابها ومقدارها أحدٌ إلا الله، وقد جاء في الحديث القدسي: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أَجْزي به»**[١].

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»**[٢].

٢ - ومن بركة رمضان وفضله عند الله: اختاره الله لإنزال الكتب السماوية فيه، فعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: **«أُنزلت صُحف إبراهيم في أوَّل ليلةٍ من رمضان، وأُنزلت التوراةُ لِستٍ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وانزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»**[٣].

وأخرج ابن مردويه من حديث جابر، وفيه: **«أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثماني عشرة»**، والباقي كما تقدم.

٣ - مضاعفة الأجر: لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: كُلُّ عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزى به»**، وفي رواية للإمام مسلم: **«كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزى به؛ يدع شهوتَه وطعامَه من أجلي»**[٤].

---

(١) (٢) (٣) متفق عليها.

(٤) «صحيح مسلم» (جـ ٢) (ص٨٠٧).

٤ - تكفير السيئات: فعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ؛ مُكفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائرُ**»[١].

٥ - شهر قبول الدعاء: لقد جاءت آية الدعاء بين ثنايا آية الصيام، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

قال ابن كثير: وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدَّة.

روى ابن ماجه في (سننه) عن عبد الله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**إنَّ للصائم عند فِطرِهِ دعوةً ما تُردُّ**».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهم: الإمام العادل، والصائم حين يُفطِر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتُفتَحُ لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصُرَنَّك، ولو بعد حين**»[٢].

٦ - شهر الصفاء والنقاء: من بركات هذا الشهر أنه شهر الصفاء والنقاء، تُفتح فيه أبوابُ الجنان، وتُغلق أبوابُ النِّيران، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضانُ فُتحَت أبوابُ الجنة وغُلِّقَت أبوابُ النار، وصُفِّدَتْ الشياطين**»[٣].

قال الحافظ ابن المنذر: معنى «فُتحت» يحتمل أن يراد حقيقته، ويُحتمل أن يراد به كثرة الطاعات في شهر رمضان، فإنها موصلة إلى الجنة، فكَنَّى بها عن

---

(١) رواه مسلم (١٦، ٢٣٣)، والترمذي (٢١٤)، وابن ماجه (٧٠٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد، سنن الترمذي والنسائي، وابن ماجه.

(٣) متفق عليه.

ذلك، والأول أظهـر، وقوله: «وغُلِّقَت أبوابُ جهنم»؛ لأن الصـوم جُنَّة، فتـغلق أبوابها بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعـمال السيِّئَـة المستوجـبة للنار، فإن قـيل: قد تقع الشـرور والمعـاصي في رمضـان كـثيـرًا، فلو شـدت الشيـاطين بالأغـلال، لم يقع شيء من ذلك، أُجِـيبَ: بأن هـذا في حق الصـائمين الذين حافظوا على شروط الصوم، وراعوا آدابه والمقصود تقليل الشرور فيه لفضله.

قال الحليمي: وتَصْفِيدُ الشيـاطين في شهر رمضان يحتمل أن يكون المراد به أيامه وأراد الشياطين التي هي مسترقة السَّمْعِ ألا تراه، قال: مردة الشياطين، لأن شهر رمضان كان وقتًا لنزول القرآن إلى سـماء الدنيا، وكانت الحراسة قد وقعت بالشهب، كـما قال: «وحفظًا من كل شيطان مارد»، فزيد التـصفيد في شـهر رمضان مبالغة في الحفظ ـ والله أعلم ـ، ويُحتمل أن يكون المراد أيامه وبعده.

والمعنى: أن الشـياطين لا يـخلصون فـيه من إفـسـاد الناس، إلى ما كـانوا يخلصون إليـه في غيره، لاشتـغال المسلمين بالصيـام الذي فيه قمع الشـهوات، وبقراءة القرآن، وسائر العبادات[1].

٧ ـ شهر النفحات للأمة المحمدية: إن التابع يشرف بشرف المتـبوع، وقد كرم الله الأمة المحمدية إكرامًا لنبيها، فحضها بالعطايا والنفحات، بما لم يعط أمة من الأمم قبلها، ومن تلك النفحات ما حباها به في شهر رمضان.

فقـد ثبت في الصحيحـين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَن صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ»[2].

---

(١) «الترغيب والترهيب» (جـ ٢) (ص٦٨-٦٩).

(٢) متفق عليه.

وفي رواية للنسائي والإمام أحمد: «أتاكُم رمضان شهرٌ مباركٌ»، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان، مُكَفِّراتٌ لما بينهن إذا اجْتُنِبَتْ الكبائر»[١].

بركات الصيام الدينية والدنيوية:

١ - **قيام الليل:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»، فتوفي الرسول ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرًا من خلافة عمر على ذلك[٢].

وقد صَلَّى رسولُ الله ﷺ التراويحَ بأصحابه رضي الله عنهم ثم تركها خشية أن تُفْتَرَضَ ثم رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجمع الناس عليها في المسجد، ولازالت هذه الشعيرة إلى اليوم والحمد لله.

٢ - **الصَّدَقَة:** أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يَلْقَاهُ جبريلُ، فإذا لقيه كان أجود بالخير من الريح المرسَلَة**»[٣]، ويُستفاد من هذا الحديث استحباب إكثار الجود والصدقات، لاسيِّما في شهر رمضان المبارك.

٣ - **تلاوة القرآن الكريم:** يستُحب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، فقد أنزل الله القرآن الكريم فيه، ولقد كان النبي ﷺ يقرأ القرآن مع جبريل في كل رمضان مرة، كما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «**وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلةٍ في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبيُّ ﷺ القرآن**»[٤].

---

(١) الإمام مسلم في «صحيحه».
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (جـ ١) (ص٥٢٣).
(٣) صحيح البخاري.
(٤) أخرجه البخاري.

٤ ـ **الاعتكاف**: وهو ملازمة المسجد للعبادة تقربًا إلى الله تعالى، وقد كان ﷺ يعتكف العشرَ الأواخر من شهر رمضان، ففي حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفَّاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده[1].

ولاشك أن الاعتكاف يُعينُ صاحِبَهُ على التَّفَرُّغ للعبادة والقُرب من الله ـ جَلَّ وعلا ـ ولاسيما أوقات المواسم الشريفة، كشهر رمضان أو العشر الأواخر منه.

٥ ـ **العمرة**: ومما يدل على فضلها في رمضان قول النبي ﷺ للمرأة الأنصارية التي فاتها الحج معه ﷺ: **«فإذا كان رمضان فاعتمري فيه؛ فإن عُمرةً في رمضان تعدل حجة»**، وفي رواية: **«تقضي حجة أو حجة معي»**[2]، والمقصود: أنها تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض.



(١) أخرجه البخاري في كتاب «الاعتكاف». (٢) صحيح البخاري.

الفصل الثاني
بركات الليالي

لقد فضَّل اللهُ بعضَ الليالي على بعض، تفضيلاً ذاتيًا لحكمة يعلمها هو، كما مَرَّ آنفًا فمن الليالي الفُضْلَيَات ليلةُ القدر، وليلةُ الإسراء، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتا العيد، هذه الليالي هُنَّ أفضل من غيرهن ليس معنى ذلك أنهن متساويات في الفضل، فمع تفضيلهن على غيرهن من الليالي هناك تفاوت بينهن في الفضل وسوف نتناول حديثنا عن ليلة القدر.

ليلة القدر

فهي ليلة من ليالي شهر رمضان، وصفها اللهُ بالبركة وسمَّاها بليلة القدر، والسبب في تسميتها بذلك، خمسة أقوال:

احدهما - ان القدر: العظمة من قولك: فلان ذ، قدر، قاله الزهري، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الانعام: ٩١).

الثاني - انه من الضّيق: أي: هي ليلة تضيق فيها الأرضُ عن الملائكة الذين ينزلون، قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ (الطلاق: ٧).

الثالث - ان القدر «الحكم»: كأنَّ الأشياء تُقَدَّرُ فيها، قاله ابن قتيبة: إن الله يُقَدِّر فيها الأرزاقَ والآجالَ والحوادث كلها للسَّنة الآتية، وأن الملائكة تكتب ذلك.

الرابع - ومنها عظم القدر والشرف والشان لهذه الليلة: لنزول القرآن فيها، أو لما يقع فيها من نزول الملائكة، أو ما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة.

والخامس ـ **لأنه نزل فيها كتابٌ ذو قَدْر**، وتنزل فيها رحمةٌ ذاتُ قدر، وملائكة ذوو قدر، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله[١].

أقوال العلماء في ليلة القدر:

هذه الليلة هي أفضل الليالي، وشَرَّفَهَا الله تعالى على غيرها فهي ليلةٌ مباركة، كما قال ـ جَلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣).

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: وَصَفُهَا بالبركة لما يُنزِّلُ الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب[٢].

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلةٍ مباركةٍ، وهي ليلة القَدْرِ[٣].

قال النسفي: «والمباركة كثيرة الخير، لما ينزل فيها من الخير والبركة، ويستجاب من الدعاء، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: ٣)، أي: أنزلناه، لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب»[٤]، أي: مُعلِّمين الناس ما ينفعهم ويضرُّهم شرعًا، لتقوم حُجَّة الله على عباده ﴿يُفْرَقُ﴾ أي: يُفصل ويُكتب، ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾ من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيء في السَّنة المقبلة ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: ذي حكمة، أي: مفعول على ما تقتضيه الحكمة.

وقال ابن كثير: أي: محكم لا يُغير ولا يُبدل، وقال: أي: في ليلة القدر، يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَة أمرُ السَّنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

---

(١) «زاد المسير» (جـ ٩) (ص١٨١).
(٢) «تفسير القرطبي» (جـ ١٦) (ص١٢٦).
(٣) «تفسير ابن كثير» (جـ ٤) (ص١٣٧).
(٤) انظر «تفسير الألوسي» (جـ ٢٥) (ص١١٢).

وقال تعالى في شأن ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر).

والمعنى: يخبر سبحانه أنه أنزل القرآن في ليلة القدر والضمير المبتدأ هنا: ﴿إِنَّا﴾: المفيد للعظمة يعود على الله، والمعنى أن الله العظيم أنزل القرآن العظيم بواسطة مَلَكٍ عظيم على نبيٍ عظيم لأُمَّةٍ عظيمة في ليلةٍ عظيمة.

والضمير المنصوب في ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: يعود على القرآن الكريم، وفي الإتيان بهذا الضمير للقرآن، مع أنه لم يَجْرِ له ذكر تنويه بشأنه، وإيذان بشهرة أمره، حتى إنه ليستغنى عن التصريح به، لحضوره في أذهان المسلمين، والمراد بإنزاله: ابتداء نزوله على النبي ﷺ، لأنه من المعروف أن القرآن الكريم قد نزل على النبي ﷺ مُنَجَّمًا في مُدَّة ثلاث وعشرين سنة، ويصح أن يكون المراد بأنزلناه: أي: أنزلناه جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مُنجَّمًا على النبي ﷺ.

وقال صاحب الكشاف: عظَّم سبحانه القرآن من ثلاثة أوجه:

أحدهما- أن أسند إنزاله إليه، وجعله مختَّصًا به دون غيره.

الثاني- أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه.

الثالث- الرفع من مقدار الوقت الذي أُنزل فيه[1].

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: تنويه آخر بشرف هذه الليلة، وتفخيم لشأنها حتى لكأن عظمتها أكبر من أن تحيط بها الألفاظ، أي: وما الذي بمقدار عظمتها وعلو قدرها، وأن الذي يعلم مقدار شرفها هو الله تعالى علام الغيوب.

---

(١) «تفسير الكشاف» (جـ ٤).

ثم بين سبحانه مظاهر فضلها، فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ بسبب أن العبادة فيها أكثر ثوابًا، وأعظم فضلاً من العبادة في أشهر كثيرة ليس فيها ليلة القدر.

العمل القليل قد يَفضُل على العمل الكثير، باعتبار الزمان والمكان وإخلاص النِّيَّةِ وحُسْنِ الأداء، ولله تعالى أن يَخُصَّ بعض الأزمنة والأمكنة والأشخاص بفضائل متميزة، والتحديد بألف شهر يمكن أن يكون مقصودًا، ويمكن أن يراد منه التكثير، وأن المراد أن أقل عدد تفضله هذه الليلة هو هذا العدد، فيكون المعنى: أن هذه الليلة تفضل الدهر كله، وليلة القدر المباركة تشتمل على فضائل عظيمة، وخيرات كثيرة:

١ ـ *يُفرَقُ في هذه الليلة كلُّ أمرٍ حكيم:*

لقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤)، ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ أي: يفصل، ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **«يُكتب من أم الكتاب في ليلة القدر، ما هو كائنٌ في السَّنَة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج»**[١].

٢ ـ *مضاعفة العمل فيها ومغفرة ذنوب من قامها:*

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، قال المفسرون: معناه: عملٌ صالح في ليلة القدر خيرٌ من عمل ألف شهر، ليس فيه ليلة القدر، وهذا فضلٌ عظيم، ورحمةٌ من الله لعباده، وبركةٌ عظيمة ظاهرة لهذه الليلة، وأخرج الشيخان عن أبي هريرة: **«مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»**، والقيام يكون بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن.

---

(١) «تفسير البغوي».

٣ ـ إنزال القرآن فيها:

فمن فضائلها وبركاتها أن القرآن الكريم الذي فيه هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة قد أُنزل فيها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، قيل: المراد: إنزال القرآن ليلة القدر جملة واحدة، ثم أُنْزِلَ مُنجَّمًا على النبي ﷺ.

٤ ـ من بركات هذه الليلة تنزل الملائكة فيها:

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره: أي يكثر تَنَزُّل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يَتَنَزَّلون مع البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بِحِلَقِ الذِّكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق، تعظيمًا له[1].

والروح: هو جبريل عند جمهور المفسرين، أي: تتنزل الملائكة ومعهم جبريل، وخُصَّ بالذِّكر تعظيمًا له، وتشريفًا لشأنه[2].

٥ ـ هي سلام وكلها خير ليس فيها شر:

قال تعالى: ﴿سَلامٌ هِيَ﴾، وقيل في معنى السلام: إنه لا يحدث فيها داء، ولا يُرسَلُ فيها شيطانٌ، وقيل: معناه الخير والبركة فهي خير كلها، ليس فيها شَرٌّ إلى مطلع الفجر، وقيل: المراد تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٤) (ص٥٣٢).
(٢) «فتح القدير» للشوكاني (جـ ٥) (ص٤٧٢).
(٣) ابن كثير (جـ ٤) (ص٥٣٢).

متى تكون ليلة القدر؟

جمهور العلماء على أن هذه الليلة مخـتـصَّة في رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله تعـالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ولكنهم اختلفوا في تعيينها في هذا الشهر.

والراجح، والذي عليـه الجمـهور، أنها فـي العشر الأواخـر، وفي أوتارها خاصة، ومما يدل على ذلك أمـر رسول الله ﷺ لصحابته ﷺ بالتمـاسها في هذا الوقت.

فقد أخرج البخـاري عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«تحرَّوا ليلةَ القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**، وأيضًا اهتمـام الرسول ﷺ بهذه العشر، والاعتكاف فيها، وإحياء لياليها بالعبادة.

وهناك أقـوال أخرى للعلـماء في تحـديد وقت ليلة القـدر تزيد على أربعين قولاً، وأصح علامات ليلة القدر: أن الشمس تطلع في صبـيحتها لا شعاع لها، وقيل: لا تسمع فيها نبـاح الكلاب، وتسمع صياح الديكة، وأخفيت هذه الليلة عن الناس - والله أعلم - ليعظِّمـوا جميعَ ليـالي رمضان، ويجتـهدوا فيهـا رجاء إصابتها حتى يكْثُرَ ثوابهم.

فجدير بالمسلمين أن يتحرُّوا وقتهـا، حتى يوافقُوها، وأن يعظِّموها ويحيوها بالعبادة، ويتضرَّعوا إلى الله تعالى بالدعاء والذكر والاستغفار، راجين عفو الله، اللهم إنك عَفُوٌ تُحِبُّ العفوَ، فاعْفُ عنَّا.

بركات الأشهر الحرم

معنى الأشهر الحرم:

الأشهر الحرم هي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، اختصها الله تعالى بالحرمة، واصطفاها من بين سائر الأشهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة: ٣٦)، روى ابن جرير الطبري - رحمه الله - بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في شأن تعظيم الله لحرمة هذه الأشهر قوله: **«جعلهن حرامًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح، والأجر العظيم»**[١]، وكان العرب في الجاهلية تحرم هذه الأشهر وتعظمها، وتحرم القتال فيها.

قال ابن كثير: إنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد، وواحد فرد، لأجل آداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل أشهر الحج شهرًا، وهو ذو القعدة، لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة، لأنهم يوقعون فيه الحج، ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهرًا آخر، وهو المحرم، ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرَّم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه آمنًا[٢].

ومما جاء في القرآن الكريم في شأن هذه الأشهر الحرم، قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة: ٢).

---

(١) «تفسير الطبري» (جـ ١٠) (ص١٢٦). (٢) ابن كثير.

قال الحافظ ابن كثير: يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه، من ابتداء القتال، وتأكيدًا لاجتناب المحارم[١].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة: ٩٧).

قال البغوي ـ رحمه الله ـ: أراد أنه جعل الأشهر الحرم قيامًا للناس يأمنون فيها القتال[٢].

وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السَّنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، شهر مُضَر الذي بين جمادى وشعبان»**[٣].

ويرى جماعة من السلف أن حكم تحريم القتال في هذه الأشهر الحرم ثابت ومستمر للأدلة المتقدمة، ويرى آخرون أن النهي عن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦)، وقد رجح هذا الرأي الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: هذا الرأي هو الأشْهَر ـ والله تعالى أعلم ـ.

بركات الأشهر الحرم وفضائلها:

* وسوف نتحدث عن بعض بركات الأشهر الحرم وفضائلها.

أولاً ـ شهر ذي القعدة:

هو أحد أشهر الحج التي قال الله تعالى فيها: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وهي التي لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها على الصحيح، وأشهر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٢) (ص٥).　　(٢) «تفسير البغوي» (جـ ٢) (ص٦٨).
(٣) متفق عليه.

الحج هي شوال، وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، ومن خصائص هذا الشهر أن عُمَر النبي ﷺ الأربع كلها كانت فيه، سوى عمرته التي قرنها بحجته، مع أنه ﷺ أحرم بها أيضًا في ذي القعدة، وفعلها في ذي الحجة مع حجته[١].

وقد وجه ابن القيم ذلك: بأن العمرة في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره، وهذه الأشهر قد خصها الله تعالى بهذه العبادة، وجعلها وقتًا لها والعمرة حج أصغر، فأولى الأزمنة بها أشهر الحج، وذو القعدة أوسطها.

ولهذا رُوي عن طائفة من السلف استحباب العمرة في ذي القعدة، لكن ذلك لا يعني أن العمرة في ذي القعدة أفضل من العمرة في رمضان، لأن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لحديث رسول الله ﷺ للمرأة الأنصارية التي فاتها الحج معه ﷺ، فقال لها: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة**»، وفي رواية: «**تقضي حَجَّة أو حَجَّة معي**»[٢].

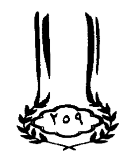
ومن مزايا هذا الشهر أن الثلاثين ليلة التي واعد الله فيها موسى عليه السلام لتكليمه هي في شهر ذي القعدة، والعشر هي عشر ذي الحجة على قول أكثر المفسرين، وقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ثانيًا - شهر ذي الحجة:

من فضائل هذا الشهر وبركاته أن أعمال الحج ومناسكه تؤدَّى فيه، تلك الشعيرة العظيمة من شعائر الدين، وهي ركن من أركان الإسلام للمستطيع، ومنها: أنه يتضمن عشرة أيام فاضلة مباركة في أوله، وثلاثة أيام بعدها، وهي أيام التشريق الشريفة، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل.

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص٢٧٤).   (٢) متفق عليه.



ثالثًا ـ شهر المحرم:

من فضائل هذا الشهر وبركاته ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم»**[(١)].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: سَمَّى النبي ﷺ المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته[(٢)].

وقد قيد العلمـاء أفضلية صيام هذا الشهر، بـأن المراد أنه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملاً بعد رمضان، لأن التطوع بصيام بعض الأيام مثل يوم عرفة أو ستة أيام من شوال أفضل من التطوع بصيام بعض أيام المحرم.

ومن بركات هذا الشهر المحرم: أن اليوم العاشر منه هو يوم عاشوراء، ذلك اليوم الشريف المبارك.

ولهذا اليوم حُرمة قديمة، حيث أَنْجَى الله تعالى فيـه عبده ونبيـّه موسى ﷺ وقومه، وأغرق عدوه فرعون وجنوده، وفي الصـحيحين عن عائشة ﷺ قالت: كانت قريش تصـوم عاشوراء في الجاهلية، وكان الرسول ﷺ يـصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامَه، وأمر الناسَ بصيامه، فلما فُرض شهرُ رمضان قال: **«من شاء صامَه، ومن شاء تركه»**[(٣)].

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجـد اليهود صيامًا، يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما هذا اليوم الذي تصومونه»**، فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيـه موسى وقومـه، وأغرق فرعـونَ وقومَه، فصـامه

---

(١) «صحيح مسلم» (جـ ٢) (ص٨٢١). (٢) «لطائف المعارف» (ص٣٢).
(٣) متفق عليه.

موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أحقُّ بموسى منكم**»، فصامه ﷺ، وأمر بصيامه[١].

وفي صيام هذا اليوم فضلٌ عظيم، حيث إن صيامه يكفِّر السَّنة الماضية، كما في صحيح مسلم: من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: «**يُكفِّر السَّنة الماضية**»[٢].

وقال جماعة من العلماء: يُستحبُّ صوم التاسع والعاشر، لأن النبي ﷺ صام العاشر، ونَوى صيام التاسع.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: ولعل السبب أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر، ولا يشرع في هذا اليوم شيءٌ غير الصيام، لكن البعض قد أحدث فيه أمورًا لا أصل لها، أو أنها تعتمد على أحاديث موضوعة أو ضعيفة.

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: أن من الحوادث المنكرة ما أحدثه بعضُ أهل الأهواء، وهم الرافضة، في يوم عاشوراء من التعطش والتحزن، وغير ذلك من الأمور المحدثة، التي لم يشرعها الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، ولا أحد من السلف، لا من أهل بيت رسول الله ﷺ، ولا من غيرهم، وأن مصيبة قتل الحسين يجب أن تُتلقى بما تُتلقى به المصائب من الاسترجاع المشروع، إن لله وإنا إليه راجعون.

كما ذكر أيضًا أن بعض الناس قد أحدث فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها، مثل: فضل الاغتسال فيه، أو التكحل، أو المصافحة ونحو ذلك، أو إظهار الفرح والسرور، وتوسيع النفقات فيه[٣].

---

(١) متفق عليه. (٢) «صحيح مسلم».

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (جـ ٢) (ص ٦٢٠-٦٢٤).

وهناك أفعال منكرة رأيتها بعيني، من شق الجيوب، والضرب عليها للتكفير عن خطأهم في حق الحسين، والضرب على أجسادهم، وإحداث الجروح بها والمسيرات الحاشدة، وإطعام الطعام الذي يقومون بعده بضرب من أطعموه تكفيراً عن ذنبهم في حق الإمام الحسين، وإلى غير ذلك من الأشياء التي تخالف الشريعة الإسلامية.

فضائل وبركات عشر ذي الحجة وأيام التشريق:

المقصود بهذه العشر: العشر الأول من شهر ذي الحجة، وقد أقسم الله تعالى بها، في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ١-٢)، على قول أكثر العلماء، وهو اختيار ابن جرير الطبري، وابن كثير ـ رحمهما الله ـ، وتشتمل على عدة بركات وفضائل:

١ ـ فضل العمل الصالح في هذه الأيام على غيرها من أيام السنة، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أيَّام العمل الصالح فيهنَّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة**»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[1].

وقد استدل بهذا الحديث على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل الصالح، ما عدا يوم العيد، فإن صومه محرَّم[2].

ويشرُع التكبير في هذه الأيام، جاء في (صحيح البخاري) تعليقًا: كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر، يكبران ويكبِّر الناسُ بتكبيرهما[3]، وكان عطاء بن أبي رباح يُكبِّر في العشر في الطريق، وفي الأسواق.

---

(١) «صحيح البخاري». (٢) «فتح الباري».
(٣) «صحيح البخاري».

٢- الإكثار من الذكر فيها والدعاء، فقد دل عليه قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهنَّ التكبير والتحميد والتهليل**»[١].

٣- وقد دلت الأحاديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيءٍ منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده، وفي الحديث: «**ما من أيام العمل فيها أفضل من أيام العشر**»، وروي بالشك في لفظ: «**أحب وأفضل**» إلى الله من العمل في غيره من أيام السَّنة كلها[٢].

٤- مضاعفة جميع الأعمال الصالحة في العشر من غير استثناء شيء منها، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عباس، كما أخرجه البخاري، وقد رَوَى في خصوص صيام أيامه، وقيام لياليه، وكثرة الذكر فيه ما يذكر مما يَحسُن ذِكرُه دون ما لا يحسن لعدم صحته.

٥- يستحب قيام ليالي العشر، فهي أيام المشاعر وأيام الحج، وفيها أفضل يوم، وهو يوم عرفة ويوم النحر.

٦- ومن فضائله أيضًا أنه من جملة الأربعين التي وَاعَـدَهَا الله - عَزَّ وَجَلَّ - لموسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢).

وروى عبد الرزَّاق عن معمر عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال: ما من عملٍ في أيام السَّنَة أفضل منه في العشر من ذي الحجة، وهي العشر التي أتمها الله لموسى عليه السلام.

---

(١) رواه أحمد في «المسند».

(٢) «لطائف المعارف» (ص٣٧٢).

٧ـ ومن فضائله: أنه الأيام المعلومات التي شرع الله ذكره فيها، وإقامة شعائره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج: ٢٨)، وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم: ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والنخعي وأبي حنيفة والشافعي وأحمد.

٨ـ ورُوي عن أبي موسى الأشعري أن الأيام المعلومات هي تسع ذي الحجة، غير يوم النحر، وأنه قال: لا يرد فيهن الدعاء.

٩ـ فأما أهل الأمصار، فإنهم يشاركون الحاج في عشر ذي الحجة في الذكر وإعداد الهَدْي، فإن العشر تعد فيه الأضاحي، كما يسوق أهل الموسم الهَدْي، ويشاركونهم في بعض إحرامهم، فإن من دخل عليه العشر، وأراد أن يُضحِّي، فلا يأخذ من شعره ولا من أظافره شيئًا، كما روت ذلك أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وخرَّج حديثها مسلم، وأخذ بذلك الشافعي وأحمد[١].

١٠ـ فمن فضائله: أن الله تعالى أقسم به جملة، وببعضه خصوصًا، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ١-٢)، فقيل: أنه أراد جنس الفجر، وقيل: طلوع فجر يوم النحر، فالعشر يشتمل على الفجر الذي أقسم الله به، وأما الليالي العشر فهي عشر ذي الحجة، هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسِّرين من السلف وغيرهم.

---

(١) «لطائف المعارف» (ص٣٨٨).

بركة الأيام

أولاً - بركة يوم عرفة

لقد أكرمنا الله به، وبارك الله لنا فيه، ونشر علينا فيه من نفحاته ورحماته، وأعطانا فيه من الثواب والفضل ما لم يعطه لغيرنا.

وسُمِّيَ هذا اليوم بيوم عرفة لما يفعله الحجاج في هذا اليوم، حيث يجتمعون في التاسع من ذي الحجة في عرفات متضرعين مبتهلين إلى الله رب العالمين، ليغفر لهم ذنوبهم، ويُكفِّرَ عنهم سيئاتهم، وليرفعَ لهم في درجاتهم.

فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِين، جاءوا من كل فَجٍّ عميق يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة»**[١].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله تعالى فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه لَيَدْنُو، ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»**[٢].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلي السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثًا غُبْرًا، ضاحِين، من كلِّ فجٍّ عميق، أُشْهِدُكم أني قد غفرتُ لهم»**[٣].

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وغيرهم.

(٢) رواه مسلم في كتاب «الحج».

(٣) أخرجه الإمام ابن خزيمة (جـ ٤) (ص٢٦٣)، والإمام البغوي «شرح السنة» (جـ ٧) (ص١٥٩).

والوقـوف بعرفـة هو أبرز أركان الحج، لما صح عن النبي ﷺ أنـه قال: «الحج عرفة»[١]؛ فمن لم يقف بعرفة فلا حجَّ له، وإن عمل جميع المناسك.

وعرفات: جمع عرفة، سمُيِّت بها بقعـة واحدة، والتقدير: كأن كل قطعة عرفة، سمى مجموع تلك القطع بعرفات، ومُنِعَت من الصَّرف بسبب التعريف والتأنيث.

معنى اللَّفظة في الأصل اسم لقطع كثيرة من الأرض كل واحدة منها مُسَمَّاة بعرفة، وعلى هذا التـقدير لم يكن علمًا ثم جُعلت علمـًا لمجمـوع تلك القطع، فتركوها بـعد ذلك على أصلها من عدم الصرف، والتاسع من ذي الحـجة يسمى بيوم عرفة كما سبق[٢].

بركات يوم عرفة

لقد خص الله يوم عرفة من بين سائر أيام العام ببركات كثيرة منها:

١ ـ أنه يوم إغاظة الشيطان وإذلاله:

فعن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: **«ما رُؤي الشيطانُ يومًا هو فيه أصغر ولا أدحَر ولا أحقَر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى فيه من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رؤي يوم بدر، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة»**[٣].

٢ ـ ومن بركات هذا اليوم أنه يوم المباهاة:

فعن أبي هريرة ﷺ: عن رسول الله ، قال: **«إن الله يُباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثًا غُبرًا»**[٤].

---

(١) رواه الترمذي والنسائي.
(٢) الفخر الرازي (جـ ٥) (ص١٧٣).
(٣) رواه مالك والبيهقي.
(٤) رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم.

٣ ـ ومن بركات هذا اليوم عتق من النار:

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنُو يتجلَّى ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[(١)].

٤ ـ ومن بركة هذا اليوم تخصيص صيام يوم عرفة بكثرة الثواب:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، قال: «**يُكفِّر السنة الماضية والباقية**»[(٢)].

ويستحب صيامه لغير أهل عرفة، فقد كان من هديه ﷺ الإفطار بعرفة يوم عرفة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ: نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة يوم عرفة، لأهل عرفة.

٥ ـ ومن شهادة هذا اليوم شهادة التوحيد:

الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل الدين الذي أكمله الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه.

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو، قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ في يوم عرفة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير**»[(٣)].

وأخرجه الترمذي ولفظه: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير**»[(٤)]، وخرجه الطبراني من حديث علي وابن عمر مرفوعًا أيضًا ـ والله أعلم ـ.

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند».
(٤) رواه الطبراني.

ثانيًا - بركة يوم الجمعة

ذكر الله في القرآن الكريم يومين باسميهما، وهما يوم الجمعة، والسبت.

أما السبت: فذكره في معرض الابتلاء والامتحان لبني إسرائيل، فاختلفوا فيه، واعتدوا على أمر ربهم، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

وأما الجمعة: فقد ذكره الله في معرض التكريم، وأفرد له سورة باسمه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، والمقصود بالنداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ﴾: جميع المكلفين بها الذين يجب عليهم أداؤها وناداهم سبحانه بصفة الإيمان لتحريك حرارة الإيمان في قلوبهم، ولتحريضهم على المسارعة إليها، إذ من شأن المؤمن القوي أن يكون مطيعًا لما يأمره خالقه.

والمراد بالنداء: الأذان والإعلام بوقت حلولها، والمقصود بالصلاة المنادى لها هنا: صلاة الجمعة، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾.

واللام في قوله: ﴿لِلصَّلاةِ﴾: للتعليل، ﴿مِن﴾: بمعنى: في، أو للبيان أو للتبعيض، لأن يوم الجمعة زمان تقع فيه أعمال منها الصلاة المعهودة فيه، وهي صلاة الجمعة، ولأن الأمر بترك البيع خاص بها، لوجود الخطبة فيها.

وقوله: ﴿فَاسْعَوْا﴾: جواب الشرط من السعي، وهو المشي السريع، والمراد به هنا: المشي المتوسط بوقار وسكينة، وحسن تهيؤ لصلاة الجمعة.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي في قوله: ﴿فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: المبادرة إليها من حين يُنادى إليها، والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة والاهتمام، وجعلها أهم الأشغال[1].

فقد أخرج الستة في كتبهم عن أبي سلمة من حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أُقيمت الصلاة، فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»**.

والمراد بذكر الله: الخطبة، والصلاة جميعًا لاشتمالها عليه، واستظهر بعضهم أن المراد به الصلاة، وقصره بعضهم على الخطبة[1].

وإنما عبر سبحانه بالسعي لتضمُّنه معنى زائدًا على المشي، وهو الجد والحرص على التبكير، وعلى توقي التأخير.

والمعنى العام ــ يا من آمنتم بالله حق الإيمان، إذا نادى المنادي لأجل الصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إليها بجدٍ، وإخلاص نيَّة، وحرصٍ على الانتفاع لما تسمعونه من خطبة الجمعة، التي هي لون من ألوان ذكر الله وطاعته.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾: الظاهر أنه للوجوب ما لم يوجد له صارف عن ذلك، ولا صارف له هنا.

والمراد من البيع هنا: المعاملة بجميع أنواعها، فهو يعني البيع والشراء وسائر أنواع المعاملات.

أي: إذ نودي لصلاة الجمعة، فاخرجوا إليها بحرصٍ وسكينة ووقار، واتركوا المعاملات الدنيوية من بيع وشراء وإجارة وغيرها.

---

(١) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».
(٢) «تفسير الألوسي» (جـ ٢٨) (ص١٠٢).



قوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾: لأنه أهم أنواع المعاملات فهو من باب التعبير عن الشيء بأهم أجزائه.

واسم إشارة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: يعود إلى ما سبق ذكره من الأمر بالسعي إلى ذكر الله متى نودي للصلاة، وترك الاشتغال بالبيع وما شابهه.

أي: ذلكم الذي أمرتُكم به من السَّعي إلى ذكر الله عند النداء للصلاة من يوم الجمعة، ومن ترك أعمالكم الدنيوية خير لكم مما يحصل لكم من رزق في هذه الأوقات عن طريق البيع أو الشراء، أو غيرها، فالمفضَّل عليه محذوف لدلالة الكلام عليه، والمفضَّل هو السَّعي إلى ذكر الله تعالى.

وهذا التفضيل باعتبار أن منافع السعي إلى ذكر الله تعالى باقية دائمة، أما المنافع الدنيوية، فهي زائلة فانية وجواب الشرط في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

أي: إن كنتم تعلمون، ما هو خير لكم، فاسعوا إلى ذكر الله عند النداء للصلاة، واتركوا البيع والشراء، أو إن كنتم من أهل العلم والفقه السليم للأمور، عرفتُم أن امتثال أمر الله تعالى بأن تسْعَوا إلى ذكر الله عند النداء لصلاة الجمعة خير لكم من الاشتغال في هذا الوقت بالبيع والشراء، إذ في هذا الامتثال سعادتكم ونجاتكم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة[١].

والجمعة من بركات الأمة المحمدية، لقد أعطى الله الأمة المحمدية بركات كثيرة، وحباها بآلاء عظيمة، إكرامًا لنبيها ﷺ، ومنها يوم الجمعة، فقد هدى

---

(١) «البركة في القرآن الكريم» محمد أحمد طه.

الله الأمة المحمدية إليه، ودلهم عليه، بينما صرف غيرهم عنه من أهل الملل السابقة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا اليوم يومهم الحق فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد**»[1].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة**»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خيرُ يوم طَلَعَت عليه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِلَ الجنة، وفيه أُخرِجَ منها، ولا تقومُ الساعة إلا في يوم الجمعة**»[3].

بركات هذا اليوم:

* فقد ثبت في الأحاديث الكثيرة بيان فضل هذا اليوم وشرفه وميزته على غيره:

١ - *من بركات هذا اليوم أن فيه ساعة إجابة:* ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً، إلا أعطاه إياه**»[4].

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في هذه الساعة، هل هي باقية أو رُفِعت؟، واتَّحدوا على البقاء، واختلفوا في تحديد وقتها على أكثر من ثلاثين قولاً، ذكرها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مع أدلتها[5]، وأرجح هذه الأقوال:

---

(١) لفظ البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) «صحيح مسلم»، كتاب «الجمعة».
(٤) «صحيح البخاري»، كتاب «الجمعة».
(٥) «فتح الباري» (جـ ٢) (ص٤١٦).

الأول - أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، ومن أدلته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال له: أسمعتَ أباك يُحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟، قال: قلتُ: نعم، سمعتُه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقْضَى الصلاة»**، وممن رجح هذا القول الإمام النووي - رحمه الله -، بل إنه قال: هو الصحيح بل الصواب[(١)]، وقد حدد السيوطي - رحمه الله - أنها عند إقامة الصلاة.

الثاني - أنها آخر ساعة بعد العصر، ومن أدلته: ما رواه بعض أصحاب السنن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا آتاه إياه، فالتَمِسُوها آخر ساعة بعد العصر»**[(٢)]، وممن رجح هذا القول الإمام ابن القيم - رحمه الله -، وقال: هذا قول كثير من السلف، وعليه أكثر الأحاديث.

وقد ذكر بعض العلماء في إخفاء هذه الساعة حثٌّ العباد على الاجتهاد في الطلب، والإكثار من الدعاء، واستيعاب الوقت بالعبادة رجاء مصادفتها[(٣)].

٢ - ***ومن بركات هذا اليوم أن من أدى صلاة الجمعة ملتزمًا بآدابها، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى:*** كما في الصحيح من البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يُصلِّي ما كُتبَ له، ثم يُنصِتُ إذا تكلَّم الإمام، إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»**[(٤)].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ ٦) (ص ١٤٠).
(٢) أخرجه أبو داود والحاكم والنسائي.
(٣) «فتح الباري».
(٤) «صحيح البخاري» كتاب «الجمعة».

وفي صحيح مسلم زيادة ثلاثة أيام أيضًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من اغتسل، ثم أتى الجمعةَ فصلَّى ما قُدِّر له، ثم أنصَت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»**(١).

وفي الحديث: **«الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان، مكفراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر»**(٢).

٤ ـ ومن بركاته أيضًا ما يحصل من الفضل العظيم لمن بكَّر بالذهاب إلى المسجد للجمعة: ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، كأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»**(٣).

٥ ـ ومن بركات يوم الجمعة: أنه يوم اجتماع المسلمين في مساجدهم الكبيرة: لحضور الصلاة، والإنصات لخطبتي الجمعة قبلها، اللتين تشتملان على توجيه المسلمين وتعليمهم ووعظهم، وما في كل ذلك من المنافع الدينية والدنيوية.

٦ ـ ومن بركاته: أنه يوم عيد متكرر: وقد روى أبو عبد الله بن ماجه في سننه من حديث أبي لُبابة بن المنذر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن يوم الجمعة سَيِّد الأيام، وأعظمُها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمسُ خِلال: خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى الله آدم، وفيه**

(١) «صحيح مسلم» كتاب «الطهارة». (٢) «صحيح مسلم» كتاب «الطهارة».
(٣) «صحيح البخاري» كتاب «الجمعة».

ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئًا إلا أعطاه، ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرَّب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا شجر، إلا وهنَّ يشفقن من يوم الجمعة»[١].

٧ ـ ***ومن بركاته قراءة سورة الكهف في يومها:*** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النُّور ما بينه وبين البيت العتيق»**[٢].

ثالثًا ـ بركة يومي الإثنين والخميس

١ ـ من بركات وفضائل هذين اليومين، أنه يُغفر للمؤمنين ماعدا المتشاحنين منهم، يدل علي هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتَحُ أبوابُ الجنة يومَ الإثنين والخميس، فيُغفر لكل عبدٍ لا يُشرِك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شَحْنَاء، فيقال: أنظِرُوا هذين حتى يَصْطَلحا، أنظِرُوا هذين حتى يَصْطَلحا، أنظِرُوا هذين حتى يَصْطَلحا»**[٣].

٢ ـ ومنها: أن أعمال الناس تُعرض في هذين اليومين على الله تبارك وتعالى كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«تُعرَضُ أعمالُ الناس في كل جمعة مرتين: يوم الإثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبدٍ مؤمن، إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء»**[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ص١٠٨٤).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧١)، و«الإرواء» (٦٢٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب «البر والصلة والآداب».

(٤) صحيح مسلم، (جـ٤، ص١٩٨٨).

فعلى هذا ينبغي للمسلم أن يبتعد عن معاداة أخيه المسلم أو مقاطعته أو هجرانه، ونحو ذلك من الخصال الذميمة حتى لا يُفوِّت على نفسه ذلك الخير العظيم من الله تعالى.

٣- ومن فضائلهما أن النبي ﷺ كان يحرص على صيامهما، كما في بعض السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الإثنين والخميس»**[١].

وقد علل الرسول ﷺ ذلك بقوله: **«تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»**[٢].

وفي (صحيح مسلم) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: **«ذاك يوم ولدتُ فيه، ويوم بعثتُ، أو أُنزل عليَّ فيه»**[٣]، وبناء على هذه الأحاديث فيستحب للمسلم صيام هذين اليومين تطوعًا.

٤- ومن فضائل يوم الخميس أن غالب أسفار النبي ﷺ في هذا اليوم، وأنه يحب أن يخرج للسفر يوم الخميس، كما ثبت في صحيح البخاري أن كعب ابن مالك رضي الله عنه كان يقول: «لقلّما كان رسول الله ﷺ يخرج، إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس»، وفي رواية أخرى عن كعب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحبُّ أن يخرج يوم الخميس»[٤]، اللهم بارك لنا في أيامنا.



(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه، والإمام أحمد.
(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه والنسائي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) «صحيح البخاري».

الفصل الثالث

أشياء أخرى مباركة

أولاً ـ بركة السحور

معناه: هو بالفتح، اسم ما يُتَسَحَّر به من الطعام والشراب، وبالضم المصدر والفعل نفسه، قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: وأكثر ما يروى بالفتح، وقيل: أن الصواب بالضم، لأنه بالفتح الطعام، والبركة والأجر والثواب في الفعل لا في الطعام[١].

وقته: سُمِّي السُّحور بذلك، لوقوعه وقت السَّحر، والسَّحر: آخر الليل قُبيل الصبح، وقيل: من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر، والمقصود أن نهاية وقت سحور الصائم هو طلوع الفجر.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة:١٨٧)، ويُسنُّ تأخير السحور، ما لم يخش طلوع الفجر، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحَّرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟، قال: «خمسين آية»[٢].

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ: واستحب أهل العلم تأخير السحور.

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (جـ ٢) (ص٢٤٢).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب «الصوم».

حكمه: يُستَحَبُّ السُّحور للصائم، لقول الرسول ﷺ: **«فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحر»**(١).

قوله ﷺ: **«تسحَّروا فإن في السَّحُور بركة»**(٢).

قال ﷺ: **«إن السَّحور بركةٌ أعطاكموها الله فلا تدعوها»**(٣).

وقال ﷺ: **«البركة في ثلاثة: في الجماعة، والثريد، والسَّحور»**(٤).

وقال ﷺ: **«السَّحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلُّون على المتسحِّرين»**(٥)، ويحصل السحور بأقل ما يتناوله المرء من مأكول ومشروب.

بركة السحور:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«تسحروا فإن في السحور بركة»**(٦).

وروى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يدعو رجلاً إلى السحور، فقال: **«هَلُمَّ إلى الغداء المبارك»**(٧)، فللسحور بركة دينية ودنيوية.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في بيان بركة السحور: البركة التي في السحور ظاهرة؛ لأنه يُقوِّي على الصيام ويُنشِّط له، وتحصُل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحِّر، وقيل: لأنه يتضمن الاستيقاظ

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني.
(٤) رواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني.
(٥) رواه أحمد، وحسنه الألباني.
(٦) متفق عليه.
(٧) «تهذيب التهذيب» (جـ ٧) (ص١٧٤).

والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف، وقت تنزُّل الرحمة، وقبول الدعاء والاستغفار، وربما توضأ صاحبه وصلى، أو أدام الاستيقاظ للذكر والدعاء والصلاة، أو التأهُّب لها حتى يطلع الفجر، والأقرب أن البركة تشمل ذلك كله، وغيره من منافع السحور الدينية والدنيوية، والسَّحور يتضمن الطعام والشراب والفعل أي: التسحُّر، وينبغي للمتسحِّر أن ينوي بسحوره امتثال أمر النبي ﷺ والتَّقوِّي به على الصيام، وابتغاء البركة، ليكون سحوره عبادة، وأن يؤخِّره ما لم يخشَ طلوع الفجر، لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك.

جاء في (فتح الباري) لابن حجر ـ رحمه الله ـ: الأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة، وهي اتِّباع السُّنة ومخالفة أهل الكتاب، والتَّقوي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك، أو يجتمع معه على الأكل، والتسبُّب بالذِّكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نيَّة الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام[1].

وقال ابن دقيق العيد: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية، فإن إقامة السُّنة تُوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم، وتيسيره من غير إضرار بالصائم[2].

ومن الفضائل التي يمكن أن تُضاف للسحور عدا ما تقدم: صلاة الله تعالى وملائكته على المتسحِّرين، ولاشك أنها فضيلة عظيمة، فينبغي للمسلم اتباع الرسول ﷺ في فعل هذه السُّنَّة حتى يحُوز على بركتها وفضائلها ومنافعها الدنيوية والأخروية.

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر.

(٢) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد.

ثانيًا ـ بركة شرب ماء زمزم

التعريف بزمزم: زمزم هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام شرقي الكعبة.

وأما أصل هذه البئر: فقد روى البخاري ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل: أن هاجر أم إسماعيل ـ رحمهما الله ـ لما أصابها العطش هي وابنها إسماعيل بحثت عن الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما أشرفت على المروة سَمِعت صوتًا، فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تَسَمَّعَت فسَمِعَت أيضًا، فقالت: أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعد ما تغرق، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ـ** أو قال: **لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا»**، قال: فشربت وأرضعت ولدها[1].

ولم يزل ماء زمزم ظاهرًا يَنتفع به سكان مكة، إلى أن استخفت جُرْهُمُ بحرمة الكعبة والحرم، فاندرس موضع زمزم، وقيل: أن جُرهُم دفنتها حين رحلت من مكة، وقيل: بل دفنتها السيول، فاستمرت مدفونة عصرًا بعد عصر، إلى أن أظهرها عبد المطلب بن هشام جَدُّ النبي ﷺ بعلامات عَرَف بها موضعها، حين نبِّه إليها في رؤيا في المنام، وأمر بحفرها فحفرها وأظهرها[2].

وقد اهتم المسلمون بزمزم منذ وقت الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وحرص الخلفاء والأمراء وقادة المسلمين على عمارة زمزم، وتجهيزها وتهيئتها، لِيسْهُل على الحجَّاج وزوَّار البيت الحرام الشرب منها بيسرٍ وسهولةٍ.

---

(١) «صحيح البخاري».

(٢) «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للفاسي المكي (جـ ١) (ص٢٤٧-٢٤٨).

وأما سبب تسميتها بزمزم: فقيل: لكثرة مائها، والزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع، وقيل: لضم هاجر أم إسماعيل - رحمها الله - لمائها حين انفجرت وزمِّها إياه، وقيل: لصوت الماء وانبثاقه حين خرج، وقيل غير ذلك.

ولها أسماء كثيرة تدل على اسمها وفضلها، ومنها: ميمونة، مباركة، عافية، مغذية.

بركة ماء زمزم:

١ - أنه أفضل مياه الأرض شرعًا وطبًا:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماءُ زمزم»**[(١)].

وثبت في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه في قصة الإسراء والمعراج: أن رسول الله ﷺ قال: **«فنزلَ جبريلُ عليه السلام فَفَرج صدري، ثم غسله بماء زمزم»**[(٢)].

قال العيني - رحمه الله -: وهذا يدل قطعًا على فضلها، حيث اختص غسل صدره ﷺ بمائها دون غيرها، والظاهر أن تفضيل ماء زمزم هو بالنسبة إلى مياه الدنيا فقط، كما أن لفظ حديث التفضيل: **«خير ماء على وجه الأرض»**، يدل على ذلك.

وقد ذكر الحافظ العراقي - رحمه الله -: أن حكمة غسل صدر النبي ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والأرض، والجنة والنار، لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوِّي القلب ويسكِّن الروع[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (جـ ١١) (ص٩٨).
(٢) «صحيح البخاري» كتاب «الحج». (٣) «شفاء الغرام» للفاسي.

٢ ـ إشباع شاربه، كما يشبعه الطعام:

فقد ثبت في صحيح مسلم في قصة أبي ذر ﷺ أنه لما قَدِم مكة لِيُسْلِمَ، أقام ثلاثين، بين ليلة ويوم في المسجد الحرام، فسأله الرسول ﷺ : **«فمن كان يُطْعِمُكَ؟»**، فقال أبو ذر: ما كان لي من طعامٍ إلا ماء زمزم، فسَمِنتُ حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع، فقال رسول الله ﷺ : **«إنها مباركة، إنها طعام طعم»**[١].

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: أي: يشبع الإنسانُ إذا شرب ماءها شبع، كما يشبع من الطعام.

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: عن هذه الخصوصية لماء زمزم: شاهدتُ من يتغذَّى به الأيام ذوات العدد قريبًا من نصف الشهر، أو أكثر، ولا يجدُ جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مِراراً[٢].

٣ ـ الاستشفاءُ بشربه من الأسْقام:

لحديث ابن عباس مرفوعًا: **«خير ماء على وجه الأرض ماءُ زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السُّقم»**.

ولما روي عن أبي ذر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«زمزم طعامُ طعم، وشِفاءُ سُقم»**[٣].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الحُمى من فَيْحِ جهنم، فأبردوها بماء زمزم»**[٤].

---

(١) «صحيح مسلم».
(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (جـ ٤) (ص٣٩٣).
(٣) أخرجه الطيالسي أبو داود.
(٤) رواه أحمد وابن حبان.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وقد جرَّبتُ أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة، واستشفيتُ به من عِدَّة أمراض، فبرأتُ بإذن الله[١].

٤ ـ أنه لما شُرِبَ له:

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«زمزم لما شُرِبَ له»**[٢].

ويروى عن مجاهد ـ رحمه الله ـ أنه قال: «ماء زمزم لما شُرِبَ له، إن شَرِبْتَه تريد شفاءً شفاك اللهُ، وإن شربتَه لظمأ أرواكَ اللهُ، وإن شربته لجوعٍ أشبعَكَ اللهُ»[٣].

إن شرب منه المرء شعر بطعمٍ دسمٍ، كما لو شرب لبنًا أو من ماء جوز الهند، وهو يغني عن الطعام والشراب، وماء زمزم لما شُرِبَ له ببركة دعاء النبي ﷺ، وهذا شيء مجرب، فقد شربه كثير من الناس بنية الشفاء فشفوا، وشربه آخرون بنية الشبع، فشبعوا، وعندما حج عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ أتى زمزم، فقال: اللهم إن أبا الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن نبيك ﷺ أنه قال: **«ماء زمزم لما شُرِبَ له»**، فإني أشربه لظمأ يوم القيامة.

وحصول هذه المنافع لمن شرب ماء زمزم هو ـ بلاشك ولاريب ـ بتوفيق الله تعالى وإعانته ورحمته، وهو مما أودعه الله تعالى من البركة والنفع في هذا الماء الشريف، لاسيما مع صحه نية شاربه.

---

(١) «زاد المعاد». (٢) ابن ماجه في «سننه» والإمام أحمد.

(٣) الأزرقي في كتابه «أخبار مكة، وما جاء فيها من آثار».

وقد نُقِلَ عن ابن العربي - رحمه الله تعالى -: أنه قال عن نفع ماء زمزم: وهذا موجودٌ فيه إلى يوم القيامة لمن صحَّت نِيَّتُه، وسلمت طويَّتُهُ، ولم يكن به مكذبًا، ولا يشربه مجربًا، فإن الله مع المتوكلين، وهو يفضح المجربين.

وقال ابن القيم: فضل ماء زمزم، وشرفه على غيره، ماء زمزم: سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرًا، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس[1].

صفة التبرك بشربه:

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَقَيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم[2].

ومن المعلوم أنه قد وردت عدة أحاديث صحيحة تنهى عن الشرب قائمًا، وقد أجاب عن هذا الإمام النووي - رحمه الله - بقوله: النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائمًا، فبيان للجواز فلا إشكال ولا تعارض[3].

والحاصل أن السُّنَّة شُرب المسلم من ماء زمزم دون قيام، لعموم أحاديث النهي عنه إلا لحاجة، ولاسيما أن في رواية البخاري: فحلف عكرمة، وهو مولى ابن عباس، ما كان يومئذٍ إلا على بعير[4].

وليس الأمر كما ذكر بعض الكتاب أن من السُّنَّة أن يشرب المسلم من زمزم قائمًا، استنادًا إلى ذلك الحديث، ولا يقتصر استحباب الشرب من ماء زمزم على الحاج أو المعتمر، بل هو عام، لعموم أحاديث فضل ماء زمزم، وما فيها

---

(١) «زاد المعاد».
(٢) متفق عليه.
(٣) صحيح مسلم شرح النووي.
(٤) «صحيح البخاري» (جـ ٢) (ص ١٦٧).

من البركة والنفع والشفاء للمسلمين عامة، ومن سنن الشرب من ماء زمزم أن يتضلَّع منه، أي: يُكثِر من شُربِه.

وأيضًا فإن الإكثار من شرب ماء زمزم، ولو فوق المعتاد لقصد بركته من الأمور المستحبَّة ـ كما فعل جابر بن عبد الله ﷺ ـ في استكثاره من شرب الماء الذي نبع من بين أصابع الرسول ﷺ لأجل البركة[١].

ومن السنن أيضًا: أن يدعو عند شربه بما أحب من الأدعية الشرعية، وينوي به ما شاء من خيري الدنيا والآخرة كالاستشفاء أو الانتفاع أو نحو ذلك، لحديث رسول الله ﷺ : **«ماءُ زمزم لما شُرِبَ له»**.

ويروى أن ابن عباس ﷺ كان إذا شرب من ماء زمزم قال: **«اللهم أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء»**[٢].

وعن عبد الله بن الإمام أحمد ـ رحمهما الله ـ أنه قال: ورأيتُ أبي، غيرَ مرةٍ يشرب من ماء زمزم، يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه[٣].

نقل ماء زمزم خارج الحرم:

يجوز نقل ماء زمزم إلى جميع البلدان للتبرُّك به باتفاق العلماء، والأصل في جواز ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره عن عائشة ﷺ أنها كانت تحمل ماء زمزم، وتُخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ومن حمل شيئًا من ماء زمزم جاز، فقد كان السلف يحملونه.

---

(١) صحيح البخاري. (٢) الدار قطني، الحاكم في المستدرك.
(٣) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح الحنبلي (جـ ٣) (ص ١١٠).

وقال الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ: يجوزُ إخـراجُ ماء زمزم وغيره من مياه الحـرم ونقله إلى جـميع البلدان، لأن الماء يسـتخلف، بخـلاف نقل التـراب والحجر[(١)].

وقال الإمام السخاوي ـ رحمـه الله ـ: «يُذكر على بعض الألْسِنَة أن فضيلته مادام في مَحلِّه، فإذا نُقل يتغـيَّر، وهو شيءٌ لا أصل له»، ثم ساق شواهد نقله للتبرُّك به عن الرسول ﷺ وبعض أصحابه رضي الله عنهم[(٢)].

ثالثًا ـ البركة في الحجامة

والبركة في الحجامة عظيمة، حتى أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يحتجم.

الحجـامـة: هي فصـد قليل من الدم من على سطح الجلد باسـتخـدام كأس زجاجي خاص، وهو ما يطلق عليه اسم كاسات الهواء، وقد استخدمت الحجامة في الطب الحديث على نطـاق واسع، وقد تصدرت كثـيرًا من الأبحاث العلمـية مجلات مختلفة تناولت الحجامة، وكتب مختلفة تحدثت عن الحجامة وفوائدها، وكتـبت كثير من التـقارير في الحجـامة، وقد طورت الشـركات المختصَّـة بإنتاج الآلات الطبية وسائلَ الحجامة، بل وأنتجت حقـيبة خاصة لآلات الحجامة، وقد اسـتخدمت في عـلاج أمراض الدورة الدمـوية، كعـلاج ضعط الدم، والتـهاب عضلة القلب، وتخفيف الآم الذبحة الصدرية، وعـلاج أمراض الصدر والقصبة الهوائية، وكذلك آلام الرقبة والبطن وآلام الروماتيزم في العضلات، والروماتيزم المزمن، والكثيـر من الأمـراض الأخـرى، وهذا يدل على أن الحـجـامـة قـد استخدمت في الطب الحديث بشكلٍ واسع، وكانت لها نتائج إيجابية.

---

(١) «إعلام الساجد» (ص١٣٧).

(٢) «كتاب التبرك وأنواعه وأحكامه».

والحجامة معروفة في الطب من زمن بعيد، كانت تستعمل كثيرًا إلى زمن قريب وهي من العلاجات المشروعة بالسُّنَّة:

* رُوي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن كان في شيءٍ من أدويتكم، أو يكون في شيءٍ من أدويتكم خير، ففي شرطة مِحْجَم أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي»**[1].

* وعن نافع عن ابن عمر قال: يا نافع، قد تبيغ بي الدم فالتمس لي حجَّامًا واجعله رفيقًا إن استطعت، ولا تجعله شيخًا كبيرًا ولا صبيًا صغيرًا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الحجامة على الريق أمثل، وفيه شفاء وبركة، وتزيد في العقل وفي الحفظ، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت ويوم الأحد تحريًا، واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء؛ فإن اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، وضوب بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء»**[2].

* وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مررتُ ليلة أُسْرِيَ بي بملأٍ إلا قالوا: يا محمد مُرْ أُمتك بالحجامة»**[3].

* وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حجَّمَه أبو طيبة، فأمربه بصاعين من طعام، وكلم مواليه فخففوا عنه من ضريبته، وقال: **«خير ما تداويتم به الحجامة»**[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «الطب» (٣٤٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه، والترمذي.

(٤) «صحيح مسلم».

* روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجَّام أجره واستعط[(١)].

* وروى أيضًا عنه قال: احتَجَمَ النبيُّ ﷺ وهو صائم، وفي رواية أخرى، قال: احتجم النبيُّ ﷺ، وهو مُحرِمٌ في رأسه من شقيقة كانت به.

وقد نقل ابن القيم في زاد المعاد ما يدل على بركة الحجامة، من حيث منافعها العظيمة، فقال ما نصه:

أمَّا منافع الحجامة: فإنها تُنقِّي سطحَ البدن أكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن أفضل، والحجامة تستخرج الدم من نواحي البدن، والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق.

- **وفصد الودجين:** نفع من وَجَع الطحال والربو ووجع الجبين.

- **وفصد الأكحل:** ينفع من الامتلاء العارض في جميع البدن.

- **وفصد القيفال (عرق في الذراع):** ينفع في العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم أو فساده.

- **والحجامة على الأخدعين:** تنفع من أمراض الرأس وأجزائه، كالوجه والأسنان والأذنين والعينين والأنف والحلق.

وعن جابر بن عبد الله عاد المقنع، ثم قال: لا أبرح حتى تحتجم، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«إن فيه يعني الحجامة شفاء»**[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **«خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري ..»**.

---

(١)،(٢) متفق عليهما.

ومجمل بركة الحجامة وفوائدها:

١ـ تخفف وطأة ضغط الدم.

٢ـ تزيل الأمراض الكثيرة.

٣ـ تجلب الشفاء بإذن الله تعالى.

٤ـ تسبب البرء (شرطة محجم).

٥ـ أنجع وسيلة لاكتساب الصحة ونضارة الحياة.

٦ـ تزيل صداع الرأس وألمه المزمن.

٧ـ نصيحة متوارثة عن النبي ﷺ عن ملائكة الرحمة (مُرْ أمتك).

٨ـ تقوي النظر وتصححه، وتزيد نوره (يجلو البصر).

٩ـ أفعال رسول الله ﷺ، موفقة ملهمة من الخالق، فمن اقتدى بها فاز وسعد.

١٠ـ موافقتها للطب الحديث، ولكثرة منافعها أقر فعلها ـ والله أعلم ـ.

ما يجلب البركة

أولاً - الصدق في المعاملة:

في الصحيحين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البيِّعان بالخيَار ما لم يتفرَّقا؛ فإن صدقا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بَيْعِهِمَا، وإن كَذَبَا وكَتَمَا مُحِقَتْ بركةُ بيعهما»[1].

وقوله ﷺ: «فإن صدقا وبيَّنا» أي: بيَّن كلٌّ واحدٍ لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه، في السلعة والثمن، وصدق في ذلك، وفي الإخبار بالثمن، وما يتعلق بالعوضين[2].

ومعنى قوله: «بُورِكَ لهما في بيعهما» أي: كَثُر نفعُ المبيع والثمن، وهذه البركة ثمرة دنيوية طيبة من ثمرات التحلِّي بالصِّدق ذلك الخلق الحميد.

وهكذا فجميع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة تؤدي إلي جلب البركة الدينية والدنيوية، ويقابلها الأعمال السيئة والأخلاق المذمومة، فإنها تؤدي إلى نزع البركة وذهابها، وهذا من شؤم المعاصي.

ومن الشواهد على هذا: ما ورد في الشطر الثاني للحديث، حيث بين الرسولُ ﷺ عاقبةَ الكذب والكتمان في البيع في الدنيا فضلاً عن الآخرة، ويُقاس عليه غيره من سائر المعاملات، كما سنفصِّلُ القول - إن شاء الله تعالى -.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم، شرح النووي.

ومعنى قوله ﷺ: «مُحِقَت بركة بيعهما»، المحق: هو النُّقْصَان وذَهَابُ البركة، وقيل: هو أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه أثر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ (البقرة:٢٧٦)، أي: يستأصله ويذهب ببركته، ويَهلك المال الذي يدخل فيه.

والمراد: يمحق بركة البيع وهي ما يقصده التاجر من الزيادة والنماء، فيعامل بنقيض قصده، ومن الشواهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الحلفُ منفقةٌ للسِّلْعَةِ، ممحقةٌ للبركة**»[(١)].

وهذا الحديث يبين أن الحلف الكاذب وإن أدى إلى رواج السلعة، وزيادة المال ظاهرًا، فإنه يمحق بركة المال والانتفاع منه، بأن يُسَلِّط الله عليه ما يُتلفُهُ ظاهرًا، كالسرقة أو الحرق أو الغرق أو الغصب أو النَّهب أو عوارض يُنفَقُ فيها كالأمراض وغيرها ـ والله أعلم ـ.

ثانيًا ـ كثرة الاستغفار:

والاستغفار يُطَهِّر النفسَ ويُوقِظُ الضميرَ، ويوجِّه السلوك نحو الطاعة والعبادة، فالاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، مع الندم وترك الإصرار يوجب البركة، وقد كان من هديه ﷺ حتى إنه كان يستغفر الله في اليوم مائة مرة، وقد كان يسأل عن كثرة استغفاره، رغم أن الله قد غَفَرَ له ما تقدَّم وما تأخَّر.

وقد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢)، وقال ﷺ: «**من لَزِمَ الاستغفار جَعَلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري كتاب «البيع»، ورواه مسلم كتاب «المساقاة».

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وقال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تَنزِلُ المغفرة.

ومما تقدم يتضح أن الاستغفار وعدم الإصرار على المعصية موجب للبركة ويحقق النماء والرَّخاء، فانهض يا أخي المسلم واقْتدِ بسلفك الصالح الذي كان دائمًا لسانه رطبًا من ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، فبذلك بارك الله لهم في أعمالهم وأعمارهم وحياتهم عامة.

ثالثًا - البر وصلة الأرحام والرفق وحسن الخلق:

إن الإحسان إلى الأقارب من ذوي النسب والأصهار والعطفَ عليهم والمعونةَ لهم، والرعاية لأحوالهم حقٌّ، ولو أساءوا وهي من جملة الحقوق الواجبة على المسلم لرحمه، فقد حثَّ الشرعُ على صلة الرحم، وحسنِ الخلق، وحذر من قطعها وسوء الخلق، وقد جاءت الآيات العديدة في الحث على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (الإسراء: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

وقد جاءت الأحاديث النبوية أن صلة الرحم وحسن الخلق من أفضل الأعمال، وأنها سبب من أسباب البركة في العمر والسِّعة في الرزق.

* عن عمرو بن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صِلَةُ القرابة مثراةٌ في المال، محبة في الأهل، منسأةٌ في الأجل»**[١].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، انظر «صحيح الجامع».

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلةُ الرحم تزيدُ في العمر، وصدقَةُ السرِّ تُطفئُ غضبَ الربِّ»**(١).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«صلةُ الرحم وحُسْنُ الخلق، وحُسْنُ الجوار، يُعمرن الديار، ويزدن في الأعمار»**(٢).

ومعنى الزيادة في العمر على وجهين:

أحدهما - إن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، وحاصله أن صلة الرحم تكون سببًا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية.

ثانيًا - أن الزيادة على حقيقتها، وذلك فالبنسبة إلى علم الملك الموكَّل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية بالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلاً إن عمر فلان مثلاً مائة، إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله تعالى أنه يصلُ أو يقطع، فالذي في علم الله تعالى لا يتقدَّم ولا يتأخَّر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩).

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة، أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم، ويجهلون علي، فقال: **«لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك»**، فعلى من أراد أن يطول عمره، ويبارك له في رزقه وولده، ويعمر داره وينال رضا ربه، فعليه بصلة رحمه وأهله.

---

(١) أخرجه القضاعي، انظر: «صحيح الجامع» (٢٧١٦)، و«السلسة الصحيحة» (١٩٠٨).

(٢) رواه أحمد والبيهقي.

رابعًا ـ التبكير في طلب الرزق:

أمر النبي ﷺ بالقيام صباحًا رجاء السَّعي للرزق؛ فإن التبكير يجلب الخير، ويكثر الربح، ويزيد في إنجاز الأعمال وفي إتمامها، وقد وردت عدة أحاديث منها:

* قال الترمذي عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وابن عمر وبريدة وأنس وجابر رضي الله عنهم، قال ﷺ: **«باكروا في طلب الرزق؛ فإن الغدوة بركة ونجاح»**.

* عن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم بارك لأُمتي في بكورها»**[1].

وكان ذلك إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أوَّل النهار، وكان صخرٌ تاجرًا فكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله.

وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن فضل أول النهار، وكراهة إضاعته بالنوم حيث قال: ومن المكروه عندهم ـ أي: الصالحين النومُ بين صلاة الصبح وطلوع الشمس؛ فإنه وقت غنيمة، وللسير في ذلك الوقت عند السالكين مَزِيَّة عظيمة، حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فينبغي أن يكون نومها كنومة المضطَّر[2].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُورك لأمَّتي في بكورها»**[3].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. (٢) «مدارج السالكين» (جـ ١) (ص٤٥٩).
(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، «صحيح الجامع».

ولعل من الحكمة أيضًا في تخصيص البكور بالبركة أنه وقت النشاط، فهو وقت نهاية النوم، وختام الليل، الذي جعله الله سكنًا وبداية النهار، وقت المعاش والطلب، فينبغي التبكير لطلب الرزق والعلم، وغيره من المهمات.

وقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن هناك غازًا خاصًا تقع نسبته عاليًا في وقت الفجر، وتقِلُّ تدريجيًا حتى تَضْمَحِلَّ عند طلوع الشمس، وقد دلت التجارب العلمية أن لهذا الغاز تأثيرات رائعة على الجهاز العصبي والمشاعر النفسيَّة العميقة، والنشاط العقلي والفكري.

وفي فترة الفجر صباح كل يوم، تَهُبُّ ريحٌ خاصَّة تسمَّى ريح الصَّبا، تُلطِّف الجو تلطيفًا مؤثرًا ممتعًا[١].

ويتضح مما تقدم أن من أراد البركة والنجاح والتوفيق في علمه ورزقه فعليه بالتبكير والمبادرة في مزاولة الأعمال الأخرى: كطلب العلم، والتجارة، والزراعة، والصناعة، رجاءً لبركة البكور، واغتنامًا للوقت الثمين.

خامسًا - إكثار حَمْد الله تعالى وشكره:

الحمد والثناء على الله - عَزَّ وَجَلَّ - بما أنعم ورزق وشكره عليه، يحقق البركة والزيادة العددية والمعنوية، والحسية فيه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧)، ولقد أمرنا الرسول ﷺ بالشُّكر في كل الأحوال، فقال: **«من لم يشكر القليلَ، لم يشكر الكثيرَ، ومن لم يشكر الناسَ، لم يشكر الله، والتحدُّث بنعمة الله شُكْرٌ، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفُرقَةُ عذاب»**[٢].

---

(١) من كتاب «دلائل النبوة المحمدية» لمحمود مهدي (ص٨١)

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، وابن أبي الدنيا.

وقال ﷺ : «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشَّربة فيحمده عليها».

وحقيقة الشكر أن تُظهِر في قلبك الفرح بالله وبنعمته وفضله عليك، ثم تخوض في العمل بموجبه، وذلك بالجوارح والقلب واللسان.

أما الجوارح: فاستعمالها في طاعة الله، والتوقِّي عن الاستعانة بِنِعمه على معاصيه.

فشكر العين: ستر كل عيب تراه من المؤمن، وأن لا تنظر بها إلى المعاصي.

وشكر الأذن: سَتْرُ كل ما تسمع من العيوب وأن لا تسمع بها إلا مباحًا، كذلك شكر بقية الجوارح.

والقلب: فشكره دوام المراقبة، وتخوفك من الله تعالى أنه يراك والتفكُّر في الملكوت، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣).

ويقول ابن القيم: الشكر منزلة فوق منزلة الرضا، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان، فالإيمانُ صَبْرٌ وشُكْرٌ، وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، ووعد أَهْلَهُ بأحسن الجزاء وجعله سببًا للمزيد من فضله[1].

سادسًا - التزوج ويسر المؤنة:

طالب الزواج للعفاف حق على الله إعانته، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢).

وقال ﷺ : «ثلاثةٌ حقٌّ على الله عَوْنُهم: المكاتب يريد الأداء، والنَّاكحُ يريدُ العَفَافَ، والمجاهد في سبيل الله»، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه : «خيرُ النِّكاح

---

(١) «مدارج السالكين».

أَيسَرُهُ»[1]، وقيل: عليكم بال[illegible]، فإنه يجلب الرزق، وقيل أيضًا: التمِسُوا الرزق بالنكاح، ومن تزوَّج امرأةً لِيَعُفَّ بها فرجَه، أو يَصِلَ بها رحمًا، كفاه الله هم آخرته ودنياه، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: ٣١).

والمرأة اليسيرة المهر أولى، لقوله ﷺ: **«إن أعظم النساء بركة أحسنُهُنَّ وجوهًا، وأرخصهن مهرًا»**، وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أعظمَ النكاح بركةً أيسرُه مؤنة»**[2].

ومن ذلك يتضح أن اليُسْرُ مطلوبٌ في كل شيءٍ، وخاصة النكاح، ومن آثاره البركة، والدعاء للمتزوج:

* عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبيُّ ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثَرَ صُفرة، فقال: **«مَهْيَم أو مَه»**، قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، فقال ﷺ: **«بارك الله لك، أوْلِم ولو بشاة»**[3].

* ودعاء العروسين: قد علمنا رسول الله ﷺ أن ندعو لهم: **«بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»**[4].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها يوم زُفَّت إلى رسول الله ﷺ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلنَ: «على الخير والبركة وعلى خير طائر»[5].

* وعن أبي موسى قال: وُلِدَ لي غلامٌ فأتيتُ به النبي ﷺ فسمَّاه إبراهيم، فحنَّكه بتمرةٍ، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ، وكان ابن ولد أبي موسى[6].

---

(١) أبو داود وابن ماجه.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) البخاري كتاب «الدعوات».
(٤) «صحيح الجامع» (ص٤٢٨).
(٥) أخرجه البخاري.
(٦) رواه البخاري كتاب «العقيقة».

سابعًا - آداب الطعام لنيل البركة:

١ - الاجتماع على الطعام:

عن وحشي بن حرب ﷺ أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنَّا نأكلُ ولا نشبعُ، قال: «فلعلَّكم تأكلون متفرِّقين؟»، قالوا: نعم، قال: «فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه»(١).

ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعامُ الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»(٢).

وفي مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعامُ الأربعة يكفي الثمانية»(٣).

قال النووي - رحمه الله - في الحديث حثٌّ على المواساة في الطعام: وأنه وإن كان قليلاً حَصَلَت منه الكفاية المقصودة ووقعت فيه بركة تعمُّ الحاضرين عليه(٤).

وقال ابن حجر - رحمه الله -: يؤخذ من هذا الحديث أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع على الطعام، وأن الجمع كلما كثُرَ ازدادت البركات(٥).

٢ - التَّسميةُ على الطعام:

عن جابر ﷺ أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إذا دخل الرجلُ بيته، فذكَرَ الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطانُ: لا مبيتَ لكم ولا عَشاء، وإذا دخل فلم يذكرْ

---

(١) أخرجه أبو داود (جـ ٤) (ص١٣٨).
(٢) لفظ البخاري، كتاب الأطعمة.
(٣) صحيح مسلم.
(٤) شرح النووي لمسلم.
(٥) «فتح الباري» (جـ ٩) (ص٥٣٥).

اللهَ عند دخوله، قال الشيطانُ: أدركْتُم المبيتَ، فإن لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيتَ والعشاءَ»[١] .

فيُسْتَحَبُّ للمسلم أن يُسَمِّي اللهَ تعالى في أول الطعام، ويستحب أن يجهر بالتسمية لِيُسْمِعَ غيره، وينبهَه عليها، فإن تَرَكَها في أوَّله عامدًا أو ناسيًا أو مُكْرهًا، أو عاجزًا لعارض آخر، ثم تمكَّن في أثناء أكله استُحِبَّ أن يُسمِّي ويقول: بسم الله أوَّلِهِ وآخِرِهِ[٢] .

٣ - الأكل من جوانب إناء الطعام:

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«البركةُ تنزلُ في وَسَطِ الطعام، فكلُوا من حافَّتَيه ولا تأكلُوا من وَسَطِهِ»**[٣] .

وعن عبد الله بن بُسر ﷺ: أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بقَصْعَةٍ، فقال رسول الله ﷺ : **«كُلوا من جوانبها، ودعُوا ذروتها يُبَارَك فيها»**[٤] .

ففي هذين الحديثين ونحوهما إرشاد من الرسول ﷺ للمسلمين عند الأكل أن يبتدئوا من جوانب إناء الطعام، إبقاءً للبركة التي أودعها الله تعالى في وسطه، وألا يأكلوا من وَسَطِ الطعام حتى يأكلوا جوانبه وهذا الأدبُ عامٌ في من يأكل وحده أو مع غيره.

٤ - لَعْقُ الأصابع بعد الأكل، ولَعْقُ إناء الطعام، وَأكْلُ اللُّقْمَةِ السَّاقطة:

في صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لَعِقَ أصابعه الثلاث، وقال: **«إذا سَقَطَت لُقْمَةُ أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكُلْهَا،**

---

(١) رواه مسلم. (٢) النووي شرح مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي، والإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه، وابن حبان.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب «الأطعمة»، وابن ماجه في سننه كتاب «الأطعمة».

ولا يَدَعها للشيطان»، وأمرنا أن نسلت القصعة، قال: **«فإنَّكم لا تدرون في أيِّ طعامكُم البركة»**[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: **«إذا أكل أحدُكم فَليَلْعَقْ أصَابِعَهُ؛ فإنَّه لا يدري في أيَّتِهِنَّ البركة»**[(٢)].

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: **«ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه»**، وهناك روايات أخرى كثيرة.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: معنى قوله ﷺ: **«لا تدرون في أي طعامكم البركة»**، معناه ـ والله أعلم ـ: أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله، أو فيما بَقِيَ على أصابعه، أو فيما بَقِيَ أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصلُ البركة الزيادة، وثبوت الخير، والإمتَاع به، والمراد هنا ـ والله أعلم ـ ما يحصل به التغذية وسلْم عاقبته من أذى، ويُقَوِّي على طاعة الله تعالى وغير ذلك[(١)].

ويقول الخطابي ـ رحمه الله ـ مناقشًا من استعاب لعق الأصابع ونحوه: زعم قومٌ من أهل التَّرفُّه، أن لعق الأصابع مستَقْبَحٌ أو مستقذرٌ، كأنهم لم يعلموا أن الذي عَلَقَ بالأُصْبَعِ أو الصَّحْفَة جزء من أجزاء الطعام الذي أكلوه، فإذا لم يكن سائر أجزائه المأكولة له مستقذرًا لم يكن هذا الجزء اليسير منه الباقي في الصَّحفة، واللاصق بالأصابع مستقذرًا كذلك.

---

(١) «صحيح مسلم».
(٢) «صحيح مسلم» كتاب الأشربة.
(٣) الإمام مسلم، شرح النووي.

ويقول الشيخ الألباني: أدبٌ جميلٌ من آداب الطعام الواجبة، ألا وهو لَعْقُ الأصابع ومسح الصَّحفة بها، وقد أخلَّ بذلك أكثر المسلمين اليوم متأثرين في ذلك بعادات أوربا الكافرة، وآدابها القائمة على الاعتداد بالمادة، وعدم الاعتراف بخالقها، والشُّكْرِ له على نِعَمِه، فليحذر المسلمُ من أن يقلِّدَهم في ذلك، «**ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**»، فكن مؤمنًا يأتمر بأمر الله، وينتهي عما نُهِيَ عنه.

ثامنًا - البركة في الوفاء بالمكيال والميزان:

إن الوفاء بالمكيال والميزان فيه بركة عظيمة، ولا ننسى أن أقوامًا سبقوا قد خُسِفَ بهم بسبب عدم الوفاء بالمكيال، والحاصل أن الكَيْلَ بمجرده لا تحصُل به البركة، ما لم ينضمَّ إليه أمرٌ آخر، وهو امتثال الأمر فيما يشرع فيه الكيل، ولا تُنزَعُ البركةُ من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه أمرٌ آخر كالمعارضة والاختبار - والله أعلم -.

فعن المقدام بن مَعْدِي كَرِب رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «**كِيلُوا طعامَكُم يُبارَكْ لكم فيه**»[1].

وقال ﷺ: «**كيلوا طعامكم، فإن البركة في الطعام المكيل**»[2]، وقال ﷺ: «**إن الله تعالى جعل البركة في السَّحُور والكَيْلِ**»[3].

أخي .. لا تحرم نفسك من بركةٍ عظيمةٍ، وثوابٍ كبيرٍ بعملٍ صغيرٍ، ألا وهو أن تَفِيَ الكيلَ والميزانَ، فإن الرزقَ مكفولٌ لك، فإن كيل الطعام ومعرفة مقداره عند استعماله ليؤخذ منه قدر الحاجة يمنع من الإسراف والتبذير، وفي هذا توفيرٌ للطعام، كما أن كيل الطعام يمنع من التقتير المضر - والله أعلم -.

(١) رواه البخاري «كتاب البيوع».
(٢) أخرجه ابن النجار «صحيح الجامع».
(٣) «صحيح الجامع»، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة».

تاسعاً ـ سخاء النفس في طلب المال:

جاء في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن هذا المال خَضرٌ حلْوٌ، فمن أخذَهُ بسخاوَة نفسٍ بُورِكَ له فيه، ومن أَخَذَهُ بإشرافِ نفسٍ لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع»**[1].

ومعنى قوله: «فمن أخذَهُ بسخاوَة نفسٍ» أي: بغير شرَهٍ ولا إلحاحٍ أي: من أخذ بغير سؤالٍ، ولا إشرافٍ وتطلُّعٍ، وهذا بالنسبة إلى الآخذ، ويحتمل أن يعود إلى المعطي، ومعناه من أخذه ممن يدفع منشرحًا بما يعطيه طيب النفس[2].

والحاصل أن سَخَاءَ النفس، وزهدَها في اقتناء المال، وقناعة صاحبها بما يتيسَّر يؤدِّي إلى حصول البركة في المال، كما أن طلب المال أيضًا عن طريق تطلُّع النفس، وإلحاح صاحبها وحرصه، يمنع البركةَ عنه، فلا ينتفع به صاحبه، حتى ولو كان المال في الظاهر كثيراً ـ والله أعلم ـ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح النووي لمسلم (جـ ٧) (ص١٢٦).



ما يمحق البركة

كمـا أن هناك أمورًا تجلب البـركة في الأعمـال والأشياء، فـإن هناك أمورًا تذهب البركة، وتمحق الخير فيها، وعلى المؤمن أن يسارع باجتناب تلك الأمور التي تمحق البركة، وتُذهِبَ الخيرَ والثوابَ:

أولاً ـ الذنوب والمعاصي:

لقد ورد في كـتاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ العـديد من الآيات القرآنيـة التي تؤكد على أن ارتكاب الذنوب والسيئات يؤدي إلى محق البركة من الأرزاق.

يقول الله ـ عزَّ وَجلَّ ـ: ﴿وكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥٨)، أي: أن الناس عندما طغوا وأشركوا وكفـروا بنعم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ التي أنعمـها عليهم من الأرزاق، كان العـقاب أن دثرت ديارُهم، فلا تُرى مَساكنُهم، أي: أصبحت خرابًا ليس فيها أحدٌ.

ويقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مبينًا أثر ذنب التعامل بالربا على الرزق: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، ويقول سبـحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩).

وعندمـا لا تلتـزم الأمم والشـعوب بشـرع الله ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ وتَكْثُـر ذنوبُهم يهلكهم، ويأتـي بقومٍ آخـرين، وفي هـذا المقـام يقـول الله ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١)، ثم بين الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ

أن من أسباب الفســاد في الأرض: المعاصي والذنوب، والسيئات، فـيقول ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، يقول صاحب الظلال في تفسـير هذه الآية: إن فساد قلوب الناس وعقـائدهم وأعمـالهم يوقع في الأرض الفسـاد، ويملؤها برًا وبحـرًا بهذا الفسـاد، ويجعله مـسيطرًا على أقطارها غـالبًا عليهـا؛ فظهور الفـساد هكذا، واستعلاؤه لا يتم عبثًا، ولا يقع مـصادفة، إنما هو تدبير الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وسُنَّته ليذيقـهم بعضَ الذي عَمِلوا من الشـر والفساد، حـينما يكتوون بـناره يتألَّمون لما يصيبهم منه، فيعزِمُون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وإلى العمل الصالح وإلى المنهج القويم[١].

والله سـبحـانه وتعالى ربط بين المصـائب التي تحـدث للبشـرية وبين ذنوب العباد، فـقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

ويقـول ابن كثـير في تفسـيـر الآية: أي: مـهمـا أصابكم أيهـا الناس من المصائب، فإنما هي من سَـيِّئات تقدَّمت لكم، ويعفـو عن كثير من السيـئات فلا يجازيكم عليها، بل يعفو عنها[٢].

ولقد ورد عن رسول الله ﷺ أحاديثُ كـثيرة، تُبين أن المعاصي والذنوب والسيئات والرذائل والخطايا تمحق الرزق.

يقول ﷺ: «إن الرجل لَيُحْرَمَ الرزقَ بالذنب يُصيبه»[٣]، ففي هذا الحديث يوضِّح الرسولُ ﷺ أنه بسبب الذنوب يُحرم الناسُ الرزق.

---

(١) «ظلال القرآن» (جـ ٥) (ص٢٧٧٣). (٢) ابن كثير (جـ ٤) (ص١١٣).

(٣) رواه الإمام أحمد والنسائي.

وفي حديث جامع يفصِّل الرسولُ ﷺ أثر الذنوب على الأفراد والأمم في محق البركة والأرزاق.

ففي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كنتُ عَاشِرَ عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: **«يا معشر المهاجرين خمسُ خصالٍ أعوذُ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنوا بها، إلا فَشَا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصُوا المكيالَ والميزانَ إلا وأُخِذُوا بالسِّنين وشِدَّة المؤنة، وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا وسلَّط عليهم عدواً من غيرهم، فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جَعَلَ بأسهم بينهم»**[1].

ففي هذا الحديث ذكر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من المعاصي والذنوب والسيئات الكبيرة الفاحشة، ونقص المكيال والميزان، ومنع الزكاة، ونقض العهود، وعدم الحكم بكتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، فهذه الذنوب تسبب الهلاك للأبدان بالأمراض، والقحط والجفاف، وظلم الحكام، واستيلاء الأعداء على الأموال والشقاق والعراك والقتال بين المسلمين، وهذا حاصل واقعنا الأليم، ثم يذكرنا الرسول ﷺ أن من أسباب المصائب والنكبات التي تَنصبُّ على الأمم والشعوب، الذنوب والسيئات، فيقول: **«لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بالذنب، وما يعفو الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عنه كثير»**، وقرأ الرسول ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

---

(١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي.

وقد يعاقب الله سبحانه وتعالى الأمة إذا لم تأمر بالمعروف وتنه عن المنكر وتغيِّره، كما في حديث جرير بن عبد الله مرفوعًا: **«ما مِن قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممَّن يعمله، ثم لم يغيِّروه إلا عمهم اللهُ - تعالى - منه بعقاب»**[١].

أولاً - أثر كبيرة الربا في محق الأرزاق:

لم يرد في كبيرة من الكبائر أشد مما ورد في كبيرة الربا، ولم تُذَم عادةٌ من العادات ولا معاملة محرمة من المعاملات، أشد وأقبح مما ورد في ذَمٍّ من اعتادوا التعامل بالربا، وما بلغ من تفظيع أمر أراد الله ورسوله تحريمه، مثل ما بلغ من تفظيع تحريم الربا، لأنه ضرر على الفرد والأسرة والمجتمع والشعوب، ولذلك يُعتبر الربا من الرذائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولقد صَوَّر القرآن الكريم من يأكل الربا بأنه مجنون ومغالط ومحاور وملعون وظالم وكفار أثيم، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وقد بين الحق سبحانه وتعالى أثر الربا في محق الأرزاق، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، أي: التعامل بالربا أخذًا وعطاء يمحق الرزق، ونحن نرى أنه ما من مجتمع يتعامل بالربا ثم تبقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو أمن أو طمأنينة، إن الله يمحق الربا، فلا يفيض على المجتمع الذي يوجد فيه هذا الدنس إلا القحط والشقاء والنكد الحضاري.

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٤٩).

فقد ترى العينُ في ظاهر الأمـر رَخَاءً وإنتاجًا وموراد موفـورة، ولكن البركة ليست بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الطيب الآمن بهذه الموارد، لكن تتفاقم الشقوة على قلوب الناس والتـشتت والحيرة والاضطراب والتيه في الدول الغنية الغزيرة الموارد، والقلق النفسي الذي لا يدفعه الثراء، بل يزيده، ولا يبارك الله في مالٍ ولا عُمرٍ ولا صِحَّةٍ ولا في طمأنينة البال.

وقال ابن كثير: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ أي: يذهبه، إما بأنه يذهب بالكُلِّية من يَدِ صاحبه أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به بل يعدمه في الدنيا، ويعاقب عليه يوم القيامة.

وقد أجـمع فقـهاء الأمـة الإسلامـية على تحـريم الربا بكل صَوَرِه القـديمة والمعاصرة، وفـي هذا الخصوص صدرت العديد مـن الفتاوى عن مجامـع الفقه الإسلامي، وندوات ومؤتمرات الاقتصاد الإسـلامي والمصارف الإسلامية، وليس هذا هو المقام لعرضها، كما أكـد فقهاء المسلمين أن فوائد القروض وفوائد البنوك وشهادات الاستثمار من الربا المحرم شرعًا.

ومن يتـدبر أحـوال الأفـراد والشـعـوب التي تتـعـامل بالربا من الناحـيـة الاقتصادية، يتأكد من حقيقة محق البركة والحياة الضنك والحروب والاضطرابات الداخلية والعصابات التي تروع الآمنين، وتُروِّج المحرمات وتثير القلاقل الداخلية وغير ذلك.

يقول علماء الاقتصاد الإسلامي: يؤدي الربا إلى الخراب والإفلاس والكساد والركود الاقتصـادي، ويقود إلى البطالة وتَعثُّر المؤسسات والشـركات وإلى عجز في ميزانية الدولة المقترضة، كما يقود إلى تكدُّس الأموال في يد فئة قليلة تسيطر على الآخـرين، وهذا كله من صـور الحـرب التي توعد الله ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ بهـا

المتعاملين بالربا أخذًا وعطاءً وكتابة وشهادة وضمانًا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩).

والمعنى أي: اخشوا ربكم وراقبوه فيما تفعلون، واتركوا مالكم عند الناس إن كنتم مؤمنين بالله حقًا.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: هذا وعيد إن لم يتركوا التعامل بالربا، ولم ينتهوا، فأنتم حَرْبٌ لله ولرسوله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه، فَحَقٌّ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عُنُقه.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١): أي: احذروا يومًا سترجعون فيه إلى ربكم، ثم تُجازَىٰ كل نفسٍ الجزاءَ الأوْفَى، من غير بخسٍ ولا ظلمٍ.

واعلم أخي الكريم .. أنه قد ثبت تحريم الربا في الكتاب والسُّنة، وأن من يتعاطى أي أمر من أمور الربا ملعون مطرود من رحمة الله تعالى إن أصرَّ على فعلته ومات على ذلك، وأن الله أعدَّ للمرابي عذابًا أليمًا في الآخرة.

ثانيًا - أثر عدم الوفاء بالمكيال والميزان في محق البركة:

إن الوفاء بالمكيال والميزان فيه بركةٌ عظيمةٌ، وعدم الوفاء فيه مَحْق للبركة، ولا ننسى أن أقوامًا سبقوا قد أنزل الله بهم العقاب والنكال بسبب عدم الوفاء بالمكيال، لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

بالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾ (الأنعام: ١٥٢)، وقال تعالى محذرًا عباده من عدم الوفاء بالكيل والميزان: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١).

قال ابن كثير - رحمه الله -: المراد بالتطفيف ههنا: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر الله تعالى المطففين الذين وعدهم بالإخسار والهلاك، وهو الويل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ (المطففين: ٢)، أي: من الناس، ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٣)، أي: يُنقصون.

ثم قال الله تعالى متوعدًا لهم: ﴿أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (المطففين: ٤-٥)، أي: ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع، جليل الخطب، من خَسِرَ فيه أُدخل نارًا حامية، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: يقومون حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً في موقف صعب خرج ضيق الضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز الحواس عنه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ما أظهر قومٌ البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء»**[2].

وقال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: **«ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذُوا بالسِّنين، وشدَّة المؤنة، وجَوْر السُّلطان»**[3].

ويعتبر التطفيف من الكبائر التي نَهَى الله عنها، لأنه ضَرْبٌ من الظلم والاعتداء على أموال الناس، وكذلك الغش والتدليس والمكر والخديعة سبب محق البركة.

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٤) (ص ٧٦٠-٧٦١). (٢) تفسير القرطبي (جـ ٥) (ص٧٦).
(٣) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي.

ثالثًا ـ أثر الحلف الكذب في محق البركة:

من خلق التاجر المسلم: الصدق والأمانة، يقول الرسول ﷺ : «**التاجر الصدوق مع الشهداء يوم القيامة**»[١]، ويحقق الله له البركة.

أما التاجر كثير الحلف الكذاب لا يربح في الدنيا والآخرة، فعندما يكشف الله أمره بين التجار والمتعاملين، يحجم الناس عن التعامل معه، فيقل البيع ويخسر، بالإضافة إلى خسارته في الآخرة.

عن حكيم بن حزام ؓ : عن النبي ﷺ قال: «**البيعان بالخيار ما لم يَتَفرَّقَا، فإن صَدَقَا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإن كَذَبا وكتما مُحِقَت بركةُ بيعهما**»[٢].

وعن أبي هريرة ؓ، قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الحلِفُ منفقةٌ للسِّلعة مَمْحَقَةٌ للبركة**»[٣].

وعن أبي قتادة الأنصاري ؓ : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يُنفِقُ ثم يَمحق**»[٤].

قوله ﷺ : «**فإن صَدَقَا وبيَّنا**» أي: بين كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن، وصدق في ذلك، وفي الإخبار بالثمن، وما يتعلق بالعوضين، «وصدقا» من جانب البائع في السوم، ومن جانب المشتري في الوفاء، «وبيَّنا» أي: لما في الثمن والمثمَّن من عيبٍ، فهو من جانبيهما، وكذا نقصه ـ والله أعلم ـ.

---

(١) رواه ابن ماجه.
(٢) متفق عليه في كتاب (البيوع).
(٣) متفق عليه: البخاري ومسلم وأحمد.
(٤) رواه مسلم.



وقوله ﷺ: «بُورك لهما في بيعهما» أي: تكاثر ونَمَا وزادَ، «وإن كذبا وكتما مُحِقَت بركةُ بيعهما» أي: ذهبت بركته [١].

وفي الحديث حصول البركة لهما إن حصل منهما الشرط، وهو الصدق والتبيين، ومحقها إن وُجِدَ ضدُّها، وهو الكذب والكتم، وهل تحصل البركة لأحدهما إذا وجد منه المشروط دون الآخر، ظاهر الحديث يقتضيه، ويحتمل أن يعود شؤم أحدهما على الآخر: بأن تُنزع البركة من المبيع إذا وُجِدَ الكذب أو الكتم من كل واحدٍ منهما، وإن كان الأجر ثابتًا للصادق المبين، والوزر حاصل للكاذب الكاتم ومحق البركة له، والحقُّ هو النقصُ والإبطالُ، ولقد امتثل التاجر المسلم الذي كان يأخذ تجارته تعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقه، ويجول العالم، فحقق الحُسْنَيين: الدعوة إلى الله سبحانه، والتجارة الرابحة، وأما الكذب فيؤدي إلى المحق والخسارة.

رابعًا - أثر المال الحرام في محق البركة:

للمال الحرام صور مختلفة منها: السرقة والاختلاس والغصب والغلول والرشوة وأكل مال اليتيم، وكذلك صور الكسب غير المشروع عن طريق البيوع المحرمة، وهو نقمة على صاحبه في الدنيا وفي الآخرة، وتُنتزع منه البركة والنماء، ولقد حرم الله سبحانه وتعالى الاعتداء على مال الغير لحرمة هذا المال.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩)، ولذلك حرم الله السرقة مهما قلَّت صورتها وضَعُفَت.

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق حبل فتقطع يده»** [٢].

---

(١) «فتح الباري» (جـ ٥) (ص٣٣-٣٤).

(٢) متفق عليه: البخاري ومسلم.

وحرم الرشوة بكل صورها، وندد بأصحابها الرسول ﷺ : **«لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما»**[(١)] .

وحرم أكل مال اليتيم، قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، ولقد ندد الرسول ﷺ بالذي يأكل مال اليتيم، فقال: **«يبعث الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قومًا من قبورهم، تخرج النار من بطونهم، تؤجج أفواههم نارا»**، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: **«ألم تر أن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ **»**[(٢)] .

والمال الحرام بكافة صوره وأشكاله لا يبارك الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فيه، بل يمحقه، وفي هذا الخصوص وردت عدة أحاديث منها:

* **«كل لحم نبت من السحت (الحرام) فالنار أولى به»**[(٣)] .
* **«لأن يجعل أحدكم في فيه (فمه) ترابًا خيرًا من أن يجعل فيه حرامًا»**[(٤)] .

فإن السرقة والرشوة والاختلاس والغصب والتكسب من الوظيفة كل صور الحرام تمحق البركة.

خامسًا ـ أثر منع الزكاة في محق البركة وفساد المجتمع:

إن الزكاة هي البركة والطهارة والنماء والصلاح للنفس وللمال وللناس جميعًا، وعلى النقيض يكون في منع الزكاة المحق والخبائث والنقصان والفساد في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، ومصداقية ذلك: ما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه ابن مردويه وابن ماجه.
(٣) رواه الترمذي والطبراني.
(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند».

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥).

قال ﷺ : **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار»** [١].

فمنع الزكاة يمحق بركة الإيمان والتقوى في قلوب أصحاب المال الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، فقد حرموا رزق تزيين الإيمان في قلوبهم، وحل محل ذلك حب المال وعبادته، وبذلك أصبحت قلوبهم قاسية مادية متعلقة بالمال:

(أ) ومنع الزكاة يغرس في قلوب أصحاب المال الشح والبخل ويظنون أن الزكاة تنقص المال بل يقول بعضهم، كما في القرآن: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ (يس: ٤٧).

(ب) ومنع الزكاة يجلب في المجتمع الشقاء لفئة الفقراء والمساكين، ومن في حكمهم، كما أنه يوقع الأغنياء في ابتلاء الترف والسرف والبذخ والبغي والبَطَر الذي يؤدي للمحق والهلاك، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦).

(جـ) ومنع الزكاة يقطع أواصر التراحم والتعاطف والتكافل والتضامن من بين الأغنياء والفقراء والمساكين، وهذا يسبب الحقد والكراهية والبغضاء بين الناس، ويمحق بركة الحب والأخوة.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري ومسلم.

ولقد غُـيِّبَتْ فـريضة الزكـاة عن المجتـمع المسلم، حيث تقـاعس الحكام عن جمعها وصرفها في مصارفها الشرعية، واهتموا بالضرائب والمكوس، واعتقد بعض المسلمين جهلاً أو تجاهلاً أن الزكاة مسألة اختيارية، وقد قال البعض أن الضريبة هي الزكاة، والزكـاة مسؤلية ولي الأمر، ومـادام لم يطلبها فـالإثم عليه ولسنا مطالبين بأدائها، وإلى غيـر ذلك من صور التهرب من أداء الفريضة الغـائبة، ويقولون: إنه في ظل العـولمة واختلاف المذاهب والـعقائد والملل، يـصعب تطبيـق الزكاة، وهذه معتقدات ومفاهيم خاطئة، وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان لمنع تطبيق الزكاة.

سادسًا ـ أثر الترف في محق البركة:

الترف من بطر النعمة، وهو التنعم والإسـراف في ملذات الدنيا، وشهواتها المباحة بدون منفعة معتبـرة شرعًا، ومن آثاره البغي والفساد والفتنة في الأرض، ولقد نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله عن ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦).

يقول صـاحب الظلال: المترفون في كل أمـة هم طبقة الكبـراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم، ويجدون الراحة، فينعمون بالدَّعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتَـلِغُ في الأعراض والحرمـات، وهم إذا لم يجدوا من يضـرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسـادًا، ونشروا الفاحشة في الأمة، وأشـاعوها وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بهـا ولها، ومن ثَمَّ تتخلى الأمة وتسترخي، وتفقد حيوتها وعناصر قوتها، وأسباب بقائها، وتطوى صفحتها[1].

---

(١) «ظلال القرآن» (جـ ٤) (ص٢٢١٧).

ولقد حذرنا الرسول ﷺ من الاستغراق في نعيم الدنيا وملذاتها، فيقول: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[١].

كما نهى ﷺ عن تجاوز الحدود المشروعة في ملاذ الطيبات والترفه في النعيم: «إياكم والتَّنعم؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»، وقال عمر رضي الله عنه: «اخشوشنوا؛ فإنَّ النعمة لا تدوم».

ويقول الإمام حسن البنا عن الترفه في النعيم إنه يعوق الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فقال - رحمه الله -: إن الأمة إذا ارتقت في النعيم، وأنست بالترف، وغرقت في أغراض المادة، وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد، ومقارعة الخطوب، والمجاهدة في سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء[٢].

واعلموا أن الترف فتنة، وفساد عظيم خطير وسبب للانحلال والميوعة والتخنث، وترك الجهاد والبطولة والشجاعة، وسبب للأمراض النفسية والعصبية والاجتماعية، وللانزلاق في طرق الانحلال وانتشار الفسق، والفجور والعصيان - والله أعلم -.

سابعًا - أثر الإسراف والتبذير في محق البركة:

الإسراف والتبذير من وحي الشيطان، وسبب في هلاك المال، وتبدد العمر، وسبب الفساد في الأرض، ولقد نهى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله ﷺ عن كل صوره حسب ما ورد في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وسنَّة نبيِّه ﷺ، فقد نهى

(١) رواه البخاري.
(٢) الإمام حسن البنا (إلى أي شيء ندعوا الناس) (ص١٥٠).

الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عن الإسراف بكافة صوره وأشكاله، فقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، كما حذر من طاعة المسرفين، والسير في طريقهم، فقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء: ١٥١-١٥٢).

ويقول الله تبارك وتعالى بخصوص النهي عن التبذير: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٦-٢٧).

والتبذير معناه: إنفاق المال في غير منفعة معتبرة شرعًا، أو إنفاق المال في الباطل، ولذلك وصف الله المبذرين بأنهم رفقاء الشياطين وأصحابهم، ومادام ليس له منفعة فهو خسارة، ومحق للرزق، فالذي ينفق ماله في الحق والصلاح ليس مُبذِّرًا، فقد ورد عن ابن عباس ﷺ: **«كُلْ ما شِئْتَ، والبس ما شِئْتَ، ما أخطأتك خِصلَتَان: سَرَفٌ، ومخيلةٌ»**[1].

وقال ﷺ: **«كلوا واشربوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده»**[2].

ولا يقتصر التبذير و الإسراف على المال، بل يمتد إلى كافة الأرزاق، ومنها الوقت والعلم والجهد والموارد البشرية والطبيعية، وبذلك يعتبر الإسراف والتبذير من الأمور المنهي عنها شرعًا، ولا يقتصر ضررهما على المسرف، بل يمتد ذلك إلى المجتمع بأسره، فيؤدي إلى الهلاك والدمار ومحق البركة.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.



ثامنًا ـ أثر الزنا في محق الأرزاق:

يعتبر الزنا من الكبائر، ومن أفظع الرذائل، لأنه اعتداء على العرض والنسل والمجتمع الإنساني، ولقد حرمته الشريعة الإسلامية، وسدت كل الأبواب والطرق الموصلة إليه، مثل الخلوة والنظرة السامة والاختلاط والتبرج والسفور، وكل ما يدعو إلى الزنا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

ولقد ورد في تفسير هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى ينهانا عن الزنا، وعن مقاربته، ومخالطة أسبابه ودواعيه، لأنه بئس الطريق والمسلك[١].

يقول صاحب الظلال: ما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال منذ فجر التاريخ القديم إلى العصر الحديث، وقد يقر بعضهم أن أوربا وأمريكا يملكان القوة المادية اليوم، مع تفشي الفاحشة فيها، ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة ظاهر، يشبه ذلك الإمام سيد قطب ـ رحمه الله ـ بالشاب الذي يسرف في شهواته، فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب، ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة[٢].

وقد توعد الله أصحاب الزنا بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة، لأنه يؤدي إلى فساد الأسرة، وفساد المجتمع، ويحط من قدر الإنسان إلى قدر الحيوانات، كما أنه يسبب الأمراض الخبيثة ويقود إلى الفقر، والواقع المشاهد حولنا في المجتمع يشهد بذلك، ولقد ورد عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة في تحريم الزنا، وبيان آثاره في انحلال المجتمعات، وهلاكها معنويًا وأخلاقيًا واقتصاديًا:

---

(١) ابن كثير (جـ ٣) (ص٣٨).

(٢) سيد قطب «ظلال القرآن» (جـ ٤) (ص٢٢٢).

إذ يقول: «**إذا ظهر الزنا في قرية، أذن الله - عَزَّ وَجَلَّ - بهلاكها**»[١].

وقال: «**ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له**»[٢].

وقال: «**.. لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**»[٣].

ويقول الشيخ محمد صالح المنجد: وفي عصرنا فتح كل باب للفاحشة، وسهل الشيطان الطريق بمكره ومكر أوليائه، واتبعه العُصاة والفجرة ففشَا التبرج والسفور، وعمَّ انفلات النظر المحرم وانتشار الاختلاط، وراجت مجلات الخلاعة، وأفلام الفحش، وكثر الفجور، وقام سوق تجارة الدعارة، وكثر انتهاك الأعراض، وازداد أولاد الحرام، وحالات قتل الأجنة[٤].

تاسعًا - أثر الخمر والمسكرات في محق الأرزاق:

يعتبر شرب الخمر وما في حكمها من الكبائر، لأنها المدعاة إلى الشرور والمعاصي والفساد والهلاك والدمار والضياع، لأن العقل إذا اختل أو فتر أو غاب، يستطيع صاحبه فعل أي شيء فيه ضرر جسيم، ليس على الفرد ذاته بل يتعدى إلى المجتمع، ولقد شدد الله ورسوله على اجتنابه، يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد جيد.

(٢) تفسير «ابن كثير» (جـ ٣) (ص٣٨).

(٣) رواه ابن ماجه والبزار.

(٤) «محرمات استهان بها الناس يجب الحذر منها».



فالخمر من عمل الشيطان، ولها أضرار عظيمة وخطيرة على الفرد والمجتمع، منها:

* الخمر تصد عن ذكر الله، الخمر تصد عن الصلاة، والخمر توقع العداوة بين الناس، وهي اعتداء على أعظم رزق منحه الله لعباده، ألا وهو العقل.

وقد شدد رسول الله على تجنب كل السبل والذرائع التي تؤدي إلى الخمر، فقال ﷺ: **«اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر»**[1].

هذه بعض الأمور التي تذهب البركة، وتمحق الخير فيها، وعلى المؤمن أن يسارع باجتناب تلك الأمور التي تمحق البركة، وتذهب بالخير والثواب، ومن تلك الأمور أيضًا:

١- ما يتسبب في الهم والفقر.

٢- السباب والفسوق وسائر الأخلاق الذميمة.

٣- كثرة النوم والكسل والخمول في طلب الرزق.

٤- الظلم والاعتداء على الحقوق وعدم العدل.

٥- الحكم بغير ما أنزل الله.

٦- الحرص، وكثرة الطمع والشره والرغبة في الدنيا.

٧- قلة التقوى والإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ -.

٨- عدم التسمية في كل عمل.

٩- عدم الاجتماع على الطعام والشراب، والفرقة بين المسلمين.

١٠- البعد عن كل ما فيه البركة من المكان والأزمان والأفعال.

---

(١) رواه الحاكم.

١١ ـ عدم اتخاذ الأمور التي فيها بركة والعمل بأسبابها.

١٢ ـ عدم الدعاء بالبركة في المناسبات الطيبة.

وكل معصية في الأقوال والأفعال يكون من أثرها محق البركة. والذنوب كبائرها وصغائرها، ما بطن منها، وما ظهر تُمرض القلوب ثم تميتها، وهذا يضعف قَوَى الخير، ويُدعِّم قُوى الشر، فتندفع الجوارح نحو فعل الفحشاء والمنكر، فتعتدي على النفس والدين والعقل والعرض والمال، فتمحق البركة من الرزق والعمر والعلم والعمل، فيكون الدمار والهلاك والذنوب.

والمعاصي لها علاقة مباشرة بمحق الأرزاق، ويجب الحذر منها، كما أمرنا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ورسوله. ذكرنا بعضًا منها، وتحدَّثنا عن بعضها، ولولا خوف الإطالة لفصلنا فيها القول، فالبركة ليست مجرد كلمة تُقال، يَنطِقُ بها اللسان أو تسمعها الآذان، أو تقع عليها العين، أو نسمعها أصواتًا أو نراها رسمًا، وتبقى بعد ذلك خاوية من أي معنى أو مدلول، وإنما هي كلمة جامعة لمعان كثيرة، وسلوكيات عديدة، وآداب شتى، تتحقق دلالتها من خلالها جميعًا.

ونسأل الله أن يملأ حياتنا وأعمالنا وأوقاتنا بالبركة والخير والفلاح، إنه نعم المولى ونعم النصير.

إعداد

محمد محمود عبد الجواد

فهرس

الموضـــوع	صفحة
المقـدمة	٣
الباب الأول - في معاني البركة وأصلها	٥
الفصل الأول: معـــاني البـركة	٥
الفصل الثاني: البركة في القرآن الكريم	٧
الفصل الثالث: أصل البركة الله	١٤
الفصل الرابع: اختصاص الله بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة	١٧
الباب الثاني - أعظم البركات القرآن الكريم	١٩
الفصل الأول: القرآن الكريم	١٩
الفصل الثاني: بركات القـرآن الدينية	٤٥
الفصل الثالث: بركات القرآن الدنيوية	٥٠
الباب الثالث - المبارك من الأشخاص	٦٨
الفصل الأول: محـمـد رسـول الله ﷺ	٦٨
أولاً: البركـات المعنـوية	٦٩
ثانيًا: البركات الحسيَّة للرسول ﷺ	٧٦
الباب الرابع - بركات الأنبياء والصالحين	٩٨
الفصل الأول: بركات نـــوح عليه السلام	١٠٠
الفصل الثاني: بركات إبراهيم عليه السلام	١٠٥
الفصل الثالث: بركات عيسى عليه السلام	١١٧
■ بركـات الصـالحين من البشـر	١٢٣
الباب الخامس - بركة الأماكن	١٥٣
الفصل الأول: البركة العامة التي حبا الله بها الأرض	١٥٣
الفصل الثاني: بركة المساجد والأماكن	١٦٢
١ - المسجد الحـرام ومكة	١٦٢
٢ - المسجد النبوي والمدينة المنورة	١٨٣
٣ - المسجد الأقصى والقدس	١٩٨
الفصل الثالث: بركة الأماكن (الشـام - مصـر - اليمن)	٢٠٥

الموضوع | صفحة

الباب السادس - أنوع أخرى مباركة ٢٢٤
(بركة المطر - شجر الزيتون - النخيل - اللبن - النخيل - الغنم)
الباب السابع - بركة الزمان ٢٤٢
الفصل الأول: بركات الشهور وشهر رمضان ٢٤٤
الفصل الثاني: بركات الليالي ليلة القدر ٢٥٠
- بركات الأيام (يوم عرفة - يوم الجمعة) ٢٦٤
الفصل الثالث: أشياء مباركة (بركة السحور - شرب ماء زمزم - الحجامة) ٢٧٥
ما يجلب البركة ٢٨٨
١ - الصدق في المعاملة ٢٨٨
٢ - كثرة الاستغفار ٢٨٩
٣ - البر وصلة الرحم والرفق وحسن الخلق ٢٩٠
٤ - التبكير في طلب الرزق ٢٩٢
٥ - إكثار حمد الله تعالى وشكره ٢٩٣
٦ - التزوّج ويسر المؤنة ٢٩٤
٧ - آداب الطعام ٢٩٦
٨ - البركة في الوفاء بالكيل والميزان ٢٩٩
٩ - البركة في سخاء النفس في طلب المال ٣٠٠
ما يمحق البركة ٣٠١
■ أثر الذنوب والمعاصي في محق البركة ٣٠١
أولاً - أثر كبيرة الربا في محق البركة ٣٠٤
ثانيًا - أثر عدم الوفاء بالمكيال والميزان في محق البركة ٣٠٦
ثالثًا - أثر الحلف الكذب في محق البركة ٣٠٨
رابعًا - أثر المال الحرام في محق البركة ٣٠٩
خامسًا - أثر منع الزكاة في محق البركة وفساد المجتمع ٣١٠
سادسًا - أثر الترف في محق البركة ٣١٢
سابعًا - أثر الإسراف والتبذير في محق البركة ٣١٣
ثامنًا - أثر الزنا في محق البركة ٣١٥
تاسعًا - أثر الخمر والمسكرات في محق الأرزاق ٣١٦
■ الفهرس ٣١٩



فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠